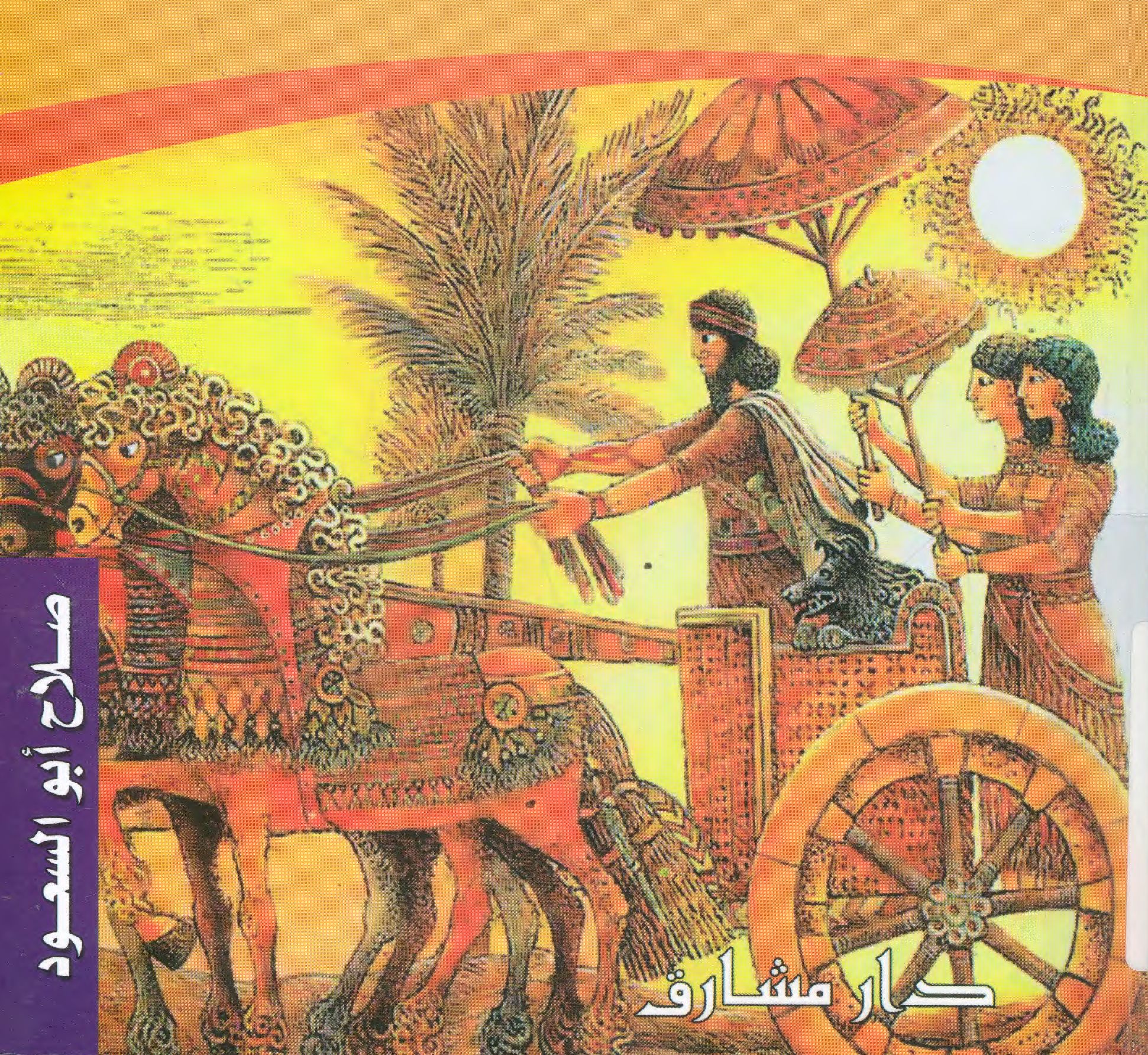
# أساطير سومر وبابل



صلاح أبو السعود

دار مشارق

# أساطير
# سومر وبابل

# أساطير سومر وبابل

تأليف
صلاح أبو السعود

الناشر
دار مشارق

# أساطير سومر وبابل

تأليف

**صلاح أبو السعود**

رقم الإيداع : ٤٨٠٧/ ٢٠٠٩
الطبعة الأولى : ٢٠٠٩

دار طيبة للطباعة - الجيزة



دار مشارق للنشر والتوزيع
١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبية - فيصل
ت : ٣٧٧٤١٨٠٣ - ٠١٠٥٥٩٣٣١٧ - ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦
E-Mail : Mshareq@hotmail.com

# أساطير سومر وبابل

تأليف

صلاح أبو السعود

الناشر

دار مشارق

# أساطير سومر وبابل

تأليف

صلاح أبو السعود

رقم الإيداع : ٤٨٠٧/ ٢٠٠٩
الطبعة الأولى : ٢٠٠٩

دار طيبة للطباعة ـ الجيزة



دار مشارق للنشر والتوزيع
١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب – طالبية – فيصل
ت : ٣٧٢٤١٨٠٣ – ٠١٠٥٥٩٣٣١٧ – ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦
E-Mail : Mshareq@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

فى فتـرة من الفترات كنت أعـتقد أنه لـم تأت حضارة فى الشـرق الأدنى تضاهى حضارة المصريين القدماء، إلى أن طالعت حـضارة بلاد ما بين النهرين، خاصة عند دراسة شرائع حمورابى والتى تمثل موضوعاً أسـاسياً فى مادة تاريخ وفلسفة القانون بكليات الحقوق فـى مصر، ففى ذلك الوقت كنت شغوفـاً أن أعرف أكثر عن هذه الحضارة.

وأكثر ما جذب انتباهى فى حضارة بلاد الرافدين، هو ذلك الكم من الأساطير التى تتضمن الكثير من الأفكار الفلسفية، تلك الأفكار التى أثرت - على الرغم من أنها وليـدة مجتمع إلحـادى - العقل الإنسانى، وبل انتـقلت تلك لأساطير وآلهتـها الأبطال إلى الكثير من المجتمعات المتحضرة آنذاك.

فسنجـد مثلاً فى ملحـمة جلجامـش كيف عالجت هذه الملحـمة قضـية بحث الإنسان عن الخلود الدائم الحـقيقى الذى لا يقـربه الموت، وكيف أن هذا الخلود لن يكون إلا للآلهة فقط، أما البشر فالموت كُتب عليهم منذ أن خُلقوا، أما الخلود الذى يستطيع الإنســان أن يحصل عليه، إنما يكمن فى أعـماله العظيمـة التى تخلد ذكره ليـبقى اســمه أبد الدهـر. وسنجد أن أسطورة «آدابا» كـانت تعـالج - تقريبـاً نفس القضية.

وسنجد فى أسطورة «إيتانا» كيف أن الإنسان لن يستطـع - مهما فعل - أن يُغير قدره، لأن قدراته مـحدودة، وهو ليس بمقدوره أن يُعدل من هذه القدرات مـهما فعل. وسنعالج على صفحات هذا الكتاب الكثير والكثير، ولا يعيب تلك الأساطير إلا أنها نبعت عن فكر كان الشرك هو سمته.

وسيندهش القارئ عندما يجد أن هناك تقارباً من نوع ما بين أحداث بعض الأساطير التى سيطالعها على صفحات هذا الكتاب، وبين بعض الأحداث التى جاءت بها الكتب السماوية، ولعل أوضح مثال على تلك الأساطير هى أساطير الطوفان التى جاءت بها النصوص السومرية والبابلية، فهى أقرب ما تكون إلى ما جاءت به النصوص العبرانية (التوراة) فى خصوص نفس الواقعة، بل وتزداد دهشة إذا وجدت التطابق بين بعض الألفاظ.

ولعل الدهشة تزول إذا ما عرفنا أن هذا التقارب بين هذه النصوص إنما مرجعه - كما سنرى تفصيلا - هو أن الإنسان بدأ حياته مؤمناً موحداً لا كافراً مشتركاً، ولعل نصوص هذه الأساطير كان مرجعها كتاب سماوى أقدم منها.

وفى هذا الكتاب جمعت النصوص الخاصة بأساطير مختلف الآلهة من المصادر العلمية المتخصصة فى مجال الأساطير ومقارنة الأديان، وأوضحت الخلافات - إذا ألحت الحاجة - بين مختلف الترجمات لنفس النص، حتى لا يحتاج الباحث إلى اللجوء إلى مرجع آخر، وأفردت فى الهوامش شروح وتوضيحات لا تقل أهمية عن المتن لتساعد الباحث - والقارئ العادى - على متابعة الموضوع دون أدنى غموض.

ويقع هذا الكتاب فى بابين،خصص الأول منهما لعرض أساطير سومر، وأما الثانى فنعرض فيه للأساطير البابلية، وأتمنى أن يحوز هذا الكتاب على إعجاب القراء وثقتهم، خاصة بعد أن حظى كتابى عن البوذية فى العام الماضى على إقبال كبير من القراء .

صلاح أبو السعود

**Email: salahaboaud @ hotmail. com**

# الباب الأول
# آساطير سومر

تقع بلاد سومر القديمة فى النصف الجنوبى من العراق الحديث، بدءا من بغداد شمالا حتى خليج البصرة جنوبا، وكانت تضم عدة مدن: إريدو (أبو شهرين الحديثة)، وأور (المقيّر الحديثة) وأورك أو إيريك (وهى المسماة فى التوراة إرك، والمعروفة الآن باسم الوركاء)، ولارسا (المسماة فى التوراة باسم إلاسار والمعروفة الآن باسم سنكرة) ولكش (سبرلا الحديثة) ونيبور (نفر)[1].

واكتشاف سومر والسومريين أربك الباحثين فى تاريخ هذه المنطقة فقد عرف علماء العبرانيين والإغريق هذه البلاد باسم «بابل» التى كان سكانها ينطقون اللغة السامية (البابليين)، ولكن مع أعمال البحث والتنقيب عرف علماء الآثار أن البابليين لم يكونوا أول من سكنوا هذه البلاد، ولا أكثرهم خلقا وابتكارا، وإنما كانت حضارتهم امتدادا لحضارة هؤلاء الذين سبقوهم (السومريون) الذين كانوا يتكلمون لغة «مقطعية»، لا هى بالسامية ولا بالهندو - أوربية. وإلى هؤلاء السومريين يرجع الفضل فى وضع بذرة الحضارة فى هذه المنطقة من العالم[2].

وقد استوطن الإنسان بلاد سومر - التى أصبحت تعرف بهذا الاسم فى الألف الثالث قبل الميلاد - فى حوالى 4500 ق.م غير أن القوم الذين استوطنوها أول مرة لم يكونوا سومريين، بل قوم عرفوا فى علم الآثار بـ «العبيديين» الذين يعتبروا أول المزارعين الذين أسسوا عددا من القرى والمدن فى هذه البلاد[3].

(1) انظر - ول ديورانت - قصة الحضارة - جـ 2 - ص 18.

(2) انظر - كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 14.

(3) السابق - ص 15.

أما السومريـون أنفسهم فلعلهم لم يقدموا إلى بلاد سومـر إلا فى الربع الأخير من الألفية الرابعة قبل الميلاد، وليس فى وسعنا - رغم ما قام به العلماء من بحوث - أن نعرف إلى أى سلالة مـن السلالات البشرية ينتمـى هؤلاء السومريون، أو أى طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر[1].

وعلى كل حـال فعـرض تاريخ بلاد سومـر ليس هو مطلبنا فى هذا الكتـاب، ولكن البـحث فرض علينا أن نعـرض نبذة عن هؤلاء السكان الـذين أقاموا بـهذه المنطقة فى فترة ما، وتركوا على أرضها تراثا لا يمكن أن يستهان به.

ومجتمع كمـجتمع سومر بسطت فيه الديانات الوضعـية نفوذها لابد وأن تتعدد فيه الآلهة، حتى إنه كان لهذه الآلهة مجلس يجمعهم يسمى «الأنوناكى»، يجتمعون فيه ويقررون المصـائر، وسوف نبدأ بعرض لأساطير الخلق السومرية، نعـقبه بعرض لأساطير بعـض الآلهة العظمى فى سومر: (إنكى، ننخـرساج، إنليل، ننليل)، ثم نعرض لأسطـورة «إنانا ودموزى» ثم لملحمـة «جلجامش» والتى سنعـرض لها من خلال النصوص السومرية والبابلية، ثم نعرض أخـيرا لأساطير الطوفان كما جاء بها الفكر السومرى، والبابلى، والتوراتى من أجل إجراء مقارنة بين هذه النصوص.

* * * *

(1) قصة الحضارة جـ 2 - ص 19.

# الفصل الأول
# أساطير الخلق السومرية

## - بداية الخلق:

تقول الأسطورة أن كل شيء كان في **«نمو» Nammu** ، ونمو هي الإلهة السومرية الأم الأولى، والمعنى الحرفي لاسمها «ماء الأم» ، وهذا تشبيه صريح لولادة الكون بالولادة البشرية. واسمها يشير إلى المياه الأزلية - مثل «نون» عند الفراعنة - التي ظهر منها الكون والآلهة(1).

كانت «نمو» ساكنة، لكنها تحركت، وبدافع الحركة والسكون كان ظهور السماء والأرض، وكانا في حالة التصاق وعناق. والسماء في الأساطير السومرية ذكر يمثله الإله **«آن»(An)** ، وقد تزوج إلهة الأرض **«كي» KI**، وسُكبت الأمطار من السماء على الأرض - وكأنها المني، فالمطر هنا يأخذ مدلولا جنسيا - فينتج عن ذلك ظهور النباتات، ويسيل الخمر والعسل، وولد لهما الإله **«إنليل» Enlil** إله الهواء، وكلمة إنليل مكونة من مقطعين (إن) التي تعني السيد و «ليل» التي تعني الهواء أو الريح **ويلقب بجبل الريح**. بعد أن كبر إنليل فصل بين أمه وأبيه، فرفع أباه السماء «آن» إلى أعلى، وبسط أمه الأرض «كي»(2).

بعد ذلك جلس (آن) على عرش السماء، وترأس مجلس **«الأنوناكي» Anunaki**، وهو مصطلح سومري يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض، ومعناه الحرفي باللغة السومرية «أرض بذور الحياة الأميرية»، وكان السومريون

---

(1) انظر - إنجيل سومر - خزعل الماجدي - ص 13، والأساطير السومرية - لصموئيل كريمر - ص 65.

(2) إنجيل سومر - ص 14.

يعتقدون أن هذا المجلس أو هذه الهيئة عبارة عن طائفة من الكائنات الحية، لهم هيئة كهيئة الإنسان إلا أنهم يفوقونه ولا ينال منهم الموت، وهم يديرون دفة العالم ويتحكمون به وفقا لخطط رسمت بعناية، ونواميس قدرت حسب الأصول، فهناك آلهة موكول إليهم أمر السموات والأرض والهواء والبحار، وآلهة موكول إليهم أمر الشمس والقمر والكواكب ...الخ، وكان أكبر الآلهة الذين يتحكمون بالعناصر الأربعة الرئيسية التى يتألف منها الكون :السماء والأرض والهواء والبحر، ويمثلهم الآلهة: آن، كى، إنليل، إنكى. وكانت وسيلة الخلق عندهم تقوم على استخدام الكلمة الإلهية، فكان كل ما على الإله الخالق - حسب معتقدهم - هو أن يرسم الخطط ويتفوه بالكلمة وينطق الاسم[1].

## - خلق الإنسان:

تقول الأسطورة أن الآلهة بدأت تشعر بالتعب، فقد وجدوا أنهم تحولوا إلى عبيد الأرض التى صنعوها، وأن الحمل قد صار ثقيلاً، فاجتمعوا وقرروا أن يذهبوا إلى «إنكى» إله الماء والحكمة، ليشتكوا له وليخلق لهم خدما يقومون مقامهم فى حرث وسقى الأرض ورعى الماشية[2].

كان إنكى مضطجعا بعيدا فى (الأبسو)[3]، وكان نائما قرب (نمو) سيدة المياه الأزلية - وهى تظهر هنا كأم للإله إنكى - فاشتكوا إليها، فوضعت على راحة يديها

(1) طقوس الجنس المقدس عند السومرين - كريمر - ص 33، 34.

وانظر كذلك - إنجيل سومر ص 14، 15. حيث ذكر أن مجلس الأنوناكى مكون من سبعة آلهة: (آن، وإنليل، إنكى، ننخرساج، كى، ننار، أوتو، إنانا) وهم آلهة: (السماء، الهواء، الماء، الأرض، القمر، الشمس، الزهرة). ويذكر البعض أن أنوناكى عبارة عن مجموعة الآلهة الصغار Kramer - The Sumerians - pp. 115 - 116.

(2) إنجيل سومر - ص 138 :142، وخلق الإنسان فى الملاحم السومرية للدكتور رشيد فوزى، وقد أشار إليه المرجع السابق.

(3) الأبسو: مقر الإله إنكى.

دموع الآلهــة وذهبت إلى إنكى وقالت له: **«انهض يا بنى من فــراشك. . . مــن مضــجعــك واصنع كل ما هو حكيم. اخلق خــدما لــلآلهة يحــملون عنهم عناء العيش وقسوة الحياة»**[1].

وبعد أن فكر «إنكى» قرر القيام بخلق كائن لا إلهى يقوم مقام الخادم للآلهة، ثم أخذ يعلم «نمو» كيــفية خلق هذا الكائن: **«امزجى الصلصــال. لب الطين الموجود فى مياه «الأبسو» العمــيقة التى أقيم فيها وسأدعو الصناع الإلهــيين المهرة ليكشفوا الطين ويعجنوه. أما أنت فــعليك أن توجدى له الأعضاء وستــعمل الإلهة ننمناخ (ننخرساج)[2] معك يدا بيد وستقف ربات الولادة الثمانية إلى جانبك لكى يتكون ويولد من الطين، قــدرى مصيــره يا أماه وستطبع علــيه (ننماخ) صــورة الآلهة. يكون شبيهــا بنا فى خلقه لكى يكون قريبا منا فى العمل والراحــة ولكى لا يشعر بأنه غريب تماما عنا وسيكون هذا المخلوق هو: الإنسان»**[3].

تفتــخر الإلهة «ننمــاخ» أمام الآلهة بأنهــا هى التى ستخــلق الإنسان، وهى التى ستحدد الطيب من نصيبــه أو السوء، فيقول لها إنكى **« سواء جعلت نصيبه الطيب أو الســوء فإننى ســأوازنه، وليشاهد الآلهــة خلقك وخلقى وليحكمــوا بعد ذلك على ما نصنعه»**[4].

أخذت نــنماخ حــفنة من الصلصال الموجــود فوق «الأبســو» وصنعــت ســتــة أشخاص، الأول غريب، والثانى فيــه عاهة، والثالث لا يستطيع إيقاف بوله، والرابع امرأة مــشوهة، والخامس امرأة عــاقر، والسادس الرجل الخــصى. فأراد إنكى أن

---

(1) الســابق.

(2) ننخرساج: روجة الإله إنكى وهى آلهة ترتبط بخصب الأرض واسمها الآخر (ننماخ). إنجيل سومر - ص 260.

(3) الســابق.

(4) الســابق - ص 141.

يختبر ما صنعته ننماخ، فقدم لهم الطعام، فتناولت المرأة العاقر طعامها وكذلك فعل الرجل الخصى، فقـرر إنكى أن يحدد لهما مصيـرهما فقال **«المرأة العـاقـر تكون وصيفة للملكة فى دار النساء، والرجل الخصى يكون فى خدمة الملك»**[1].

ويجىء الدور على إنكى لكى يقوم هو بـعملية الخلق، فصنع إنسـانا بائسا أطلق عليه اسم «أومول» وهو الشيخ الطاعن فى السن والذى عيناه ذابلتان وحياته فانية . . وكبده وقلبه ويداه ترتجـفان وقدم إنكى مخلوقه إلى ننماخ، فتحـاول الأخيرة إطعام هذا الإنســان ولكن لم يقو حـتى أن يمد له يـداه، فنهرت ننمـاخ إنكى لأنه خلق بائسا، فـجلب البؤس إلى العالم، وخلق مريضـا فجلب المرض - الذى سيـلازم الشيـوخ - إلى العالم، وتتدخل الآلـهة لفض الاشتـباك بين إنكى وننماخ، وقـاموا جميـعا بخلق الإنسان الصحـيح من طين المياه العمـيقة، وبثوا فيـه الروح، وخلقوا ذكرا وأنثى حـتى يتكاثر من تلقاء نفـسه فـلا تتعب الآلهة من تكـرار الخلق، فولد الذكر والأنثى أبناء كثيرين، وتكاثر هؤلاء بدورهم، وخـدموا الآلهة، وكان الإنسان الضعيف يخدم الآلهة ويخدم الأقويـاء من البشر، فزادت الشرور فى الأرض وكثر الظلم[2].

وردت فى بعض النصوص الســومرية إشارات تجـعل من الإنسان إله، ولكنه إله ضعـيف أو مآله إلى الموت والفناء وقـد سمى «لولو» الذى يعنى الإنســان البعـيد، وكذلك وردت إشارات توحى أن هذا الكائن هو بمثابة ابن الإله «إنكى»، ومن هذا المنطق أثير الاعـتقاد أن فكرة الأب الإلهى انطلقت من هذه الإشارة، حـيث يظهر الإنسان وكأنه ابن الله، وهو ما ظهر فى العقيدة المسيحية[3].

(1) السابق.

(2) السابق - ص 144، 145.

(3) إنجيل سومر - ص 142، خلق الإنسان فى الملاحم السومرية والبابلية، والخليقة وأصل الوجود - طه الباقر وبشير فرنسيس.

ولمحت بعض النصوص الأسطورية الخاصة بخلق الإنسان فى الدين السومرى إلى خلق الإنسان بطريقة تشبه زرع البذور فى الأرض، وظهور البشر على الأرض نتيجة لهذا الزرع، وكان الإله إنليل هو الذى يقوم بهذا العمل، وذكرت أسطورة أخرى أن الإنسان كان حيوانا يمشى على أربعة ويشرب ويأكل كالخراف ولا يلبس الملابس[1].

## - مأساة الإنسان الصابر (أيوب السومرى)(*):

وهذه القصة مثال على القيم الروحية فى الأدب السومرى، وهى عبارة عن قصيدة لحكيم سومرى تنم عن ألم نفسى قاس، وصبر إنسانى، وهى تتشابه فى كثير من جوانبها مع قصة أيوب النبى، وصبره على ما انتابه من الآلام. وهى تروى قصة رجل كان غنيا وحكيما وصالحا، ابتلى بالمصائب والآلام فاجتازها بصبر وثبات، وسكب قلبه ودموعه أمام إلهه متذللا طالبا إليه إنقاذه من ضيقه وتعاسته، فرق له الإله وحول شقاءه إلى سعادة، وبدل ترحه إلى فرح.

فى البداية يعلن الحكيم عن وجوب تعظيم الإله، واللجوء إليه. فيقول:

**لينشد الإنسان بحمد ربه، بعظمة إلهه.**

**ليسبح الشاب بحمد ربه بكلمات صادقة.**

**كيف يئن من يعيش فى بلاد عادلة؟**

ثم يشكى الحكيم مرارة ما يعانيه للإله. فيقول:

**أنا الرجل، أنا الحكيم، إن من يذكرنى باحترام لن يفلح.**

---

(1) المصادر السابقة.

(*) حول هذه القصة انظر Karmer - The Sumerians pp. 129، وإنجيل سومر - ص 145 :147، والحكمة فى وادى الرافدين - ص 51 :56.

إن كلمتى الصادقة أصبحت كذبا.

إنك غمرتنى بآلام تتجدد كل يوم.

وصديقى لم يقل عنى كلمة صدق.

إن صديقى كذب كلمتى الصادقة.

الأفاك تآمر ضدى.

وأنت يا إلهى لم تمنعه.

أنا... أنا الحكيم... لماذا أكون مرتبطا بشباب جهال؟

أنا... أنا الفطين... لماذا أحصى بين الجهال؟

وطعامى... إن طعامى انقلب إلى جوع.

وفى يوم التوزيع.. وزعت الأنصبة للجميع وكان نصيبى الألم.

ثم يتذلل إلى إلهه حتى يفرج عنه الكرب:

يا إلهى، إنى واقف.

هل أخاطبك ؟ إن كلامى لأنين.

إنى أخبرك عنه، هل تثير فى طريقى مرارة الأنين.

هل ينقلب النشيد إلى عويل ؟

يا إلهى ...إن النهار يسطع بأضوائه على الغبراء، أما أنا فنهارى ظلام.

إن النهار يسطع، إن النهار الجميل يتألق كالشعاع.

وأما أنا، فدموع وعويل وأنين وشكوى.

الآلام تغمرنى، كأنى لم أخلق إلا للدموع.

إن الشؤم، طوقنى بذراعيه وأطبق على أنفاسى.

**الأوجاع والأمراض قد نضت جسدى.**

**يا إلهى... أنت أبى الذى ولدتنى[1]... ارفع رأسى.**

**إلى متى تهملنى ؟ دعنى بدون حمى.**

وأخيرا يستجيب الإله لدعاء الحكيم وتذلله:

**إن الرجل... سمع إلهه إلى دموعه وبكائه المر.**

**إن ذلك الفتى... وصل أنينه وعويله إلى قلب إلهه.**

**وقبل الإله الكلمات الصادقة الطاهرة التى قدمها الفتى.**

**إن الكلمات التى رفعها الفتى صلاة، سرت إلهه وهزت مشاعره.**

**فسحب إلهه كلمة الشر عنه.**

**القلب الذى سلمه للعذاب عاد فعانقه.**

**ودفع آلامه وأوجاعه وأسقامه بعيدا عنه بعد أن تعالت.**

**الأوجاع التى ابتلاه بها أبعدها عنه.**

**وأبدل حظه العاثر الذى كان قد نطق به عليه.**

**إنه أبدل آلام الرجل بسرور.**

**وأرسل إليه يد العطف وأرواحا صالحة لتقوده.**

**وحباه روحا صديقة لتسير معه.**

**لذلك عاد الرجل يشيد بعظمة إلهه.**

ويرى كثير من الباحثين - وبحق - أنه بمقابلة أبيات هذه القصيدة بما ورد فى سفر أيوب، وبعض ما جاء بسفر المزامير، لوجدنا تشابها قويا ومطابقة واضحة للعيان.

---

(1) فهم يعتقدون - كما أسلفنا فى المتن - أن الإنسان هو ابن الله.

## - خلق أشنان ولاحار:

أشنان هى إلهة الحبوب، وهى تشبه إلى حد ما الإلهة الرومانية «سيرز» إلهة الحبوب والزراعة، وهى تقابل كذلك الإلهة «دميتر» إلهة الحبوب والحصاد عند الإغريق، وكانت عبادتها مرتبطة - فى سومر - بعبادة إلهة الأرض[1]. أما «لاحار» فهى إلهة الماشية والحظائر والغنم، وهما شقيقتان خلقهما الإلهان «إنليل» و«إنكى»[2].

وتصف الأسطورة حال العالم قبل خلق هاتين الإلهتين الشقيقتين. فتقول:

**لم يكن هناك نعجة، ولا قُذِفَ بحَمَل.**

**لم يكن هناك عنزة، ولا قُذف بجدى.**

**النعجة لم تلد حملين.**

**العنزة لم تلد أجداءها الثلاثة.**

**حبة الشش ذات الثلاثين يوما لم تكن وجدت.**

**حبة الشش ذات الأربعين يوما لم تكن وجدت.**

**الحبة الصغيرة، حبة الجبل، حبة المخلوقات الطاهرة لم تكن وجدت.**

**لم يعرف الأنوناكى أكل الخبز.**

**ولم يعرفوا لباس الحلل.**

**كانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام.**

**ويشربون الماء من الجداول.**

(1) الحكمة فى وادى الرافدين - ص 219 - هامش 1.

(2) طقوس الجنس المقدس - ص 85. والسومريون - ص 220.

وهناك من يرى أن لاحار إله ذكر. إنجيل سومر - ص 149.

**وفى تلك الأيام فى حجرة الخلق الخاصة بالآلهة .**

**وفى بيتهم المسمى دوكو خُلق لاحار وأشنان.**

**وما أنتجه لاحار وأشنان أكله الأنوناكى ولكنهم لم يشبعوا.**

**ومن حظائرهما شرب الأنوناكى لبن «شم» الطيب.**

**شرب الأنوناكى، ولكنهم لم يرتووا.**

**فمن أجل حظائرهما الطيبة الطاهرة.**

**أعطى الإنسان نفس الحياة[1].**

وكما ذكرنا سابقا - عند الحديث عن خلق الإنسان - فإن الآلهة قد شعروا بالتعب، لذا قرروا خلق الإنسان ليعمل بدلا منهم ويوفر لهم الزاد، لذا كان من الضرورى - والحال كذلك - أن تنزل الإلهتين إلى الأرض. تقول الأسطورة:

**فى تلك الأزمان قال الإله إنكى للإله إنليل.**

**يا أبتى إنليل إنه لاحار وأشنان.**

**اللتين خلقناهما فى بيت الآلهة (الدوكو).**

**دعنا ننزلهما من بيت الآلهة.**

**وبكلمة إنكى وإنليل المقدسة.**

**هبط لاحار وأشنان من بيت الآلهة (الدوكو).**

**لقد أنشأ (إنليل وإنكى) للإلهة لاحار الحظيرة.**

**وجعلا لها النباتات والأعشاب الوفيرة.**

**أما أشنان فقد أقاما لها بيتا.**

(1) انظر المرجعان السابقان، وأدب الحكمة - ص 220، 221.

**وقدما المحراث والنير هدية لها.**

**لاحار واقفة فى حظيرتها.**

**راعية تزيد نتاج حظيرتها هى.**

**أشنان واقفة بين المحاصيل.**

**عذراء لطيفة وجميلة هى[1].**

ثم تعمل الإلهتان على نشر الخير والرخاء بين البشر حتى أنعم فيهما كل بيت، تقول الأسطورة:

**لاحار واقفة فى حظيرتها.**

**راعية تزيد نتاج حظيرتها هى.**

**أشنان واقفة بين المحاصيل.**

**عذراء لطيفة وجميلة هى[2].**

**الرزق الذى يأتى من السماء.**

**لاحار وأشنان كانتا من ورائه.**

**إلى المجتمع جلبتا رزقا.**

**وإلى البلاد جلبتا نسمة الحياة.**

**ناموس الآلهة توجهان.**

**ما ضمت المخازن تكثّران.**

**المخازن تملآنها إلى التمام.**

(1) السابق.

(2) طقوس الجنس المقدس ص 85.

**إلى بيت الفقراء الذى يعانقه الغبار.**

**تدخلان وتجلبان الرزق.**

**كلتاهما، حيثما وقفتا.**

**جلبتا زيادة غزيرة إلى البيت.**

**المكان الذى تقفان تشبعان، والمكان الذى فيه تجلسان تموّنان.**

**تدخلان السرور على قلب آن وإنليل[1].**

كان الإلهتان تشـربان الكثير من الخمر، وكثـيرا ما كانتا تتشـاحنان، فكل منهما تحاول أن تثبت للأخرى أنها الأفضل، وأنها الأجـدى، فتقول لاحار أنها التى تطعم الآلهة اللبن والزبدة، وأن غلة أشنان تنمو فى الأرض بدون جهـد، فترد أشنان أنها هى التى تزرع وتسقى وتحصـد الطعام للآلهة، وأنها لولا غلتها مـا أنتجت لاحار، وهنا تحكم بينهما الآلهة، فتـعطى الحق لأشنان لأنها الأسبق فى العمل من لاحار، فتقنع لاحار بحكم الآلهة وتمضى الحياة متدفقة خصبة[2].

## - خلق إيـمش وإنـتن:

بعـد أن قـرر الإله «إنليل» أن تثمر جـميع أنواع الشجر وأن يهـب البلاد رزقاً ورخاء عـمد إلى خلق أخـوين هما «إيمش» وهو الـصيف، و«إنتن» وهو الشـتاء، وقرر أن يعهد إلى كل منهما مهمته الخاصة به، تقول نصوص الأسطورة:

**إنتن جعل النعجة تلد الحمل، والعنزة تلد الجدى.**

**جعل البقرة والعجل يتكاثران، والقشدة واللبن يزيدان.**

**فى القفار أدخل السرور على قلب الماعز البرى والغنم والحمار البرى.**

---

(1) السابق.

(2) انظر - إنجيل سومر - ص 151، وأدب الحكمة - ص 224 والسومريون ص 220.

**طيور السماء جعلها تبنى أعشاشها على الأرض الرحيبة.**

**سمك البحر جعله يضع بيضه فى دغل القصب.**

**فى غياض النخيل والكرمة جعل العسل والنبيذ وفيرين:**

**الأشجار، حيثما زرعت، جعلها تحمل ثمارا.**

**البساتين كساها بالأخضر، أخصب نباتاتها.**

**جعل الحب يتكاثر فى الأخاديد.**

**مثل أشنان العذراء اللطيفة، جعله يطلع قويا.**

**إيمش أيضا قام بمهمته خير قيام.**

**إيمش أوجد الأشجار والحقول، وسع الاصطبلات والحظائر.**

**المزارع كثر غلاتها، كسا أرضها.**

**جعل المحصول الوفير يدخل البيوت، وملأ العنابر إلى تمامها.**

**جعل المدائن والمساكن تشاد، والبيوت تبنى فى البلاد.**

**والمعابد تطاول الجبل[1].**

يستنتج من النص السابق أن الأخوين «إنتن» و «إيمش» استطاعا فعلا أن ينجزا مهمتهما من أجل مد الأرض بأسباب الإنماء والرخاء والخير، لذا قررا الذهاب إلى «نفر»[2]، حيث مقام الإله إنليل لتقديم وافر الشكر والثناء وتقديم القرابين، نقد قام إيمش بجلب أنواع عديدة من الحيوانات، وأصناف من الطيور والنباتات كهدية

(1) انظر - كريمر - السومريون - ص 218 :220، وطقوس الجنس المقدس - ص 86، 87.

(2) نفر أو نيبور: أقدس المدائن السومرية، مقام كبير آلهتها إنليل. وكان فى نيبور أعظم أكاديميات سومر، وأكثر الألواح المكتشفة - حتى الآن إنما مصدرها من وحى الكتابة فيها.

- انظر - كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 247.

ونذور، بينما قدم «إنتن» نماذج مختارة من المعادن الثمينة والأحجار والأشجار والأسماك كقربان منه إلى الإله إنليل[1].

وقبل أن يصلا إلى إنليل اشتد الجدل بينهما، فكل منهم يريد أن يبرهن أنه الأفضل، وأن هداياه أفضل من الآخر، وعندما يدخلا على إنليل يبدأ إنتن بالشكوى فيقول:

**يا أبتى إنليل قد عهدت إلى بشئون القنوات.**

**فجلبت مياه الخير.**

**وملأت صوامع الحبوب.**

**وأكثرت الغلة فى المزارع.**

**ومثل أشنان العذراء الرحيمة، جعلتها تنمو بغزارة.**

**لكن إيمش الذى لا يفهم شيئا فى زراعة الحقول.**

**قد زاحمنى بالمرفق والمنكب وفى قصر الملك[2].**

ويقول إيمش ردا على ما قاله إنتن:

**أى إنليل المعظم.**

**إننى عبدك وصنيعك.**

**وأنا الموكل على أشجارك وحقولك واصطبلاتك.**

**ولكن إنتن أنكر على ما فعلت[3].**

---

(1) السابق، والحكمة فى وادى الرافدين - ص 227.

(2) كريمر، السومريون - ص 219، والحكمة فى وادى الرافدين - 228، 229.

(3) إنجيل سومر - ص 153.

ويصدر إنليل حكمه فيقول:

**يسيطر الشتاء «إنتن» على المياه التى تجلب الحياة على الأرض، وهو فلاح الآلهة الذى يكدس الغلال، إيمش يا بنى كيف تقارن نفسك بأخيك إنتن[1].**

وفى هذا تفضيل لفصل الشتاء على فصل الصيف، وهذا يرجع إلى المناخ الزراعى فى سومر، حيث كان فصل الشتاء هو فصل الزراعة الأساسى، وكان ينتهى هذا الفصل مع مقدم الربيع الذى يعتبر فصل الحصاد ويحتفل به فى احتفالات واسعة كرأس سنة جديدة[2].

وتقول الأسطورة فى نهايتها «إن كلمات إنليل السامية العميقة تنفذ إلى قرار كل شىء، حينها ركع إيمش أمام إنتن وجاء إلى بيته بالنبيذ والعنب والتمر، ومثلما نصر الإلهة «أشنان» نصروا إنتن لجهده العظيم فى زراعة الأرض، وهكذا قدم إيمش لإنتن الذهب والفضة وحجر اللازورد وفى نشوة الإخوة الصادقة سكبا الخمرة بكل سرور تمجيدا للإله وعقدا العزم على خدمته»[3].

* * * *

(1) الحكمة فى وادى الرافدين - ص239، 230.

(2) إنجيل سومر - ص 151.

(3) السابق - ص 153.

# الفصل الثانى
# أسطورة إنليل وننليل

ذكرنا فى الفصل السابق أن إله السماء «آن» تزوج من إلهة الأرض «كى» وأنجبا «إنليل»، الذى يعنى اسمــه سيد الهواء، ويلقب بجبل الريح، ورأيـنا كيف قام إنليل بالفصل بين أبيه السماء وأمه الأرض بعد أن كانا ملتصقان.

ولكى نتعرف على هذا الإله بصورة أوضح، وعلى مقـامه بين آلهة سومر علينا أن نطالع هذه الترنيمة السومرية المرفوعة إلى الإله إنليل:

**بدون إنليل، الجبل العظيم.**

**لا المدائن شيدت، ولا المقار أسست.**

**لا الاصطبلات شيدت، ولا حظائر الغنم أقيمت.**

**ولا الأنهار مياهها العالية جلبت الفيض.**

**ولا البحر أعطانا مختارا كنوزه الوفيرة.**

**ولا سمك البحر وضع بيضه فى الأحواض.**

**ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الأرض الرحيبة.**

**لا الغيوم المحملة بالغيث فى السماء فتحت أفواهها.**

**ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير.**

**ولا الأعشاب والحشائش فى السهول نبتت.**

**ولا أشجار الجبل الكبيرة فى البستان حملت ثمارها.**

**ولا البقرة وضعت عجلها فى الاصطبل.**

**ولا الغنمة ولدت حملها فى الحظيرة.**

**ولا الجموع الغفيرة من بنى البشر اضطجعت آمنة.**

**ولا البهيمة من ذوات الأربع ولدت صغارها.**

**ولا رغبت فى التناسل**[1]**.**

وتقول النصوص السومرية عن كلمة إنليل التى لا تتبدل:

**كلمة إنليل...**

**تقارب السماء - فيكون الفيض.**

**من السماء ينزل الفيض إلى الأرض.**

**كلمة إنليل - تلامس الأرض، فتكون الوفرة.**

**من الأرض تصدر براعم الخصب.**

**حكمتك - هى الزرع، كلمتك هى الحبوب.**

**كلمتك هى الماء العامر، حياة جميع البلاد**[2]**.**

والكلمة هنا هى ما عبر عنه الإغريق فيما بعد بـ (اللوجوس Logos) وأخذها عنهم القديس يوحنا فى إنجيل يوحنا، حيث يقول: «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[3].

وتظهر هنا الإشارة إلى أن كلمة إنليل هى الماء الغامر، وهذا يعنى أن الكلمة هى المطر الذى يعتبر أحد مظاهر الهواء، فالسحب يحركها الهواء ويمطرها، وهنا

(1) كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 80.
(2) السابق - ص 81.
(3) إنجيل يوحنا - 1: 1.

نجد أن الكلمة غير مجـردة، فهى لها معنى محدد هو منىّ إنليل (أى مطره) وفـى ذلك ما يشير إلى تحول قوة الإخصاب الذكورية من إله السماء «آن» إلى إنليل[1].

وارتباط إنـليل بالمطر والخصب يأتى من ارتبـاط المطر بالهـواء والغيوم الـتى كان يمثلها إنليل، ومن المؤكد أن كهنته أضفـوا عليه صفات الحياة والخصب لكى يجعلوا منه خالقا شموليا. ويظهر أقدم رموز إنليل فى نهاية الألف الخامس قبل الميلاد على شكل مثـلثين متـقابلين من الرأس، ثم تـطور إلى الفأس المزدوج الذى يشـير إلى العمل والبناء وإلى القوة والسلطة أيضا[2].

وربما كان الإله «آن» إله السمـاء، يأتى على رأس الآلهة فى مطلع الألفيـة الثالثة قـبل الميلاد، وربما ظل حـتى ذلك الحـين الإله الوحيـد الذى يرعى شـئون مـدينة إيريك، وفى حـوالى 2500 ق.م حل محله إنليل «إله مدينة نيـبور أونفر»، وتربع على عرش كـبير الآلهة، وربما كـان هذا نتيجـة لصراع سيـاسى فقدت فيـه مدينة "إيريك "تفوقها على المدائن السومرية المجاورة[3].

ويقيم الإله إنليل فى مـدينة نفّر (نيبور) التى تقع إلى الجنوب من بغـداد حوالى مائة ميل، وهى تعتبر أول مدينة على الأرض فى أسـاطير سومر، كونها مدينة الإله إنليل، الإله القومى للسومـريين، وفى هذه المدينة يشيد الإله معبـده الكبير (إيكور Ekur) أى بيت الجبل. وتعتبر (نفر) العاصمة الدينية لسومر، وكان ينظر إليها وكأنها فاتيكان السومرين، إذ يحجون لهـا من كل المدن السومرية، ويصلون لإلهها وإلههم إنليل. وكان وزير وحاجب إنليل هو **«نسكو»** الذى هو «كلمة قلب إنليل وكاشف سره والمحيط بأوامره وعامل نواميسه المقدسة»[4].

---

(1) إنجيل سومر - ص 16.

(2) السابق.

(3) كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 212.

(4) إنجيل سومر - ص 16 :18.

ويعتبر نسكو (نوسكو) فى الأساطير السومرية ابن ووزير للإله إنليل، وتذكر بعض النصوص أنه ابن الإله (آن)، ويظهر فى النصوص السومرية والأكدية على أنه إله الضوء والنار وكان ذكره حاضرا فى التعاويذ الأكدية بشكل خاص باعتباره إلها مضادا للسحر الأسود، أى أنه كان يقوم بحرق السحرة والمشعوذين[1].

وكان يرمز له بالمصباح الموضوع على منضدة مرتفعة، وكان هذا الرمز يستعمل للتعبير عن إله سومرى آخر هو (اليجبيل) أو (كيبل) الذى هو إله النار أيضا وأحد آلهة العالم السفلى وكان اسمه الأكدى (جيّرا)[2].

## - زواج إنليل وننليل:

اسم ننليل الحقيقى هو سود (Sud)أى الطويلة، وهذا هو اسمها قبل أن يتزوجها إنليل، أما بعد أن تزوجها فقد أطلق عليها اسم ننليل أى (سيدة الهواء). وتنحدر الإلهة «سود» من «نيصابا» إلهة الحبوب والكتابة، ومن الإله «خايا» أو «حايا» وهو إله الصوامع، وهذان الإلهان من شجرة الإله «إنكى» إله الماء والحياة[3].

وتقول الأسطورة أن ننليل كانت فائقة الجمال، وعندما رآها إنليل لم يستطع أن يتمالك نفسه من جمالها، فعرض عليها الزواج، وحاول أن يقبلها، فرفضت وأوصدت الباب فى وجهه، إلا أنه لم ييأس، فأرسل وزيره وحاجبه «نسكو» - ومعه هدايا كثيرة - كى يخطب له ننليل، وبالفعل يذهب نسكو إلى إيريش، ودخل «الإيزاجين» معبد الإلهة ننليل، وبالفعل توافق ننليل على الخطبة، ويمتلئ قلب إنليل بالسرور[4]. تمت مراسم زواج إنليل وننليل، بعد أن أهداها هدايا لا يحصى

---

(1) إنجيل سومر - ص 21، كريمر - الأساطير السومرية، وقاسم الشواف - ديوان الأساطير.

(2) المصادر السابقة.

(3) إنجيل سومر - ص 19، 20.

(4) انظر - السابق - ص 21 :23.

عددها ونوعها، وبعد الزواج مباشرة منحها لقب «أشنان»، وأشنان كما ذكرنا فى الفصل الأول هى إلهة الحبوب فى سومر، وقد منح إنليل هذا اللقب لزوجته «سود» لأنه يريد منها أن تسيطر على حقول القمح أو حصاده، ولذلك كانت «سود أو ننليل» توصف بأنها سيدة حب الحنطة عندما تذروه الرياح، أى عندما ينقى من القشور، ورمزها المعروف هو سنبلة القمح ذات الستة فروع، وذات الثلاث وريقات[1].

وبعد ذلك منحها إنليل لقب «نيصابا» Nisaba أو نيدابا Nidabaوهى والدة «سود» وهى - كما ذكرنا - إلهة البذور والحبوب، ثم إلهة الأعداد، وإلهة الكتابة، وإلهة الفلك، وإلهة الذكاء التى تفكر وتفتح آفاق التفكير لمن تحبه، وتظهر كإلهة للكتابة وهى تمسك القلم وكإلهة للفلك وهى تحمل لوحة النجمة. ويعطى السومريون لنيصابا أهمية استثنائية، إذ يرون أنها نقلت الإنسان من التوحش إلى المدنية، وكانت تعبد فى مدينة (أوما Umma)[2].

أما زوجها - كما ذكرنا - فهو الإله «خايا» أو «خانى» رب الكتابة وسيد الأختام، وكان يوصف بأنه إله الصوامع، وهو يقابل «نبو» البابلى، ولذلك وصفت نيصابا فى العصور البابلية بأنها رفيقة الإله «نبو»[3].

وقد منح إنليل زوجته لقب أمها نيصابا أو «ننبار شكونو» ليجعلها عارفة بالمحاصيل والحقول والمقاييس، وهذا يدل على أن الكتابة نشأت فى الأساس كحاجة من حاجات المعبد لعد المحاصيل وإحصائها[4].

(1) انظر - إنجيل سومر - ص 25، 26.
(2) السابق.
(3) السابق.
(4) السابق.

وأخيرا توج «إنليل» زوجته بلقب «ننليل» الذى يعنى الاقتران المطلق به، فهو سيد الهواء والرياح وهى - بهـذا اللقب - سيدة الهـواء والرياح. وكلمة «Lil» عـنـد السومـريين تعنى المادة التى بين السماء والأرض، وكـان هذا الجزء مظلم - مـن وجهة نظرهم - يضاء بالنهـار بواسطة الشمس، وبالليل بواسطة النجوم والكواكب، وقد عـبرت كلمة «ليل» أيضـا عن الروح، باعتبـار الروح هى النفس أو الريح التى تدخل وتخرج من أنفـه، فكأن الإنسان يأخذ روحـه من الريح أو من إنليل ولهذا فالكون حى بفعل (ليل Lil) وسيده إنليل وسيدته ننليل[1].

## - فداء إله القمر والنزول إلى العالم السفلى:

تقول الأسطورة أن إنلـيل جامع زوجتـه ننليل داخل قارب، فحـملت منه الإله «نانا» إله القمر، إلا أننـا نجد أن الآلهة تنهر إنليل وتوصمـه بالفسق، على الرغم أن ننليل زوجته، ولكن يبدو أن هذا الجماع قـد تم بينهما قبل أن تتم مراسم الزواج، على كل حال يـصدر مجـمع الآلهة قراره بـنفى إنليل إلى العالم الأسـفل، ويقوم إنليل بتنفيذ القرار، وتتبعه ننليـل ولكنه يرفض أن ترافقه إلى العالم الأسفل، خاصة وهى تحـمل فى أحشـائهـا بذرة إله القمـر، ولكن تصـر ننليل وتتبـعه إلى العـالم السفلى[2].

وهكذا، نجد أن إنلـيل وننليل وهى تحمل «نانا» إله القـمر، أصبح ثـلاثتهم فى العالم السفلى، ولكى يكتب لهم النجـاة كان لابد أن يحل محلهم ثلاثة آلهة، وبناءا على هذا الأسـاس يبدأ إنليل فى وضع خطـة لنجاة ثلاثتـهم من العالم السـفلى، وعودتهم مرة أخرى إلى العالم العلوى.

---

(1) السابق.

(2) كريمر - الأساطير السومرية - ص 70، وإنجيل سومر - ص 29 :30.

يعلم إنليل أن ننليل تبعـته إلى العالم السفلى، وكـان دافعها فى ذلك حـبها له، فيبدأ إنليل فى تنفيذ مخططه، فيتنكر فى صورة حارس بوابة العالم السفلى، فتسأله ننليل عن إنليل، فيعلمها أنه لم يره، وعرض عليها أن يجامعها حتى تلد إلها يكون فداءا لـ «نانا» إله الـقمر ابن إنليل، وبالفـعل تستـجيب له ننليل وتلد «مـسلام تاى Meslamtaea» وهو الإله **«نركال أو نرجال Nergal»** ، وهو إله شمسى فى بدء حياته، إلا أنه أصبح بعد ذلك إله العـالم الأسفل عندما تزوج أرشكيكال، وسيكون هذا الإله أحـد بدائل الآلهة الـعلويين الثلاثة - إنـليل وننليل ونانا - فى العـــالم الأسفل[1].

يستمر إنليل فى تنفيذ خطتـه للخروج من العالم الأسفل هو وننليل ونانا، فيتنكر فى صورة صاحب نهر الجحيم، وبالطبع لم تعرفه نـنليل، فتسأله عن إنليل فيخبرها أنه أوصاه بها، ويقنعها للمرة الثانية أن يجامعها حتى ينجبا إله يبقى فى العالم السفلى بدلا من «نانا» إله القمر، وبالفعل تنجب إنليل الإله الثانى **«ننازو Ninazu»**، وهو إله مدينـة «إنغير» على الفـرات الأسفل بين لارسـا وأور ومدينة أشنونا فى مـنطقة ديالى، وزوجـتـه هى ننغـريدا ابنة إنكـى. وننازو إله مـائى سـفلى كـان إله الطب والشفاء. وهو أحد آلهة العالم الأسفل، ويوصف أيضا بأنه ابن نركال وأرشكيكال. وكانت عبادته منتشرة فى مـدينة ديالى «مملكة أشنونا» حتى عصر أور الثالث، وحل محله فيما بعد الإله تشابك[2].

وأخيرا - وبنفس الطريقة - يتنكر إنليل فى هيئة عبار نهر الجحيم، ويجامع ننليل وتلد له **«اليجبيبل»** لكى يفدى به أحد الآلهة الثلاثة العلويين، وهذا الإله الثالث هو إله النار فى العـالم الأسفل، ويناظر إله النار «نسكو» فى العـالم العلوى. وهذا الإله

(1) انظر - إنجيل سومر - ص 31.

(2) انظر - إنجيل سومر - ص 32، 33.

إله شمسى أيضا فى أصله وقد أعيدت عبادته بطريقة تثير العجب والتساؤل كإله عظيم تحت نفس الاسم عند الرومان (128 - 222)م، ويرى البعض أن هذا الإله السومرى هو نفسه الإله السورى الذى بدا وكأنه إله حمص وسوريا، وارتبط بالمجون والمعتقدات الشرقية القديمة، وكان مظهرا من مظاهر التوحيد فى الديانة الرومانية بوجهها السورى، وكان يسمى «اليجبال» أو «اليجبيل»[1].

فى نهاية الأسطورة يولد إله القمر «نانا» وينعتق إلى العالم الأعلى ومعه أمه وأبوه، ويقبع الآلهة الثلاثة (مسلام تاى، وننازو، واليجبيل) فى العالم السفلى فداءا للآلهة الثلاثة.

ويبدو كل هذا الغموض فى تنكر إنليل والحمل المتواصل للإلهة ننليل بسبب الاعتقاد السومرى بأن الإله القمر يقضى النهار فى العالم الأسفل والليل فى العالم الأعلى، أى أنه إله علوى وسفلى، وأنه فى نهاية الشهر القمرى يحبس ثلاثة أيام ثم يطلع إلى الأعلى. وكان السومريون يقومون بطقوس خاصة وأدعية وتعاويذ لإخراجه من ذلك العالم، فهم يعتقدون أن الأشباح والشياطين تهجم على زورقه وتسجنه فى العالم الأسفل لثلاثة أيام[2].

وللإله «نانا» فى السومرية لقب معروف هو «أشيم بابار» أو «أشكر بابر» وفى الأكدية «نمرصيت» ويعنى صاحب الشروق المشع. وكان فى سومر يعرف أيضا بـ «سواين» وهو الاسم الذى صار مصدر اسمه السامى فيما بعد «سين»[3].

وكان الإله «نانا» يزور أبيه «إنليل» من وقت لآخر محملا بالهدايا ليطلب مباركته، فكان يرحل من «أور» مدينة القمر إلى «نفر» مدينة الهواء قاطعا بينهما عدة

(1) السابق.

(2) السابق.

(3) السابق وسين هو إله القمر عند البابليين.

مــدن، وهذا الجزء من الأسطورة يشـيــر إلى العلاقــة بين القــمر والهـواء أو النور والظلام، فالنور يزور الظلام بين وقت وآخر أو كل ليلة[1].

وكان للإله «نانا» معبد فخم فى «أور» هو معبد «إكشينوجال»، وله معبد آخر فى حرّان شمال وادى الرافدين، وفى حــرّان كان يعبد هذا الإله مع الإله «نسكو» إلــه الضوء والنار على اعـتبار أن نسكو هو ابن القمــر. وقد حافظت حرّان علــى عبادة الإله القمر حتى العصور العربية الإسلامية[2].

* * * *

(1) انظر – كريمر – الأساطير السومرية وإنجيل سومر – ص 36، 37.

(2) المصادر السابقة.

# الفصل الثالث
# أسطورة إنكى

## - مولد إنكى وزواجه بننخرساج:

إنكى Enki [1] أخو الإله «إنليل»، وهو الابن الثانى للإله «آن» إله السماء، وأمه «كى» إلهة الأرض. وإنكى هو إله الماء، ويوصف بأنه إله الحياة لأنه أب لكل شىء حى، وهو لذلك إله الطب والشفاء وهو إله الحكمة وإله السحر، ويشكل مع أبيه «آن» وأخيه «إنليل» **الثالوث السومرى الأول.** ومدينة إنكى المقدسة هى «أريدو» (أبو شهرين الحالية)، وهو سليل «أبسو» مياه الأعماق، ورمز الإله أنكى السومرى هو الجرة الكمثرية الشكل التى تنبع منها خطوط المياه، ويقابله فى الأكدية الإله «إيا» الذى كان اسمه الأكدى يلفظ فى الأصل «آ»، وربما لُفظ فى الأصل كـ «حيا» الذى يدل على الحياة، ويعتقد أن اسم الإله الحثى «آش» والاسم اليونانى «آوس» مشتقان منه [2].

يقول إنكى عن نفسه:

**أنا الرب، من إذا أمر لا يسأل عن أمره.**

**أنا الأول من بين جميع الأشياء.**

**بأمرى، الاصطبلات شيدت، وحظائر الغنم سورت.**

**عندما قاربت الأرض، فاضت ينابيع.**

---

(1) سبق وتعرضنا للإله إنكى وزوجته ننخرساج أو ننماخ فى الفصل الأول عند الحديث عن خلق الإنسان، فارجع إليه.

(2) إنجيل سومر - ص 38.

**وعندما قاربت مروجها الخضر.**

**تكدست الحبوب أكواما وتلالا بكلمتى**[1].

لكن إنكى لا يأتى بالمطر من السماء لإخصاب الأرض وحسب، وإنما هو يملأ الأنهار بالماء العذب الرقراق، تقول النصوص:

**عندما رفع الأب إنكى عينه على نهر الفرات.**

**وقف بخيلاء كالثور الهائج.**

**رفع قضيبه، وقذف بالمنى.**

**فملأ دجلة بالماء الرقراق.**

**البقرة البرية تخور من أجل صغارها فى المراعى.**

**استسلم له دجلة كما لثور هائج.**

**رفع قضيبه ومعه هدية الزفاف.**

**جاء بالفرح إلى دجلة مثل ثور برى كبير عند الإخصاب.**

**الماء الذى جاء به ماء رقراق، نبيذه حلو المذاق.**

**الحبوب التى جاء بها، حبوبه غنية، يأكلها الناس.**

**ملأ «أيكور» بيت إنليل، بالمقتنيات.**

**بأنكى إنليل يبتهج، وتُسرّ نيبور**[2].

بعد ذلك - ويأمر من الأرباب - يسكن إنكى مدينة «**دلمون**»، وهى الأرض التى اعتبرها السومريون خالية من الشرور، ومسكونة من قبل الآلهة والخالدين من

(1) انظر - كريمر - السومريون - ص 171 - 183، وكريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 81 - 83.

(2) انظر السابق - ويلاحظ أن المقطوعة صورت نزول الماء بمدلول رمزى جنسى.

البشر، ويعتقد أن دلمون هى بلاد البحرين حاليا، وهى تشكل الفردوس السومرى، ولكنها لا تقابل مفهوم وحقيقة الجنة عند المسلمين، وذلك لأن العقائد الدينية السومرية لا تتضمن فكرة الثواب والعقاب، ومن ثم ذهاب المثاب إلى الجنة، بل نرى أن دلمون هى مكان الآلهة أولا، ثم هى مكان الخالدين من البشر مثل «زيوسدرا» السومرى و«أوتونابشتم» البابلى الذى يرد اسمه فى ملحمة جلجامش، فهو حين ينال الخلود من قبل الآلهة - بعد أن أنقذ الجنس البشرى والحياة من الطوفان - يوضع فى دلمون مكافأة له[1].

وفى أرض«دلمون» يتقدم إنكى إلى «ننخرساج» ليتزوجها، فترفض فى بادئ الأمر، لأنها رأت أن إنكى إله لعوب محتال ذكى، فألح إنكى ليتزوجها فرفضت مرارا ثم قبلت الزواج منه[2].

وننخرساج تعتبر إلهة الأرض كلها، وإلهة الخصب والحياة على الأرض، ولها أكثر من إثنى عشر اسم دال عليها، كل اسم فى حقيقة الأمر يمثل صورة أو شكلا جديدا من أشكالها مثل:

«دامكال نونا: زوجة الأمير الكبيرة»، و«ننكى: سيدة الأرض»، و«ننماخ: السيدة الكبيرة»، و«ننتو: السيدة الكبيرة»، و«مامى: الأم»، و«كاتوم دوك: إلهة الأطفال» و«بيليتى: سيدة الإنجاب»، و«دنكيرما: الإلهة الأم» و«ننمينا: سيدة القبعات الإلهية»[3].

بعد ذلك يتصل إنكى «الماء» جنسياً بننخرساج «الأرض» ومن الطبيعى أن ينتج

---

(1) انظر - كريمر - من ألواح سومر - أشار إليه خزعل الماجدى فى إنجيل سومر - ص 43.

ويرى البعض أن مدينة «دلمون» بهذا التصوير تعتبر أصل الأسطورة التوراتية حول فردوس عدن وما تم فيها - انظر السابق.

(2) إنجيل سومر - ص 43.

(3) السابق.

من هذا الاتصال بين الماء والأرض ظهور النبات، لهـذا تلد الإلهة ننخرساج الإلهة **«ننسار»** إلهة النباتات[1].

## - إنكى يضاجع بناته:

بعد أن كـبرت «ننسار» ابنة إنكى وننخـرساج، يراها إنكى على ضفـاف النهر - وهو لا يعرفها - فيود مضاجعتها، ويعرض الأمر على وزيره **«إيسمد»**[2] فيبدى له الموافقة، فيدعوها إنكى إلى قاربه ويضاجعها، فتحمل منه وتلد الإلهة **«ننمو»** إلهة الألياف، وهذا يرمز للتماس بين المياه والنباتات بشكل متصل والذى ينتج عنه ظهور الألياف[3].

وبنفس الطريقة يشاهد إنكى الإلهة «ننمو» إلهة الألياف، ويرغب فى مضاجعتها، ويسهل له وزيره «إيسمد» الأمر، ويضاجعـها إنكى، فتحمل وتلد الإلهة **«ننـكور»** إلهة الأصباغ، التى تأتى من اتصال النباتات والألياف بالمياه، وترمز أيضا إلى سلسلة من التفاعلات بين الماء والنباتات[4].

وبعد ذلك يضاجع إنكى الإلهة «ننـكور» لتلد بعدها ابنتها **«آتـو»** إلهة النـسيج، وهو أمر منطقى أن يأتى النسيج بعـد الأصباغ، وكانت «آتو» رائعة الجمـال، فتراها «ننخرساج» فتحذرها من إنكى: **«أيتها العذراء الغالية، ليكن طريقك مليئا بالنور وحياتك مرهفة هانئة عليك أن تبتعدى عن هذا المتقلب المحتال إنكى».**

وبالفعل، عندما يطلب إنكى من «آتو» مضاجـعتها ترفض، وتطلب منه أن يقدم

---

(1) السابق - ص 44.

(2) إيسمـد: وزير الإله إنكى، ويعرف هذا الإله بأنـه الإله ذو الوجهين أي القادر علـى رؤية الأمام والخلف، وهو الذى يتدبر أمر مضاجعات إنكى من بناته وحفيداته.

(3) إنجيل سومر - ص 44 - ٦٤.

(4) السـابق -،ص 46.

لها الهدايا وأن يتقدم للزواج منها، ويفعل إنـكى كل ما طلبته منه، ويتزوجها، وتلد له ثمانى أشجار[1].

ونجد أن هذا الجزء من الأسطورة يقـترب إلى أشد الاقتراب من مضـاجعة نبى الـلـه "لــوط "لبنتيه دون أن يدرى، وذلك بعـدما سقتاه ابنتاه الخـمر طبقا لما ورد بالاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين.

## - إنكى يأكل النباتات السامة:

هذه الأشجـار أو النباتات الثمـانية والتى ولدتها «آتو» كـان منها ما هو مـحرم، ومنها مـا هو سام، إلا أن «إنكى» وجـدها نباتات زاهية فـأخذ يأكل منهـا، ولهذه الفعلة لعنته ننخرساج، فسرت اللعنة فى ثمانية أماكن من جسده، وسقط إنكى يئن من مرضه، ولذلك دب الخراب فى الأرض - فإنكى هو إله الماء - فاجتمع الآلهة وقرروا البحث عن «ننخرساج» والتى اخـتفت بعد لعنتها لإنكى - حـتى تداويه من العلل الثمانى التى حلت به وإلا لن تقوم للأرض قائمة[2].

ترق ننخرساج لحال إنكى، وقامت بولادة الآلهة الثمـانية ليقوم كل إله منها بشفاء علة من علل إنكى، فولدت **«آبو»** إله النباتات ليشفى عينيه، والإله **«ننتلا»** من أجل فكه، والإلهـة **«ننسـوتو»** زوجة «ننازو» أحد آلهة العـالم السفلى من أجل ضرسه، والإلهـة **«ننكـاسى»** التى تشفى آلام الفم والتى تشبع شـهوة القلب من أجل فمه، والإله **«نازى»** من أجل رقبته، والإلهة **«أزيموا»** من أجل ذراعه، والإلهة **«ننتى»** سيد الضلع من أجل ضلعه، والإله **«اينشاج»** من أجل ساقه، وبعد ذلك يتعافى إنكى ويصبح قادرا على القيام بعمله[3].

---

(1) السابق - ص 48.

(2) انظر السابق- ص 48 - 51.

(3) السابق.

## - إنكى يدعو «إنانا» ويمنحها النواميس المقدسة:

الإلهة «إنانا» هى إلهة الحب والجمال والخصوبة والتناسل والمتكفلة حراسة مدينة «إيريك أو أوروك»، ويعنى اسمها حرفيا «ملكة السماء»، ولها عدة رموز أهمها القصبتان المعقوفتان المذيلتان والقصبة ذات الحلقات الست والنجمة الثمانية ذات الستة عشر شعاعا، وهى ابنة الإله «ننار» إله القمر، وتلعب دورا شعبيا كبيرا فى نشر ممارسات الحب والجنس، وأصبحت إنانا نواة لأهم إلهة فى العالم القديم، فهى عند الساميين (إشتار أو عشتار)، وهى البطلة الرئيسية فى طقس الزواج المقدس[1].

تقول الأسطورة أن الإلهة إنانا قدمت إلى «الأبسو» (مقر الإله إنكى)، فأمر إنكى، وزيره «إيسمد» أن يرحب بها أشد الترحيب، وأن يقدم لها ما لذ وطاب، ثم قابلها «إنكى» وأخذ يشرب الخمر، ويرفع أنخابه للعذراء إنانا[2].

وفى غمرة سكرته يمنح إنكى لـ «نانا» النواميس المقدسة «مى» وهى مشتقة من كلمة سومرية غامضة المعنى، وربما تعنى الوجود، وتشمل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوى والسماوى الذى تسيره قوى إلهية خيرا أو شرا، ويعرف البعض هذه النواميس الإلهية بأنها جملة الوظائف المرتبطة بالطقوس أو العادات أو العبادات والأعراف، ويعرفها البعض الآخر بأنها الوجود الإلهى فى الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلى، وهى غير مشخصة بجسد، ولكن بواسطتها تتحكم الآلهة بأمور العالم[3].

أخذت إنانا هذه النواميس فى قاربها السماوى لتعود إلى مدينتها المقدسة

(1) انظر - كريمر - طقوس الزواج المقدس ص 240، وإنجيل سومر ص 64 وسوف تعرض لإسطورتها مع دوموزى فى الفصل القادم إن شاء الله.

(2) إنجيل سومر - ص 64.

(3) السابق - ص 65 - 67.

«أوروك» وتودع «أريدو» ، وهذا يشير إلى انتقال السلطة والملوكية من «أريدو» إلى «أوروك».

وبعد أن صحا إنكى من سكرته سأل عن نواميسه المقدسة وزيره إيسمد، فأخبره أنه وهبها لابنته إنانا وهو فى حالة سكره، فيأمر إنكى وزيره إيسمد أن يمنع قارب إنانا السماوى من الوصول إلى أوروك، وذلك بأن يذهب ومعه وحوش البحر ويقتفون أثر إنانا(1).

وبالفعل يصل إيسمد ومعه وحوش البحر إلى قارب إنانا، ويخبرها أن إنكى أمرها أن تذهب إلى أوروك ولكن عليها أن تعيد قارب السماء - والنواميس المقدسة إلى أريدو، فتستنجد إنانا بوزيرها «ننشوبر» لينقذ القارب السماوى ونواميس إنانا الإلهية من أيدى وحوش البحر، فيهجم «ننشوبر» عليهم وينقذ المركب والنواميس الإلهية، ويتكرر هجوم وحوش البحر على المركب عدة مرات، وفى كل مرة يهزمهم «ننشوبر» حتى وصل القارب بسلام إلى مدينة أوروك مدينة إنانا(2).

* * * *

(1) السابق - ص 68.

(2) السابق - ص 69 - 70.

# الفصل الرابع
# أسطورة إنانا ودموزى

**- من هو «دموزى»:**

سبق وتعرفنا على «إنانا» - (عشتار عند الأقوام السامية) فى الفصل السابق، والآن نلقى بعض الضوء على «دموزى» (الذى عرف فى «العهد القديم» باسم تموز).

دموزى هو إله الحظائر والرعى فى سومر، وينتسب إلى شجرة الإله «إنكى» ويجب عدم الخلط بين «دموزى» وبين «دموزى أبسو» الذى هو الابن البار لمياه الأعماق أى أنه إله مائى، و «دموزى إشمكال إنا» الذى هو قوة إخصاب النخيل وهو إله نباتى، فى حين أن دموزى الذى نعنيه هو **الإله الراعى** الذى يرتبط بالماشية، عُبد هذا الإله فى مدينة (باد - تبيرا) كإله للخصب وتجديد الحياة وهذه الصفات تعود لإنكى، ولكن صفات الخصب وأشكال دموزى السابقة اختلطت مع بعضها حتى صار هذا الإله يلقب بعدة ألقاب مثل «الثور الوحشى، الخصب فى عناقيد التمر، محرك الأجنة فى الأرحام، منتج الحليب فى الأثداء»[1].

ويعتقد الباحثون أن أصل الإله دموزى هو **أصل بشرى** حيث حكم مدينة «باد - تبيرا» قبل الطوفان ثلاثة ملوك كان ثالثهم هو «دموزى الراعى» ولهذا الملك - أو الإله - حكاية تراجيدية - سنعرض لها فى هذا الفصل - مع «إنانا» سببت له كل هذه الشهرة وتناقلت الأجيال قصته، حتى نقل إلينا كإله عاشق للإلهة إنانا. وكان

---

(1) إنجيل سومر - ص 74.

رمز الإله دموزى على شكل جذع نخلة يعلوها رمز الألوهية المكون من ثمانية أشعة[1].

## - أوتو يقنع إنانا بالزواج من دموزى:

أوتو هو أخو إنانا، وهو إله الشمس، هذا الجزء من الأسطورة يتعلق بصنع مخدع الزوجية الخاص بالإلهة «إنانا»، واقناع أوتو للإلهة إنانا بالزواج من دموزى «الراعى» وأن تلتفت عن «إنكيمدو» (الفلاح)، وهذا الجزء يدور فى صورة حوار بين «أوتو» و«إنانا» على النحو التالى[2]:

**أيتها الملكة العظيمة، الكتان المصقول الفاخر.**

**إينانا، الكتان المصقول الفاخر.**

**شقيقتى، أنت عندك ما يكفيك من الأشجار الباسقة.**

**سوف أعزق من أجلك، وأعطيك النبات.**

**شقيقتى لسوف آتيك بالكتان المصقول.**

**أى شقيقى، بعد أن تكون آتيتنى بالكتان المصقول.**

**من سوف يمشطه لى؟ من سوف يمشطه لى؟**

**ذلك الكتان، من سوف يمشطه لى؟**

**أى شقيقتى، لسوف آتيك به ممشوطا.**

**إينانا، سوف آتيك به ممشوطا.**

**من سوف يغزله لى؟ من سوف يغزله لى؟**

(1) السابق.

(2) انظر - كريمر - طقوس الجنس القدس - ص 101 وما بعدها.

وإنجيل سومر - ص 71 وما بعدها، والحكمة فى وادى الرافدين ص 231 وما بعدها.

ذلك الكتان من سوف يغزله لي؟

أي شقيقتي، لسوف آتيك به مغزولا.

إينانا، لسوف آتيك به مغزولا.

أي شقيقي، بعد أن تكون آتيتني به مغزولا.

من سوف يوشيه لي، من سوف يوشيه لي؟

ذلك الكتان، من سوف يوشيه لي؟

أي شقيقتي، لسوف آتيك به موشى.

إينانا، لسوف آتيك به موشى.

أي شقيقي، بعد أن تكون آتيتني به موشى.

من سوف يبرمه لي؟ من سوف يبرمه لي؟

ذلك الكتان، من سوف يبرمه لي؟

أي شقيقتي، لسوف آتيك به مبروما.

إينانا، لسوف آتيك به مبروما.

أي شقيقي، بعد أن تكون آتيتني به مبروما.

من سوف ينسجه لي ؟ من سوف ينسجه لي؟

أي شقيقتي، لسوف آتيك به نسيجا.

إينانا، لسوف آتيك به نسيجا.

أي شقيقي، بعد أن تكون آتيتني به نسيجا.

من سوف يدبغه لي ؟ من سوف يدبغه لي؟

ذلك الكتان، من سوف يدبغه لي؟

**أى شقيقتى، لسوف آتيك به مدبوغا.**

**إينانا، لسوف آتيك به مدبوغا.**

هنا فقط نعلم الغرض من هذا الحــوار، وذلك حين تطرح إنانا (أو إينانا) السؤال الذى يدور فى رأسها:

**أى شقيقى، بعد أن تكون آتيتنى به مدبوغا.**

**من سوف ينام فى الفراش معى، من سوف ينام فى الفراش معى؟**

عن ذلك التساؤل يجيب «أوتو» بلا تردد. إنه «دموزى» الذى سوف يكون زوجا لها:

**معك سوف ينام فى الفراش، سوف ينام فى الفراش.**

**معك زوجك سوف ينام فى الفراش.**

**أوشوم جال - أنّا سوف ينام فى الفراش معك[1].**

**كولى - إنليل سوف ينام فى الفراش معك[2].**

**هو الذى طلع من الرحم الخصيب، سوف ينام فى الفراش معك.**

**البذرة التى أنجبت ملكا، سوف تنام فى الفراش معك.**

لكن «إنانا» تعترض وتفضل الفلاح على الراعى:

**بل رجل قلبى هو**

**رجل قلبى هو.**

---

(1) أوشوم جال - أنّا: لقب لـ«دموزى» وهو يعنى (الذى امه هى تنين السماء) أو (الذى امه هى البقرة الوحشية للسماء)، انظر - إنجيل سومر - ص 75.

(2) كـولى - انليل: من ألقاب «دمـوزى». ويعنى: (صديـق إنليل) - انظر - طقوس الجنس المقـدس - ص 104، ص 245.

**الذى فار بقلبى هو.**

**الذى لا يعزق – ومع ذلك – العنابر عارمة.**

**الحَبُّ يجلب بانتظام إلى المخازن.**

**الفلاح – حبّه يملأ جميع العنابر.**

يلح «أوتو» على شقيقته «إنانا» أن تتزوج من الراعى «دموزى» دون الفلاح :

**أى شقيقتى، تزوجى من الراعى.**

**أى إينانا العذراء، لم أنت راغبة عنه؟**

**قشدته طيبة، ولبنه طيب.**

**الراعى – ما لمس – بيده – شيئا إلا سطع.**

**أى إينانا، تزوجى من الراعى، الذى يتزين بـحجر «أوتو» وحجـر «شوبا» لم أنت راغبة عنه.**

**قشدته الطيبة سوف يأكلها معك، هو، الملك الحامى، لم أنت راغبة عنه؟**

لكن إنانا تظل على عنادها:

**أنا الراعى لن أتزوج.**

**لن أرتدى ملابسه الخشنة.**

**لن أقبل صوفه الخشن.**

**أنا، العذراء – الفلاح سوف أتزوج.**

**الفلاح الذى يزرع نباتا كثيرا.**

**الفلاح الذى يزرع حبا كثيرا.**

**- دموزى يدافع عن نفسه:**

اشتد الكلام بين «أوتو» و «إنانا» فقررا الذهاب إلى الراعى دموزى والتكلم معه وإعلان رأى إنانا أمامه فذهبا إليه وتكلما فى الأمر، حينها قال دموزى - مدافعا عن نفسه - بغضب وحدة، وموضحا لها أن الفلاح لا يمتاز عنه فى شىء، بل إنه الأفضل والأجدر بالزواج منها:

**«الفلاح، أكثر مما أنا، الفلاح أكثر مما أنا.**

**الفلاح، ماذا يملك أكثر مما أملك؟**

**إذا هو أعطانى طحينه الأسود.**

**أعطيه، الفلاح - نعجتى السوداء.**

**وإذا أعطانى طحينه الأبيض.**

**أعطيه، الفلاح نعجتى البيضاء.**

**وإذا سكب لى جعته الأصلية.**

**أسكب له - الفلاح - لبن «كسيم».**

**وإذا سكب لى جعته المعتقة.**

**أسكب له، الفلاح - لبنى المخيض.**

**وإذا سكب لى جعته المزيج.**

**اسكب له، الفلاح، لبنى النباتى.**

**وإذا هو أعطانى من حلو نبات حلحلة.**

**أعطيه، الفلاح - من لبن إتردا.**

**وإذا أعطانى خبزه الفاخر.**

**أعطيه الفلاح، جبنى العسلى.**

**وإذا أعطانى فوله الصغير.**

**أعطيه، الفلاح، جبنى الصغير.**

**مما أكلت، مما شربت.**

**أستطيع أن أترك له فائض القشدة.**

**أستطيع أن أترك له فائض اللبن.**

**أكثر مما أملك، الفلاح ماذا يملك أكثر؟»**[1].

يبدو أن كلام «دموزى» قد ترك أكبر الأثر في نفس «إنانا» ، بعد أن أقنعها بكرمه وسخـائه، وأنه يعطى أكثـر مما يأخذ، ولذلك نـرى أن إنانا قد عدلت عـن رأيها، واختارت «دموزى»، تقول نصوص الأسطورة واصفة حال «دموزى» بعد أن أبدت إنانا موافقتها:

**ابتهج، وابتهج.**

**على صدر ضفة النهر ابتهج.**

**على ضفة النهر، الراعى، على ضفة النهر، ابتهج**[2].

فى هذا الوقت يظهر الفلاح أنكيمدو على ضفة النـهر، فيستعد الراعى دموزى للقـتال، وهـنا تتشـابه الأسطورة إلى حـد كـبيـر مع قـصة قـابيل وهابيل، تقـول النصوص:

**الراعى رعى غنمه على ضفة النهر.**

**مِنَ الراعى الذى يرعى غنمه على ضفة النهر.**

(1) طقوس الجنس المقدس - ص 106 - 107.

(2) السابق.

**الفلاح اقترب، الفلاح أنكميدو اقترب.**

**من دموزى ملك السدود والأقنية اقترب.**

**فى سهبه، الراعى، فى سهبه يبدأ القتال.**

**الراعى دموزى، فى سهبه يبدأ القتال**[1].

غيــر أن الفلاح - لحسن الحظ - فتى حليم ينشد السـلام والصداقة؛ يأبى أن يقاتل الراعى، بل يقدم له أرضا للرعى وماء لغنمه. يقول الفلاح لـ «دموزى»:

**أنا معك أيها الراعى، معك أيها الراعى.**

**أنا معك فلماذا أكافح؟**

**لتأكل أغنامك نباتات ضفة النهر.**

**لترع أغنامك فى أرضى المحروثة.**

**لتأكل حبى على سُوقِه.**

**لتأكل الحب فى حقول إيريك اللامعة.**

**لتشرب جداؤك وحملانك من قناتى، سور وجال**[2].

وبذلك ينتهى هذا الجـزء من الأسطورة نهاية سعـيدة، إذ يدعو دمـوزى الفلاح إلى حفلة العرس، ويسر الفلاح سرورا عظيما ويعد بأن يأتى من نتاج حقوله بهدايا مناسبة للعروس:

**أنا الراعى، عند زواجى.**

**أيها الفلاح، سوف أعدك صديقا لى.**

**أيها الفلاح، أنكيمدو، صديقا لى، سوف أعدك صديقا لى**[3].

---

(1) السابق. (2) السابق.

(3) السابق - ص 108.

يرد الفلاح :

**سوف آتيك بحنطة، سوف آتيك بفول.**

**سوف آتيك بعدس.**

**أيتها العذراء، بكل ما يليق بك.**

**أى إنانا العذراء، حبا و ...وفولا، سوف آتيك**[1].

أوضحت المناظرة السابقة منافسة بين الراعى والفلاح، هى فى حقيقة جوهرها تعكس الصراع بين البداوة والحضارة، فالإله الراعى «دموزى» يمثل البدوى فى اندفاعه وسرعة غضبه وشدة نقمته وفى نزعته للتسلط والسيطرة، عاداً كلامه وبلاغته سلاحا فعالا لا يقل عن فعل السيف فى المعركة، بينما نجد الفلاح الذى يمثل الحضارة مسالما، اعتاد على الهدوء والمجاملة، يعرف كيف ينسحب من المواقف الساخنة متجنبا النزاع[2].

وعلى كل حال يفلح «دموزى» تماما فى إقناع عروسه المرتقبة بواسع ثرائه وأملاكه. لكنها مع ذلك ظل يخامرها الشك فى نسبه، فهى ترى أنها أعرق منه نسبا وأرقع منه جاها، وادعت بأنه لولا أمها «ننجال» وأختها «سيدة القصب المقدس» وأبوها إله القمر «سن» وأخوها إله الشمس «أوتو» لكان دموزى طريدا فى الأزقة والسهوب بلا سقف يظله، لكن دموزى يطيب خاطرها[3]:

**أيتها السيدة الشابة لا تبدئى خصاما.**

**أى إنانا، ليصل كلامنا فى هذا إلى نهايته.**

---

(1) السابق - ص 109.

(2) انظر - الحكمة فى وادى الرافدين - ص 242.

(3) كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 109 - 110.

**أى إنانا، لا تبدئى خصاما.**

**يا مليكة القصر، لنتشاور فيما بيننا.**

**أبى طيب مثل أبيك.**

**أمى طيبة مثل أمك.**

**أنا طيب مثل أوتو.**

**إنكى طيب مثل سن.**

**سِرْتو طيبة مثل ننجال(*).**

**يا مليكة القصر لنتشاور فيما بيننا.**

وفى الواقع لم يؤد هذا الخصام إلا إلى اشتداد عاطفة العاشق، تقول نصوص الأسطورة:

**الكلمة التى نطق بها.**

**كلمة رغبة.**

**مع بدء الخصام.**

**تأتى رغبة القلب.**

كانت إنانا فخورة بأبيها «سن» إله القمر العظيم فى مدينة أور، إحدى كبريات مدائن سومر. لذلك، ليس غريبا أن نجدها تشعر بالحاجة لأن تلتمس موافقة سن بأن ترسل له رسالة تنبئه فيها بنيتها التزوج من عاشقها «دموزى» بهذه الكلمات البهيجة[1]:

**بيتى، بيتى، سوف يجعله طويلا، لأجلى.**

(*) سِرْتو: أم دموزى.

(1) السابق - ص 111 - 112.

**أنا الملكة، بيتى، بيتى سوف يجعله طويلا لأجلى.**

**بيت جيبار، سوف يجعله طويلا لأجلى.**

**الناس سوف يقيمون فراشى المثمر.**

**سوف يغطونه بشجيرات حجر اللازورد - الدورو.**

**سوف آخذ إلى هناك رجل قلبى.**

**سوف آخذ إلى هناك أوشوم جال أنا.**

**سوف يضع يده بيدى.**

**ويضم قلبه إلى قلبى.**

**وضعه اليد باليد - ينعش الفؤاد.**

**ضمه القلب إلى القلب - لذته بالغة الحلاوة.**

غير أن إنانا كانت أقرب لأمها «ننجال» منها لأبيها، فإلى بيت أمها يجب أن يأتى العريس لطلب يدها، وإلى أمها يجب أن تذهب وتلتمس منها النصح والموافقة عندما يأتى دموزى ويقرع بابها، وبالفعل يذهب دموزى إلى بيت أمها حاملا معه هدايا اللبن والقشدة والجعة ملتمسا منها القبول، لكن يبدو أن إنانا قد انتابها الخجل، فكانت أمها تحثها على الإذن له بالدخول[1]:

**هو ذا، الفتى، هو أبوك.**

**هو ذا، الفتى، هو أمك.**

**أمه تدللك كما تدللك أمك.**

**أبوه يدللك كما يدللك أبوك.**

**افتحى الباب، أى مليكتى، افتحى الباب.**

---

(1) السابق - ص 112.

وهكذا أعدت إنانا نفسها للقاء زوجها الموعود بما يليق بملكة سومرية[1]:

**إنانا، بناء على طلب أمها.**

**استحمت، وتطيبت بفاخر الزيت.**

**لفت على جسمها طيلسان - بالا النبيل.**

**صفصفت حجر اللازورد حول عنقها.**

**وأمسكت الختم بيدها.**

**الملكة الجليلة انتظرت على توقع.**

**دموزى اقتحم الباب.**

**طلع فى البيت مثل نور القمر.**

**وحدق فيها يغمره الفرح.**

**ضمها إلى صدره.**

لكن رغم أن إنانا كانت تكن لأمها الحب الكثير، إلا أنها لم تكن منزهة عن مخادعتها. حدث هذا، بناء على إيحاء من عاشقها، لكى تمكث على ضوء القمر الفضى، ويبدأ هذا الجزء من الأسطورة بمناجاة إنانا لنفسها، إنانا التى كانت أيضا إلهة الزُّهْرة[2].

**فى الليلة الماضية، فيما كنت أنا، الملكة، أُشع الضياء.**

**كنت أشع ضياء، كنت أرقص طربا.**

**كنت أترنم بأنشودة على اقتراب الضوء الساطع.**

(1) السابق.

(2) السابق.

**التقى بى، التقى بى.**

**الرب كولى - أنا التقى بى(*).**

**الرب وضع يده فى يدى.**

**أوشوم جال أنا ضمنى إلى صدره[1].**

ادعت إنانا أنها كانت تحاول التملص من ذراعيه، لأنها لم تكن تعلم ما تقول لأمها[1]:

**تعال الآن، أيها الثور البرى، خلصنى، يجب أن أذهب إلى البيت.**

**كولى - إنليل، خلصنى، يجب أن أذهب إلى البيت.**

**ماذا عساى أن أقول لكى أخادع أمى، ننجال.**

كانت إنانا سعيدة جدا - وهى المعروفة بالمكر والخداع - حين سمعت الجواب يأتى من قبل عاشقها دموزى[2]:

**فلأخبرك، فلأخبرك.**

**أى إنانا، يا أكثر النساء خداعا، فلأخبرك.**

**قولى إن صديقتى اصطحبتنى معها إلى الساحة العامة.**

**حيث سلتنى بالموسيقى والرقص.**

**وغنت لى أغنياتها الحلوة.**

---

(*) كولى، وأوشوم جال أنا: من ألقاب دموزى.

(1) السابق - ص 114.

(2) السابق.

**فى الابتهاج الحلو قتلت الوقت هناك.**

**بذلك تواجهين أمك، فى خداع.**

**بينما نحن كنا على ضوء القمر ننغمس فى شهوتنا.**

**سأعد لك فراشا طهورا حلوا نبيلا.**

**سوف أقضى معك وقتا حلوا فى فرح غامر.**

وكان واضحـا أن دموزى استذاق نـكهة حب إنانا حتى دفعـه ذلك أن يقطع لها عهدا بأن يجعل منها زوجته الشرعية، وينتهى هذا الجزء من الأسطورة بأغنية تغنيها إنانا فيها استثارة ونشوة[1]:

**أتيت إلى بوابة ننجال،**

**أنا، جذلانة أمشى،**

**إلى أمى سوف يقول الكلمة،**

**سوف يرش زيت «السرو» على الأرض،**

**هو الذى مسكنه يفوح عطرا،**

**هو الذى كلمته تبعث فى السرور العميق،**

**سيدى الذى يليق به الحضن المقدس،**

**أما وشوم جال آنا، صهر سن،**

**الرب دموزى يليق به الحضن المقدس،**

**آما وشوم جال آنا، صِهْر سِن.**

---

(1) السابق.

## نزول إنانا إلى العالم السفلى:

يبدأ النص الأسطورى باعتزام «إنانا» النزول إلى العالم السفلى، بيت الأموات المخيف المظلم، أما سبب نزول إنانا إلى العالم السفلى فلم يذكره النص، ويرى «كريمر» أن السبب الأقوى هو طموح إنانا أن تصير ملكة «الأسفل العظيم» بجانب كونها ملكة «الأعلى العظيم»، ويتضح ذلك - كما سنرى - من تأنيب «إنليل» و«نانّا» إلى «ننشوبر» وزير - أو وزيرة - إنانا، ورفضهما مد يد العون لإنانا، كما يؤكد ذلك الطموح اللامتناهى لإنانا بعض الأساطير الأخرى - والتى تعرضنا لها - مثل حصولها على النواميس المقدسة من إنكي بعد أن أسكرته[1].

هناك أيضا احتمال بعيد نوعا ما، وهو أن غزوها «الثورى» أو «التخريبى» للعالم الأسفل كانت مدفوعة إليه لرغبتها فى أن تقيم الموتى، وبذلك تتجنب الموت كليا، ولا يمكن القول بأن نزولها كان هدفه انقاذ «دموزى» الذى اقتيد أسيرا إلى العالم الأسفل، لأن الأسطورة لم تقل بذلك، فدموزى لم يكن فى العالم الأسفل قط عندما وصلت إليه (العالم الأسفل) إنانا، لأن الأسطورة تقول أن إنانا نفسها هى التى أرسلته إلى هذا العالم بعد أن صعدت هى إلى الأرض[2]، على كل حال، تتخلى إنانا - من أجل تحقيق طموحها - عن السماء والأرض، وعن جميع مدنها ومعابدها الشهيرة، فارتدت أجمل ملابسها، وتحلت بأحلى زينتها، وقبضت بشدة على شارات سلطانها وامتيازاتها المقدسة بعد أن عزمت على النزول إلى «بلاد اللاعودة»، عالم الأموات والأشباح الرهيب، تقول نصوص الأسطورة[3]:

**من الأعلى العظيم قررت النزول إلى الأسفل العظيم.**

---

(1) انظر - كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 158، وص 225.

(2) السابق.

(3) السابق - ص 159.

**الإلاهة، من الأعلى العظيم قررت النزول إلى الأسفل العظيم،**

**إنانا، من الأعلى العظيم قررت النزول إلى الأسفل العظيم،**

**سيدتى هجرت السماء، هجرت الأرض إلى العالم الأسفل نزلت،**

**تخلت عند «السيدية» و«السيدتية» - إلى العالم الأسفل نزلت.**

**النواميس السبعة شدتها على وسطها،**

**جمعت كل النواميس، وضعتها فى يدها،**

**أقامت الناموس العظيم عند قدمها المنتظرة،**

**الـ «شوجُرّا»، تاج السهول، وضعته على رأسها،**

**خصل شعرها ثبتته على جبينها،**

**قبضت بيدها على صولجان القياس وحجر اللازورد،**

**ربطت حول عنقها حجر اللازورد الصغير،**

**شدت إلى صدرها حجرين بيضاويين،**

**طوقت معصمها بسوار ذهبى،**

**لفت جسمها بطيلسان بالا، طيلسان السيدتية،**

**دهنت عينيها بالدهن.**

لكن **«أرشكيجال»** - ملكة العالم الأسفل، وفي نفس الوقت أخت إنانا وعدوتها اللدود - لن تغفر لها مجيئها إلى الأقاليم السفلية، ويبدو أنها كانت على ثقة أن إنانا تريد أن تستولى على ملك العالم الأسفل، ولا شك أنها ستقتلها لجرأتها على

اغتصاب عـرشها، ولذلك استدعت إنانا وزيرتها ورسـولتها «ننشوبور» [1]، الـتـى كانت دائما رهن اشارتها، وقالت[2]:

**أنت يا سندى الدائم،**

**يا وزيرتى ذات الكلمات المناسبة،**

**يا حاملة بريد كلماتى الصحيحة،**

**أنا الآن نازلة إلى العالم الأسفل،**

**أقيمى المناحة علىّ عند الأطلال،**

**فى حرم المجمع اقرعى الطبول من أجلى،**

**مزقى عينيك من أجلى،**

**وشقى فمك من أجلى،**

**مثل فقير ارتدى ثوبا واحدا من أجلى،**

**إلى الإيكور، بيت إنليل،**

**وحيدة صوبى خطاك.**

**وعند دخول الإيكور (بيت إنليل) انتحبى أمام إنليل:**

**أبت إنليل، لا تدع ابنتك تموت فى العالم الأسفل،**

**لا تدع معدنك الثمين يعلوه غبار العالم الأسفل،**

**لا تدع لازوردك الثمين ينكسر كحجر الحجارين،**

**لا تدع العذراء إنانا تموت فى العالم الأسفل.**

(1) ننشوبور أو «ننشـوبر»: وزير - أو وزيرة - إنانا، فهى تظهـر أحياناً كذكـر - كما فى الفـصل الـسابق - أو كأنثى، وفى هذا الجزء من الأسطورة تظهر كأنثى.

(2) طقوس الجنس المقدس - ص 160 - 161.

وتزيد إنانا فى تأمين نفسها، فتطلب من وزيرتها «ننشوبور» أن تذهب إلى «نانا»، الاسم السومرى لإله القمر «سن»، الإله الحارس لمدينة «أور» وأب إنانا، وذلك فى حالة عدم وقوف «إنليل» بجانبها، كما طلبت منها أن تذهب إلى «إنكى» فى حالة تخلى أبيها «نانا» عنها:

**إذا لم يقف إنليل بجانبك فى هذا الأمر،**

**فاذهبى إلى أور،**

**فى أور، عند دخولك البيت،**

**الذى هو بيت الرهبة فى البلاد،**

**«الأكيشنوجال» ، بيت نانا،**

**انتحبى أمام نانا:**

**أبتِ لا تدع ابنتك تموت فى العالم الأسفل،**

**لا تدع معدنك الثمين يعلوه غبار العالم الأسفل،**

**لا تدع لازوردك الثمين يتكسر كحجر الحجارين،**

**لا تدع العذراء إنانا تموت فى العالم الأسفل.**

**وإذا لم يقف نانا إلى جانبك فى هذا الأمر،**

**فاذهبى إلى أريدو،**

**فى أريدو، عند دخولك بيت إنكى،**

**انتحبى أمام إنكى:**

**أبتِ إنكى، لا تدع ابنتك تموت فى العالم الأسفل،**

**لا تدع معدنك الثمين يعلوه غبار العالم الأسفل،**

**لا تدع لازوردك الثمين ينكسر كحجر الحجارين،**

**لا تدع العذراء إنانا تموت فى العالم الأسفل،**

**الأب إنكى، رب الحكمة،**

**الذى يعلم «طعام الحياة»، ويعلم «ماء الحياة»،**

**لابد وأن يعيدنى إلى الحياة ثانية.**

وبذلك تطمئن إلى تجدد حياتها وبقائها حية، حتى ولو نزلت بها أفدح الأخطار، ثم تتابع سيرها نحو العالم الأسفل، وتصل إلى بلاط العالم الأسفل، فتنطلق جريئة لدى الباب[1]:

**افتح البيت، أيها البواب، افتح، البيت،**

**افتح البيت، ياناتى، افتح البيت[2]،**

**وحدى بمفردى أريد الدخول.**

وعندما يسألها البواب «ناتى: رجاء، من أنت؟» ، تجيبه باعتزاز:

**أنا ملكة السماء،**

**المكان الذى تطلع منه الشمس.**

لكن البواب يشك فى أمرها:

**إذا كنت ملكة السماء حقا،**

**المكان الذى تطلع منه الشمس،**

**فلماذا أتيت، رحماك، إلى بلاد اللاعودة،**

(1) السابق.

(2) ناتى: كبير البوابين فى العالم الأسفل.

**على الطريق الذى من يسافر عليه لا يعود أبدا،**

**كيف قادك إليه قلبك؟**

عندئذ تتذرع بالقول:

**أختى الكبرى أرشكيجال،**

**لأن زوجها، الرب «جوجال أنا» قد قتل،**

**لأشهد مراسم الدفن، فليكن ذلك.**

لكن هذه الطريقة لم تبدد من ريبة «ناتى»، فطلب منها أن تتريث حتى يكلم سيدته أرشكيجال، ويدخل على مليكته، ويصف لها ملبس إنانا وهيئتها، الناموس، الـ «شوجرا» ، خصل الشعر، صولجان القياس والسلك، . . . إلخ. وما أن سمعت أرشكيجال هذه الأوصاف حتى علمت على الفور من هى هذه التى حاولت أن تحطم بوابة ممتلكاتها ولماذا، فاستبد بها الغضب، وضربت على فخذها، وقالت: ليس ثمة إلا مخرج واحد :يجب أن تموت إنانا. لكن هذه لن يصيبها شىء إلا أن ينزع عنها طيلسانها، وجواهرها، وزينتها وصولجانها، ولذلك قالت للبواب[1]:

**تعال، يا ناتى، يا كبير حراسى على العالم الأسفل،**

**الكلمة التى آمرك بها، إياك أن تغفلها،**

**ارفع المزلاج، عن أبواب العالم السفلى السبعة،**

**وعن واجهة العالم الأسفل «جنزير» ارفع المزلاج،**

**أصغى ناتى إلى كلمة مليكته،**

**وقال لإنانا :تعالى، أدخلى.**

---

(1) السابق.

**ولدى ولوجها البوابة الأولى،**

**نزع عنها الـ «شوجرا» تاج السهول،**

**- رحماك، ما هذا؟**

**- صمتا، إنانا، نواميس العالم الأسفل نواميس كاملة،**

**إنانا، إياك أن تناقشى قوانين العالم الأسفل.**

**لدى ولوجها البوابة الثانية:**

**نزع عنها صولجان القياس وسلك اللازورد.**

**- رحماك، ما هذا؟**

**- صمتا إنانا، نواميس العالم الأسفل نواميس كاملة،**

**إنانا، إياك أن تناقشى نواميس العالم الأسفل.**

وفى مقاطع متشابهة، تصف الأسطورة كيف نزع عنها حجارة اللازورد الصغيرة، والحجرين البيضاويين، والسوار الذهبى، وصفيحة الصدر، ثم تنتهى إلى القول: «انحنت خفيضة، جيء بها عارية أمامها» أما وأن إنانا عارية تماما، فقد حانت لحظة معاقبتها على خرق القوانين الإلهية[1]:

**اعتلت أرشكيجال المقدسة سدة العرش،**

**الـ «أنونا»، القضاة السبعة، نطقوا الحكم أمامها،**

**سلطوا عليها، أنظار الموت،**

**نطقوا بحقها، كلمة الغضب،**

**صدرت عنهم الصيحة بوجهها، صيحة الإدانة،**

(1) السابق.

**ضربت، فاستحالت جثة هامدة،**

**علقت الجثة بالمسامير.**

في هذه الأثناء، كانت «ننشوبر» وزيرة إنانا تنتظر على أحر من الجمر عودة سيدتها من العالم الأسفل، وبعد ثلاثة أيام وثلاث ليالى، عندما لم تفلح فى العودة، تقوم «ننشوبور» بتنفيذ تعليمات سيدتها - على حسب الخطوات المرسومة سلفا - فتطوف فى «بيت الآلهة» متنحبة، مجرحة الجسم، رثة الثياب، ثم تقصد إلى معبد إيكور فى نيبور، وتبكى أمام إنليل[1]:

**أبت إنليل، لا تدع ابنتك تموت فى العالم الأسفل،**

**لا تدع معدنك الثمين يعلوه الغبار فى العالم الأسفل،**

**لا تدع لازوردك الثمين ينكسر كحجر الحجارين،**

**لا تدع العذراء إنانا تموت فى العالم الأسفل.**

لكن «ننشوبور» لا تجد من إنليل أى تعاطف مع إنانا، وذلك لأنها ضربت بنواميس الآلهة عرض الحائط، ولم تكتف بحكم «الأعلى العظيم»، بل جرها طموحها لحكم «الأسفل العظيم» أيضا، ثم تمضى ننشوبور إلى نانا والد إنانا، ولكن كان موقفه - ولنفس الأسباب - مشابها لموقف إنليل، فلم تجد ننشوبور أمامها إلا الإله إنكى، فتذهب إلى مدينة أريدو حيث معبد الإله، وتنتحب أمامه نفس النحيب، إلا أن موقفه كان مغايرا لموقف سابقيه[2]:

**الأب إنكى يجيب ننشوبور:**

**ماذا جرى الآن لابنتى: إنى قلق،**

(1) السابق.

(2) السابق.

**ماذا جرى الآن لإنانا: إنى قلق،**

**ماذا جرى الآن لبغى السماء: إنى قلق.**

كان الإله «إنكى» - طبقاً للمعتقد السومرى - موكل بـ «طعام الحياة»، و «ماء الحياة»، اللذين يعيدان الحياة مرة أخرى إلى الآلهة. لكن المشكلة من الذى سيوصلهما لإنانا بالعالم الأسفل، ويقوم برشهما عليها حتى تعود إليها الحياة؟ فحتى لو استطاعت ننشوبر أن تصل إليها فلن يتركها أحد فى العالم الأسفل تقوم بهذه المهمة، لذا كان على إنكى - المعروف عنه الذكاء والدهاء - أن يقوم برسم خطة لإنقاذ إنانا، وبالفعل رسم خطة - فيها شىء من التعقيد - يبتغى منها إجبار أرشكيجال على تسليم جثة إنانا وإحيائها، فعمد على خلق كائنين اثنين لا جنس لهما من وسخ أظافره، اسم أحدهما «كَلاتور» والثانى اسمه «كُرْجَرّا». وكان من الواضح أن هذين المخلوقين وحدهما يمكنهما أن يحظيا بالقبول فى العالم الأسفل من دون أن ينتبه أحد إلى مراميهما. ثم يعلمهما أنهما سوف يجدان هناك الإلاهة أرشكيجال راقدة عارية، وتئن من المرض[1].

كانت التعليمات المسندة إليهما أن يبديا لارشكيجال شفقة وعطفا، وأن يتأوها ويئنا معها كما لو كانت آلامها هى آلامهما، فتتأثر بمشاركتهما لها فتكافئهما بوعد منها بأن تنفذ لهما كل ما يطلبان منها مهما كان طلبهما. لكن يجب عليهما - طبقا لتعليمات إنكى - ألا يسلما بكلامها، بل أن يستحلفاها بالسماء والأرض. وعندما يقدم لهما هديتان :الماء والحَب، يجب عليهما ألا يقبلاهما، لأن الهدية المطلوبة جثة إنانا. ولما تسلم لهما يرشان عليها طعام الحياة وماء الحياة، فتعود الإلهة إلى الحياة. تقول نصوص الأسطورة[2]:

(1) انظر - كريمر - طقوس الجنس المقدس - ص 165، وإنجيل سومر - ص 115 - 116.
(2) طقوس الجنس المقدس - ص 166.

أخرج [إنكى] من ظفر إصبعه وسخا صنع منه كرجرا،

أخرج من ظفر اصبعه الخضبية بالأحمر وسخا صنع منه كلاتور،

إلى كرجرا أعطى طعام الحياة،

إلى كلاتور أعطى ماء الحياة،

الأب انكى يقول لكلاتور وكرجرا:

«اذهبا، مدا» قدميكما نحو العالم الأسفل،

حوما على الباب كالذئاب،

دورا حول الباب كما يدور المحور،

الأم الواهبة الحياة، بسبب أولادها،

ارشكيجال طريحة الفراش من مرض،

على جسمها القدسى لا يمد قماش،

صدرها القدسى مثل قارب شاجان،

شعرها كالعلق موضوع على رأسها.

عندما تصيح «ويلى! آه أحشائى !»،

قولا لها :أنت يا من تتأوهين، يا مليكتنا، آه أحشاؤك،

عندما تصيح «ويلى! آه أطرافى»،

قولا لها :أنت يا من تتأوهين، يا مليكتنا، آه أطرافك!،

[عندئذ تقول لكما]: «كونا من تكونان»،

لأنكما قلتما: «من أحشائى إلى أحشائك»

من أطرافى إلى أطرافك،

**إن كنتما إلهين، فسأنطق بكلمة كريمة من أجلكما،**

**وإن كنتما بشريين، فسأكتب قدرا ملائما لكما،**

**فاستحلفاها بالسماء والأرض.**

**من النهر سوف يأتونكما بالماء، فلا تقبلا،**

**من الحقل سوف يأتونكما بالحَب، فلا تقبلا،**

**قولا لها: اعطنا الجثة المعلقة من المسمار،**

**واحدا منكما يرش لها طعام الحياة، والآخر ماء الحياة،**

**إنانا سوف تقوم.**

## - إنانا تبحث عن فداء لها:

وبالفعل ينفذ المخلوقان تعليمات «إنكى» كما رسمها لهما، وتعود الحياة مرة أخرى لإنانا، فتصعد إلى الأرض، وتدخل معابدها، لكن يبدو أن هناك عقبة لم يحسب الإله إنكى حسابها، فالناموس السماوى - طبقا للمعتقد السومرى - لا يسمح لأحد - حتى ولو كان إلها - مغادرة العالم الأسفل سالما إلا أن يحل محله آخر فداءا له، ولعل هذا - ما رأيناه عند فداء الإله نانا إله القمر، فقد جرى نفس الناموس عليه، وقدم إخوته فداءا له حتى يعود إلى العالم العلوى، تقول نصوص الأسطورة[1]:

**إنانا كانت تهم بالصعود من العالم الأسفل،**

**الـ «أنوناكى» أمسكوا بها قائلين:**

**مَنْ مِنَ الذين نزلوا إلى العالم الأسفل واتفق لهم أن يصعدوا سالمين،**

(1) السابق - ص 168.

**إن كانت إنانا تريد الصعود من العالم الأسفل،**

**فعليها أن تقدم شخصا آخر بدلا عنها.**

وافقت إنانا على هذا الشرط - تقديم الفداء - وسُمح لها بمغادرة العالم الأسفل، ولكن للتأكد من أن هذه الإلهة - التى عرفت بالمكر والخداع - سوف تقدم بديلا عنها - يقوم الـ «جَلاّ»، وهم «حرس بلاد اللاعودة» من الكائنات الصغيرة غير البشرية التى لا تعرف الرحمة بتعقبها، وذلك حتى يعيدوها بالقوة إن هى لم تف بتعهدها.

وهكذا نرى إنانا وقد صعدت إلى الأرض وبصحبتها عفاريت الـ «جلا»، وكان جل همها هو تقديم إله من حاشيتها بديلا عنها، وكان أول من صادفته «ننشوبور» المخلصة التى لم تكد ترى سيدتها عائدة من العالم الأسفل، وإلى جانبها عفاريت الـ «جلا»، حتى ارتدت ثياب الخيش وجثت على ركبتيها معفرة وجهها بالتراب. لذلك، عندما أمسك بها العفاريت المتلهفون للقبض عليها فداءا لإنانا، أوقفتهم إنانا قائلة[1]:

**هذه وزيرتى ذات الكلمات المناسبة،**

**رسولة كلماتى الصحيحة،**

**التى لم تخفق فى تنفيذ تعليماتى،**

**ولم تغفل كلمة نطقت بها.**

بعد أن فشل الاختيار الأول، اصطحب الـ «جلا» إنانا إلى معبد سيكور - شَجّا فى «أومّا» ، حيث يعبد الإله «شارّا» ابن إنانا، الذى لم يكد يرى أمه يتدافعها العفاريت العتاة حتى ارتدى هو أيضا ثياب الخيش وخر ساجدا عند قدميها معفرا وجهه بالتراب. عندئذ أمسك به العتاة، ولكنها أوقفتهم قائلة:

(1) السابق.

**هذا ابنى شاراً الذى يرتل الترانيم لى،**

**الذى يقص أظافرى، ويسرح شعرى،**

**إياه لن أعطيكم مهما كان الثمن.**

بعد ذلك يصطحبها الـ «جلا» إلى معبد «آموش جِلَامِّا» فى «بدتيبيرا» حيث يعبد الإله «لـولال» ابن إنانا، وهو أيضا عند رؤية أمـه على هذا الوضع، ارتدى ثياب الخيش وألقى بنفسه عند قدميها، وعندما أمسك به الـ «جلا» أوقفتهم للمرة الثالثة قائلة[1]:

**هذا ابنى لولال، القائد،**

**الذى يقف عن يمينى وشمالى.**

## - إنانا تقدم «دموزى» فداءا لها:

يصل الـ «جلا» أخيرا إلى «إيريك» مدينة إنانا، وعندما وصلوا إلى هناك رأوا «دمـوزى» يجلس بجلال فى مجلسه، مرتديا ثيابا فاخـرة، وكرسيه يتلألأ كعرش رفيع، وكان يـقيم حفلا كبـيرا توزع فيه الأطعـمة والخمور، هذا المشـهد هو الذى جعل إنانا تقـرر إرسال دموزى إلى العالم الأسـفل، وتقديمه إلى الموت، فـقد كان طيلة فتـرة غياب زوجتـه إنانا فى العالم الأسفل غـير مبـالى، وقد رأته الآن يرتدى أفخر الثياب ويقـيم الحفلات، فى حين كان باقى أتباعها ينوحـون ويتأوهون لغيابها، ولمصيرها المظلم[2].

ذلك كله أغضب إنانا حتى[3]:

---

(1) السابق - ص 170.

(2) انظر - إنجيل سومر - ص 121.

(3) طقوس الجنس المقدس - ص 170.

**سلطت عليه عينها، عين الموت،**

**نطقت الكلمة بحقه، كلمة الغضب،**

**أطلقت صيحة فى وجهه، صيحة التأثيم.**

يتم القبض على دموزى من قبل الـ «جلا»، فيدرك دموزى أن مصيره قد أضحى مظلما، فلم يجد أمامه إلا أن يستنجد بالإله «أوتو» إله الشمس الذى كان يحبه، والذى سبق له وأقنع أخته إنانا بالزواج من دموزى، تقول النصوص[1]:

**إيه أوتو، أنا صديقك، أنا الفتى الذى تعرفه،**

**اتخذت أختك زوجا،**

**فنزلت إلى العالم الأسفل،**

**لأنها نزلت إلى العالم الأسفل،**

**استبدلتنى بها لأكون عوضا عنها فى العالم الأسفل،**

**إيه أوتو، أنت القاضى العدل، لا تدعنى أموت،**

**غير يدى، بدل صورتى،**

**دعنى أفلت من شياطينى، فلا يمسكوا بى،**

**مثل حية «ساجال» سوف أجتاز مروج الروابى،**

**سوف أنقل روحى إلى بيت الأخت جَشْتِى نانّا(*).**

---

(1) السابق.

(*) جَشْتِى نانّا: أو «كشتن أنّا» واسمها الآخر «أمّا - أوسان» وهى تعتبر ابنة الإله «إنكى» وأخت الإله «دموزى»، ويعنى اسمها بالسومرية «كرمة السماء أو خمرة السماء»، وهى مفسرة الأحلام، وتحولت فيما بعد إلى كاتبة العالم الأسفل، وتزوجت الإله «ننكشزيدا» (الرسول الدائم للعالم الأسفل)، وقد عبدت كإلهة كاتبة فى العالم الأسفل (كاتبة السماء والأرض)، وكإلهة على الأرض رغم نزولها إلى العالم الأسفل. ويقابلها في الأكدية الإلهة (بعلة صيرى).

انظر - بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين - ص 50 - أشار إليه خزعل الماجدى فى إنجيل سومر - ص 122.

يستجيب أوتو لتوسلات دموزى، فيحوله إلى حية أو كما تقول الأسطورة:

**أوتو قبل دموعه،**

**غير له يديه، ويدل له صورته،**

**مثل حية «ساجال» اجتاز مروج الروابى،**

**دموزى - روحه غادرته مثل باز ينقض على عصفور،**

**انتقلت روحه إلى بيت جَشْتي نانّا**[1].

وما أن رأته أخته جشتى نانا حتى أخذت فى النواح والنحيب:

**جَشْتي نانّا حدقت فى أخيها،**

**خدشت وجنتيها، مزقت فمها،**

**نظرت إلى خاصرتها، شقت ثيابها،**

**صدر عنها نواح مر على السيد المعذب:**

**أواه يا أخى، أواه يا أخى، الفتى الذى لم تكن أيامه طويلة،**

**أواه يا أخى، الفتى الذى لا زوج له ولا ولد،**

**أواه يا أخى، الفتى الذى لا صديق له ولا رفيق،**

**أواه يا أخى، الفتى الذى لا يجلب العزاء لأمه**[2].

يعلم عفاريت الـ «جلا» أن دموزى قد فرّ إلى بيت أخته، ولكن دموزى كان قد غادر البيت لأنه على يقين أن العفاريت سوف تتبعه إلى هناك، وبالفعل يصلون إلى بيت أخته ويأخذون فى صب ألوان العذاب عليها لتدلهم على مكان أخيها، ولكن عبثا حاولوا:

(1) طقوس الجنس المقدس - ص 171.

(2) السابق.

**صفق العفاريت بأيديهم، وانطلقوا يبحثون عنه،**

**العفاريت مضوا إلى بيت جشتى نانا،**

**قالوا لها «دلينا أين يختبئ أخوك» لكنها لم تدلهم،**

**جاءوا بالسماء قريبا منها،**

**ووضعوا الأرض فى حجرها،**

**لكنها لم تدلهم،**

**صبوا فى حجرها قارا، لكنها لم تدلهم،**

**لم يجدوا دموزى فى بيت جشتى نانا[1].**

ويبدو أن دموزى كـان يشعر بدنو أجله، فـبينما هو مضطجع بين البـراعم نائما رأى حلما مخيفا، ولم يكن من أحد يستطيع تفسير هذا الحلم إلا أخته جشتى نانا، وبالفـعل نجد دمـوزى يحكى منامه لأخـته، ويبـدو أنه قد رأى هذا الحلم قـبل أن يذهب إلى أخـته هاربا بعـد أن حوله أوتو إلى حـية، أو رآه بعد ذلـك فى إحدى مرات هروبه - والتى توالت - قبل أن يمسك به العفاريت:

**عن الحلم، أختاه، عن الحلم، . . . هذا لُباب الحلم:**

**الأسَل يطلع فى كل ما حولى،**

**الأسل يتكاثف فى كل ما حولى،**

**يراعة طالعة وحدها تحنى راسها إلى،**

**من يراعة طالعة شعبتين، إحداهما تزول،**

**فى الغيـضة المشـتجرة، الروع الآتى من الأشـجار السـامقة يطـلع فى كل ما حولى،**

(1) السابق - ص 173.

**على مثواى المقدس لا يسكب الماء،**

**من ماخضتى المباركة، قاعدتها تزول،**

**الكوب المقدس المعلق إلى وتد، من الوتد يسقط،**

**محجنى، محجن الراعى، اختفى،**

**بومتى تأخذ. . .**

**باز يمسك حملا بيراثنه،**

**جدائى الصغار تجرجر لحها اللازوردية على الغبار،**

**أغنام حظيرتى تدب على الأرض بقوائم ملتوية،**

**الماخضة على الأرض محطمة، ما من لبن يسكب،**

**الكوب على الأرض محطم، دموزى لن يعيش بعد هذا،**

**حظيرة الغنم فى مهب الريح[1].**

ثم تمضى جشتى نانـا فى تأويل هذا الحلم الذى ينذر بشر مستطيـر فقرة فى إثر فقرة[2]:

**أى أخى، غير ملائم هو حلمك، فلا تحكه لى؛**

**دموزى، غير ملائم هو حلمك، فلا تحكه لى،**

**الأسل يطلع فى كل ما حولك، الأسل يتكاثف فى كل ما حولك.**

**سفاحون سوف ينقضون عليك.**

**اليراعة الطالعة وحدها تحنى رأسها إليك،**

(1) طقوس الجنس المقدس - ص 176.

(2) السابق.

أمك التى حملتك سوف تحنى رأسها إليك.

من اليراعة الطالعة شعبتين، إحداهما تزول،

أنا وأنت - واحد منا سوف يزول.

فى الغيضة المشتجرة، الروع الآتى من الأشجار السامقة،

يطلع فى كل ما حولك - الأشرار سوف يرعبونك.

على مثواك المقدس ما من ماء يسكب،

حظيرة الغنم سوف تغدو بيتا خرابا.

من ماخضتك المبارك، قاعدتها تزول،

الأشرار سوف يشددون قبضتهم عليك.

الكوب المقدس المعلق إلى وتد، من الوتد سقط،

سوف تقع من ركبتها الرشيقة، ركبة أمك التى حملتك.

محجنك، محجن الراعى، اختفى،

الشرير سوف يفعل كل ما من شأنه أن يضعفك.

بومتك تأخذ...

الشرير سوف يأخذ.

البازى الذى يمسك الحمل ببراثنه،

هو العفريت الكبير الذى سوف يطردك.

جداثك الصغار التى تجرجر لحاها اللازوردية على الغبار، ... سوف يدوم فى السماء مثل الزوبعة.

بعد ذلك يخبر دموزى أخته أنه سوف يختبئ، وينبه عليها ألا تخبر أحدا بمكانه، وكان يخاطبها هنا بصفة الصديقة دون الشقيقة[1]:

**صديقتى سوف أختبئ بين الزرع، لا تقولى أين أنا،**

**سوف أختبئ بين النباتات الصغيرة، لا تقولى أين أنا،**

**سوف أختبئ بين النباتات الكبيرة، لا تقولى أين أنا،**

**سوف أختبئ بين أخاديد «أدالى» ، لا تقولى أين أنا.**

تعده أخته جشتى نانا وتحلف له[2]:

**إذا قلت أين مخبؤك، فلتأكلنى كلابك،**

**الكلاب السود، كلاب راعويتك،**

**الكلاب البرية، كلاب سيّديّتك،**

**ألا، فلتأكلنى كلابك.**

يبدو أن أحد أصدقاء دموزى يعرف بمكان اختبائه بالإضافة إلى أخته، وعندما يحاول عفاريت الـ «جلا» إغراء أخته ورشوتها حتى تخبرهم بمكان دموزى لا يفلحون في ذلك، أما صديقه فكان إغرائه سهلا، فيفشى سره ويرشدهم عن مكان دموزى[3]:

**من النهر جاءوها بالماء، فلم تقبل،**

**من الحقل، جاءوها بالحب، فلم تقبل،**

**ذهبوا إلى صديقه وأعطوه حبوبا،**

**فقال لهم : دموزى اختبأ فى العشب،**

(1) طقوس الجنس المقدس - ص 178.

(2) السابق.

(3) انظر - إنجيل سومر - ص 124 - 125.

**لكنى لا أعرف المكان،**

**دموزى اختبأ فى قنوات «أدالى».**

**قبضوا على دموزى الذى صرخ:**

**شقيقتى أنقذت حياتى. . . صديقى سبب موتى**[1]**.**

يفلح عـفاريت الـ «جـلا» فى الإمساك بدموزى، فـيعذبوه ويوثقوه، ولم يكن أمـامه إلا التـضـرع للإله «أوتو» الذى يستـجيب له، فيـحوله إلى غزال، فيـهرب دموزى، إلا أن العفـاريت يمسكون به مرة أخرى، فـيتدخل «أوتو» ويحـوله مـرة أخرى إلى غزال، ويهـرب دموزى مرة أخرى، ويختبئ بحظيـرة أغنام أخته، ولكن هذه المرة يمـسك به الـ «جـلا» ولا يسـتطيع الهـرب منهم[2]. تقـول نصـوص الأسطورة فى وصف هذا المشهد المريع:

**العفريت الأول، وهو يدخل الحظيرة والاصطبل،**

**طعنه على خده بمسمار ثاقب،**

**والثانى، ضربه على خده بمحجن الراعى،**

**والثالث، أزال القاعدة من الماخضة المباركة،**

**والرابع، رمى من على المشجب الكأس المعلق على المشجب،**

**الخامس، حطم الماخضة، لا لبن يسكب منها،**

**حطم الكأس، دموزى لن يعيش بعد هذا،**

**حظيرة الغنم فى مهب الريح،**

**لقد مات دموزى**[3]**.**

---

(1) انظر: طقوس الجنس المقدس – ص 179 - 180، وإنجيل سومر – ص 125 - 126.

(2) انظر – طقوس الجنس المقدس – 180 - 182.

(3) السابق – ص 183.

لكن أختــه لا تدعه يواجه هذا المصيــر وحده، فتلحق به وتنزل معــه إلى العالم الأسفل لعلها تفعل له شيء بدلا من العويل والنحيب، وما أن رأته حتى صرخت:

**َمن أختك؟ إنى إختك.**

**َمن أمك؟ إنى أمك.**

**اليوم الذى سيطلع لك سيطلع لى،**

**اليوم الذى تراه سأراه أنا أيضا،**

**وكل ما قدر عليك سيقدر على[1].**

دهش دموزى المدمى الممزق الثياب، وقال لأخته:

**أواه يا أختى التى ستكون أملى،**

**إننى أذرف الدمع كالطفل،**

**وأجهش بالبكاء أمامك كالطفل[2].**

حين رأت الإلهة «أرشكيجال» - ملكة العالم الأسفل - دموزى وأخته على هذا الحــال - بديلا عن إنانا التى تكرههــا - رق قلبهــا على هذا المسكين وعلى أخته، فأمرت أتباعها وقالت[3]:

**«أكرموا دموزى فى عاله هذا، أكرموا الإله الراعى،**

**وامسحوا دماءه وطيبوا جسده بالزيت».**

ثم التفتت إلى «جشتى نانا» المفجوعة بأخيها وقالت[4]:

**«لتعمل جشتى نانا سيدة دالية الكروم كاتبة للعالم الأسفل، ولتكرم فى مكانها**

(1) إنجيل سومر - ص 129.

(2) السابق.

(3) السابق - ص 132 - 133.

(4) السابق.

**هذا، فهى العارفة الكاهنة سيدة قصرى، ولتتزوج من ولدى (ننكشزيدا)[1] الرسول الأبدى لعالمنا الأسفل».**

ثم التفتت «أرشكيجال» وقالت لأتباعها[2]:

**«ليكرم هذا الأخوان اللذان ساقتهما رعونة «إنانا» التى لن تفلت من قبضتى، ليكرما فيقضى دموزى نصف السنة الصيفى هنا، وستجدب الأرض والعالم الأعلى، وليقضى نصف السنة الشتوى على الأرض، وليرجع هناك فتخصب الإناث وتتكاثر الحظائر ويزدهر الشجر، ولتكن (جشتى نانا) رهينتى عندما يكون دموزى على الأرض، وليكن دموزى رهينتى عندما تكون (جشتى نانا) على الأرض».**

وبذلك تنتهى الأسطورة ببقاء «دموزى» نصف السنة الصيفى ميتا فى العالم السفلى، حيث تجدب الأرض أما نصف السنة الشتوى فسيكون حيا فى العالم العلوى، حيث تنمو الأرض وتزدهر وفى هذا النصف ستكون أخته - والتى ضحت من أجله - موجودة بدلا منه بالعالم السفلى.

## - دموزى والسيد المسيح:

فى مجال عقد المقارنة بين قصة الإله دموزى وحياة السيد المسيح - كما جاءت بالأناجيل، يقول كريمر[3]:

«من بلاد الرافدين انتقل موضوع موت دموزى وقيامه إلى فلسطين، وليس عجيبا بعد هذا أن نجد نسوة أورشليم يعولن على «تموز» (دموزى) فى إحدى بوابات معبد أورشليم. ولا يستبعد أبدا أن تترك أسطورة موت دموزى وقيامته بصمتها على«قصة المسيح»، بالرغم من الفجوة الروحية العميقة بينهما.

(1) ننكشزيدا: ابن الإله «ننازو» إله القمر، ويوصف هذا الإله بأنه إله الشفاء، ويرمز له بالثعبانين الملتفين على عصا، وسيصبح هذا الإله صديقاً ملازماً لدموزى وتختلط عبادته معه.

(2)

(3) طقوس الجنس المقدس - ص 191 - 192.

ولقد كانت عـدة أفكار رئيسة فى قـصة المسيح، مما يمكن إرجـاعه إلى أصول «سـومرية»، مـثل :قيامـة الإله بعد ثلاثة أيام وليال فى العالم الأسفل، ومـفهوم الثلاثين شاقلا، وهو المبلغ الذى قبضه يهوذا ثمن خيانة سيده، دلالة على الاحتقار والزراية، وكذلك لقب الراعى [وهو لقب دموزى]، والمسـيح والذى يعنى الممسوح بالزيت رأسه عند تتويجه ملكا، وربما النجار.

وهناك واقعة لا تقل أهمية وهى أن أحد الآلهة، الذين سوف يتحداهم دموزى، هو الإله دامو «الطيب»، الذى عهدت إليه أمه بمهـمة الشفاء بواسطة طرد العفاريت. إلى هذه جميـعا لعلنا نستطيع أن نضيف الآن [والكلام لكريمر] العـذاب الذى لقيه دموزى على أيدى العفـاريت العتاة، مما يذكرنا إلى حد ما بآلام المسـيح: شد وثاقه بالمسامير، أجبر على خلع ثيابة والركض عاريا، جُلد وضُرب.

وقد صـرنا - فوق كل هذا - نعلم أن دموزى، وهو فى هـذا لا يختلف عن المسيح، لعب دور البـدل الذى تعذب نيـابة عن البشرية، فلو لم يـحل محل إنانا، إلاهة الحب والتكاثر والخصـوبة فى العالم - طبقا للأسطورة الـسومرية - لـكانـت جمـيع أشكال الحـياة على الأرض قـد أوفت على نهايتـها. لكننا نسلم بأن نـقاط الافتراق بين الاثنين أكبر وأظهر من نقـاط الالتقاء، فدموزى لم يكن «مسيّا» يـبشر بقيام ملكوت الله على الأرض.

غـير أن قـصة المسـيح لم تنشأ وتتـطور فى فراغ، فـلابد أن يكون لها سـوابق وأصول، أهمهـا وأبعدها أثرا القصة المبكية لدمـوزى، الإله الراعى وما آل إليه من مصير محزن، وهى أسطورة كانت شائعة فى جميع أنحاء الشرق القديم على مدى ألفين من السنين» أ.هـ.

* * * *

# الفصل الخامس
# ملحمة جلجامش

## - التعريف بجلجامش:

كان جلجامش، أو (كلكامش) بطلا سومريا، لكن ملحمته السومرية لم تصل إلينا، بل وصلت إلينا الملحمة المكتوبة باللغة الأكدية فى نسخ عديدة غير مكتملة، أما الذى ورد فى اللغة السومرية عنه فمجموعة قصص قصيرة لا تغنى عن المدون باللغة الأكدية (البابلية).

فجلجامش من ناحية التاريخ الأدبى لوادى الرافدين يعد من أشهر أبطال القصص والملاحم، أما بالنسبة للحقائق التاريخية فما جاء عنه قليل، ومن ذلك أن اسمه ورد فى إثبات الملوك السومريين من سلالة مدينة «أوروك» (الوركاء)، وهى السلالة الثانية التى حكمت بعد الطوفان[1].

وتروى القصص (كما فى ملحمة جلجامش) أن أمه كانت الإلهة «ننسون» وهى إحدى بنات الإله إنكى، وعلى ذلك، فهو يظهر لنا بصورة إنسان متأله دفعته الأساطير لمقام الآلهة، أما أبوه فهو الإله «لوكال بندا»[2].

وخلاصة القول، ومن جماع الأدلة الكتابية والأثرية أن جلجامش كان أحد حكام دول المدن السومرية فى العصر المسمى «عصر فجر السلالات» (2800 - 2400 ق .م) وأنه حكم مدينة الوركاء، ونسبت إليه أعمال البطولة المختلفة فى الأساطير والقصص السومرية ومنها قصة «أجا» ملك «كيش» ونزاعه مع جلجامش،

(1) انظر - طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 57 - 58.

(2) السابق، وإنجيل سومر - ص 211.

والمرجح أن جلجامش كان معاصرا لمؤسس سلالة أور الأولى، الملك «مس - آنيبدًا» ، وأن الملحمة بنصها الأكدى أى البابلى «السامى» بدأت تتبلور فى عهد سيطرة السلالة الأكدية التى أسسها سرجون الأكدى الشهير (فى حدود 2370 ق.م) ودونت كاملة فى العهد البابلى القديم (مطلع الألف الثانى ق.م)[1].

## - الأفكار الفلسفية التى تدور حولها الملحمة:

عالجت هذه الملحمة قضايا إنسانية عامة، مثل فكرة الحياة والموت، وحال الإنسان بعد الموت، والخلود. ومثلت تمثيلا بارعا مؤثرا ذلك الصراع الأزلى بين الموت والفناء المقدرين، وبين إرادة الإنسان المغلوبة المقهورة فى محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعى وراء وسيلة للخلود[2].

والموضوع الأساسى الذى شغلت به الملحمة هو البرهان على حتمية الموت على البشر، حتى بالنسبة إلى بطل مثل جلجامش الذى **ثلثاه من مادة الآلهة الخالدة وثلثه الباقى من مادة البشر الفانية،** لأن الآلهة - كما جاء فى الملحمة - قد استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية[3].

وإذا كان الموت والفناء مقدرين على الإنسان، فماذا يفعل الإنسان حتى يظل خالدا أبد الدهر؟ تجيب الملحمة عن هذا التساؤل، فتخبرنا أن الإنسان ممكن أن ينال الخلود، ولكن الخلود هنا ليس خلودا جسديا، وإنما هو خلودا معنويا يتمثل فى قيامه بالأعمال العظيمة التى تخلد ذكراه لدى الأجيال، وتجعل روحه تنال الراحة والطمأنينة فى عالم الأرواح «العالم الأسفل» بحسب عقيدة العراقيين القدماء[4].

---

(1) طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 59.

(2) السابق - ص 49.

(3) السابق.

(4) انظر السابق - ص 51.

## - البداية (وصف جلجامش وطريقة خلْقه):

تقول النصوص الأكدية عن جلجامش[1]:

**هو الذى رأى كل شىء فغنى بذكره يا بلادى.**

**وهو الذى عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها.**

**وهو الحكيم العارف بكل شىء:**

**لقد أبصر الأسرار وكشف عن الخفايا المكتومة.**

**وجاء بأنباء ما قبل الطوفان[2].**

**لقد سلك طرقا بعيدة متقلبا ما بين التعب والراحة.**

**فنقش فى نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره[3].**

**بنى أسوار «أوروك» المحصنة[4].**

**وحرم «اى - أنّا» المقدس والمعبد الظاهر[5].**

**أبحث عن اللوح المحفوظ فى صندوق الألواح النحاسى.**

**وافتح مغلاقه المصنوع من البرونز.**

---

(1) انظر السابق - ص 85 وما بعدها.

(2) حيث سيتقابل جلجامش - وفقاً للنص البابلى - مع بطل الطوفان البابلى «أوتو - نبشتم» والذى عُرف فى الروايات السومرية باسم «زيسودرا» حكيم مدينة شروباك، وسوف يروى هذا البطل لجلجامش أخبار الطوفان.

(3) فطبقاً لنصوص الأسطورة نجد أن جلجامش قد عزم على الوصول إلى أرض الخلود أو أرض الحياة التى تنتصب فيها صخور يسجل الأبطال عليها أسماءهم ليكون ذكرهم خالداً.

(4) أوروك: المدينة السومرية الشهيرة التى حافظت على اسمها فى العهد العربى الإسلامى بهيئة «الوركاء» أو الورقاء. وورد ذكرها فى التوراة بصيغة «ارك» وفى المصادر اليونانية والرومانية باسم «اورخوى». وتقع بقاياها الآن على نحو 220 كم جنوب شرقى بغداد.

(5) اي - أنّا: أشهر معابد أوروك المقدسة، وقد خصص لعبادة كبير الآلهة السومرى «آنو» والإلهة «نانا» (عشتار).

واكشف فتحته السرية.

تناول لوح حجر اللازورد واجهر بتلاوته.

وستجد كم عانى جلجامش من العناء والنصب.

وفاق جميع الحكام، إنه ذو الهيئة البهية السامية.

إنه البطل سليل أوروك، والثور النطاح.

إنه موجة طوفان عاتية تحطم حتى جدران الحجر.

نسل «لوكال - بندا» - إنه جلجامش المكتمل القوة.

ابن البقرة الجليلة «رمات - ننسون».

جلجامش المكتمل فى الجلال والألوهية.

إنه هو الذى فتح مجازات الجبال.

وحفر الآبار فى مجازات الجبال.

وعبر البحر المحيط، إلى حيث مطلع الشمس.

لقد جاب جهات العالم الأربع.

وهو الذى سعى لينال الحياة الخالدة.

من ذا الذى يضارعه فى الملوكية؟

من غير جلجامش من يستطيع أن يقول :أنا الملك؟

ومن غيره من سمى جلجامش ساعة ولادته؟

ثلثاه إله، وثلثه الباقى بشر.

لقد صممت هيئة جسمه الآلهة العظيمة.

**بعد أن خُلق جلجامش، وأحسن الإله العظيم خلقه.**

**حباه «شمش»، السماوى بالحسن وخصه «أدد» بالبطولة[1].**

**جعل الآلهة العظام صورة جلجامش كاملة تامة.**

**كان طوله إحدى عشر ذراعا وعرض صدره تسعة أشبار.**

**ثلثان منه إله، وثلثه الآخر بشر .**

**وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشى.**

**وفتك سلاحه لا يصده شيء.**

## - جلجامش وأجا "Agga":

يدور هذا الجزء من الملحمة حول النزاع بين جلجامش الذى يعد من الناحية التأريخية خامس ملوك الوركاء الأول و«أجّا» (Agga) آخر ملوك سلالة كيش الأولى، وكلاهما حكم فى أواخر عصر السلالات الثانى فى حدود 2500 ق.م[2].

وخلاصة القصة أن «أجّا» ملك كيش أراد أن يبسط سلطانه على دولة مدينة «أوروك» وكان يحكمها - كما ذكرنا - جلجامش، وقبل أن يشن الحرب أرسل رسله إلى جلجامش تحمل إنذارا له بأن يخضع له ويعترف بسيادة كيش على «أوروك» (الوركاء)، وتوضح القصة الحكم الديمقراطى الذى كانت تتمتع به مدينة «أوروك»، فقد كان يقوم على تصريف شئونها مجلسين: أحدهما مجلس شيوخ المدينة وثانيهما مجلس الرجال المحاربين. ولما كان قرار الحرب قرارا خطيرا، فكان لزاما على جلجامش أن يعرضه على مجلس الشيوخ، وكان رأى جلجامش عدم الرضوخ لإنذار «أجا» إلا أن مجلس الشيوخ رفض هذا الاقتراح وفضل عدم

(1) شمش: إله الشمس البابلى، واسمه السومرى «أتو».

(2) طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 221 - 222.

الحرب، فامتعض جلجامش لهذا القرار، لذا عرض الأمر ثانية على المجلس الآخر - مـجلس الرجـال المحـاربين - الذى وافق بدوره على خـوض الحـرب وعـدم الاستسلام[1].

ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السـفن، فنجد أن «أجا» يضرب حصـارا قويا على أوروك يجـبر بعدهـا جلجامش على قبول التبـعية مقابل رفع الحـصار، تقول النصوص[2]:

**رسل أجا بن انمبارا جيزى،**

**انطلقوا من كيش إلى جلجامش فى أوروك.**

**السيد جلجامش عرض الأمر على كبار المدينة.**

**يلتمس كلمة منهم.**

**أن ننجز الآبار، أن ننجز آبار جميع البلاد[3].**

**أن ننجز الآبار، «الأقداح» الصغيرة فى البلاد**

**أن نحفر الآبار، أن ننجز جبال الأحزمة**

**الا فلنرفض الخضوع لبيت كيش، ولنعمل فيهم السلاح.**

**مجلس كبار المدينة المجتمع أجاب جلجامش:**

**«أن ننجز الآبار، أن ننجز آبار جميع البلاد،**

**أن ننجز الآبار، «الأقداح» الصغيرة فى البلاد،**

(1) انظر - السابق - وكذلك إنجيل سومر - ص 209.

(2) حول هذه النصوص انظر - كريمر - السومريون - ص 187 - 190، وطقوس الجنس المقدس - ص - 59 56، وطه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 113 - 226.

(3) هذه الأبيات تدل على أن «أجّا» كان يريد أن يعمل أهل أوروك فى أعمال السخرة لصالح كيش، وهذا ما رفضه جلجامش، ووافق عليه مجلس كبار المدينة (مجلس الشيوخ).

**أن نحفر الآبار، أن ننجز حبال القيود،**

**ألا فلنخضع لبيت كيش، ولا نعمل فيهم السلاح».**

مع إذعان مجلس الشيوخ لمطالب أجـا حاكم كيش، ورفضهم الحرب، يضطر جلجامش إلى عرض الأمر على مجلس المحاربين:

**ثم عرض جلجامش، سيد كلاب الأمر[1].**

**على شباب أهل مدينته، يلتمس الكلمة منهم:**

**«أن ننجز الآبار، أن ننجز آبار جميع البلاد،**

**أن ننجز الآبار، «الأقداح» الصغيرة فى البلاد،**

**أن نحفر الآبار، أن ننجز حبال القيود،**

**إياكم والخضوع إلى بيت كيش، ولنعمل فيهم السلاح».**

**مجلس شباب المدينة المجتمع يجيب جلجامش:**

**من الذين يقفون، من الذين يجلسون،**

**من الذين تربّوا مع أبناء الملوك،**

**من الذين يضغطون فخذ الحمار.**

**الذين منهم، من له روح![2]**

**لا يخضعون إلى بيت كيش، ألا فلنعمل فيهم السلاح.**

**«إن أوروك، صنعة أيدى الآلهة.**

---

(1) كلاب: أحد قسمى مدينة الوركاء.

(2) تنطوى هذه الأبيات على التنديد بمجلس كبـار أهل المدينة «مجلس الشيوخ»، والذى كانوا يتمـتعون ببعض الامتيازات. انظر طقوس الجنس المقدس - ص 270.

**وإيانا[1]، البيت الذى يصاعد فى السماء.**

**الآلهة العظمى التى قدّت أجزاءها.**

**وأسوارها العظيمة التى تلامس السحاب،**

**محل سكناها الرفيع شيده «آن»،**

**أنت تتكفل به، أيها الملك البطل،**

**أيها الفاتح، الأمير الذى يحبه آن،**

**من الذى يخشى مقدم «أجا».**

**وجيشه صغير، ومؤخرته تترنح،**

**ورجاله لا يرفعون عيونهم إلى الأعلى».**

**وعندئذ سر قلب جلجامش.**

**ومن كلمات شباب أهل مدينته.**

**ابتهجت نفسه.**

وعندئذ يحزم جلجامش أمره، ويستعد للحرب، وطارت أخباره إلى الملك «أجا»، فجيش الجيوش، وقام بمحاصرة أوروك، فتصدى له جلجامش وأهل أوروك، ولكنهم هزموا وعادوا داخل أسوار أوروك الحصينة، وحينها أدرك جلجامش بأنه لا يستطيع مواجهة «أجا» وجيشه، وهنا يبدو أن مجلس الشيوخ أو كبار المدينة كان محقا فى رفضه طلب الحرب، لأنه - وكما يبدو - كان على علم بقوة «أجا» العسكرية وحذقه، وعلى كل حال، يرسل جلجامش رسولا إلى «أجا» يطلب منه الصلح، لكن «أجا» قتله، فأرسل جلجامش رسولا آخر يدعوه فيه إلى

(1) إيانا: أو أى - أنا (E - Anna) ومعناه بيت السماء أو البيت السماوى أو بيت آنو، المعبد الرئيسى فى الوركاء الذى خصص لعبادة الإلهة «إنانا» والإله «آنو» أبيها.

رفع الحصار عن أوروك على أن تدين له أوروك بالطاعة، فقبل «أجا» رفع الحصار، وعاد إلى كيش منتصرا.

## - جلجامش وإنانا والثور السماوى:

طبقا للنصوص السومرية لهذه الأسطورة، نجد جلجامش - بعدما أذعن لـ «أجا» ملك كيش أخذ يتضرع إلى الإله «إنليل» لأنه هو الذى أعان الأعداء عليه، فيخبره «إنليل» أن أمر الحرب والسيادة بيد إنانا (عشتار بالبابلية) وإنها الوحيدة القادرة على تقرير مصائر البلدان ونتائج الحروب، فيطلب جلجامش من إنليل أن يحدث «إنانا» فى هذا الأمر، فيفعل إنليل، لكن إنانا ما أن رأت جلجامش حتى مالت إليه، وأعجبت به، وحاولت إغرائه، إلا أن جلجامش - العالم بتاريخ إنانا وإغوائها الرجال ثم تدميرهم - يرفض هذه الإغراءات، ويذكر إنانا بتاريخها الأسود، فلا تجد أمامها إلا أن ترسل إليه «ثور السماء» كى يدمر جلجامش، بل وأوروك بأجمعها، ولكن جلجامش يهزمه شر هزيمة[1].

أما فى النص البابلى، فنجد أن «إنانا» أو «عشتار» قد أعجبت بجلجامش بعدما عاد منتصرا من غابة الأرز بعد أن قتل الوحش «خمبابا» (هواوا أو خواوا بالسومرية)، فبعد هذا النصر المدوى ارتدى جلجامش أفخر ثيابه، فلم تستطع إنانا (عشتار) المتعطشة دائما لمثل هؤلاء الرجال مقاومته، فعرضت عليه الزواج ولكن - ولنفس الأسباب السالف ذكرها - يرفض جلجامش هذا العرض بعدما يذكرها بفضائحها، تقول نصوص الأسطورة البابلية[2]:

**غسل جلجامش شعره الطويل وصقل سلاحه.**

**وأرسل جدائل شعره على كتفيه.**

---

(1) انظر - إنجيل سومر - ص 211 - 212.

(2) انظر - طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 125 - 135.

وخلع لباسه الوسخ واكتسى حللا نظيفة.

ارتدى حلة مزركشة وربطها بزنار.

ولما أن تكلل جلجامش بتاجه.

رفعت عشتار «إنانا» الجليلة عينيها.

ورمقت جمال جلجامش فنادته:

«تعال يا جلجامش وكن عريسى الذى اخترت.

امنحنى بذرتك اتمتع بها.

ستكون أنت زوجى وأكون زوجك.

سأعد لك مركبات من حجر اللازورد والذهب.

عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز.

وستربط لجرها «شياطين الصاعقة» بدلا من البغال الضخمة.

وفى بيتنا ستجد شذا الأرز يعبق فيه إذا ما دخلته.

إذا ما دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتبة والدكة.

سينحنى خضوعا لك الملوك والحكام والأمراء.

وسيقدمون لك الإتاوة من نتاج الجبل والسهل.

وستلد عنزاتك «ثلاثا ثلاثا» وتلد نعاجك «التوائم».

وحميرك ستفوق البغال فى الحمل.

وسيكون لخيول مركباتك الصيت العلى فى السبق.

وثورك لن يكون له مثيل وهو فى نيره».

إلا أن جلجامش قـد جاءت ردوده ضد كل هذه الإغـراءات، لأنه على يقين أن نهايته ستكون على يديها إذا هو وافقها. يجيب جلجامش:

**«ماذا على أن أعطيك لو أخذتك زوجة؟**

**هل سأعطيك السمن والكساء لجسدك؟**

**هل سأقدم لك الخبز والطعام؟**

**وأى أكل وشراب سأعطيك مما يليق بسمة الألوهية؟**

**أى خير سأناله لو أخذتك زوجة؟**

**أنت !ما أنت إلا الموقد الذى تخمد ناره فى البرد.**

**أنت كالباب الخلفى لا يحفظ من ريح ولا عاصفة.**

**أنت قصر يتحطم فى داخله الأبطال.**

**أنت فيل يمزق رحله.**

**أنت قير يلوث من يحمله.**

**أنت قربة تبلل حاملها.**

**أنت حجر مرمر ينهار جداره.**

**أنت ماكنة حصار تخرب بلد الأعداء.**

**وأنت نعل يقرص قدم منتعله.**

**أى من عشاقك من أحببته على الدوام؟**

**وأى من رعاتك من أرضاك دائما؟**

**تعالى أقص عليك مآسى عشاقك:**

**من أجل تموز (دموزى) حبيب صباك.**

قضيت بالبكاء والنواح عليه سنة بعد سنة.

لقد رمت طير الراعى.

ولكنك ضربته وكسرت جناحيه.

وها هو الآن حاط فى البساتين يصرخ نادبا:

«جناحى! جناحى».

ورمت بحبك الأسد الكامل القوة.

ولكنك حفرت للإيقاع به سبع وسبع وجرات.

ورمت الحصان المجلى فى البراز والسباق.

ولكنك سلطت عليه بالعدْو شوط سبع ساعات مضاعفة.

وقضيت عليه ألا يرد الماء إلا بعد أن يعكره.

وقضيت على أمه «سليلى» أن تواصل البكاء والندب عليه.

وأحببت راعى القطيع.

الذى لم ينقطع يقدم إليك أكداس الخبز.

وينحر الجداء ويطبخها لك كل يوم.

ولكنك ضربته وحولته ذئبا.

وصار يطارده الآن ألفه من حماة القطيع.

وكلابه تعض ساقيه.

وأحببت «إيشولّنو»، بستانى أبيك.

الذى حمل إليك سلال التمر بلا انقطاع.

وجعل مائدتك عامرة بالوفير من الزاد كل يوم.

ولكنك رفعت إليه عينيك فراودته وقلت له:

«تعال يا حبيبى «إيشولنو»، ودعنى أتمتع برجولتك.

مد يدك والمس مفاتن جسمى».

فقال لك «ايشولنو».

ماذا ترومين منى؟

ألم تخبز أمى فآكل من خبزها.

حتى آكل خبز الخنا والعار؟

وهل يدرأ كوخ القصب الزمهرير؟

وأنت لما سمعت كلامه هذا ضربته بعصاك ومسخته ضفدعا.

ووضعته وسط (طين البرك)[1] فى عذاب.

فلا يستطيع أن يعلو مرتفعا ولا ينزل منحدرا.

فإذا أحببتنى فستجعلين مصيرى مثل هؤلاء».

بعد سماع إنانا لهذا الرد الذى حمل كل معانى الإهانة، لا تجد مفر من اللجوء إلى أبيها «آنو» ليخلق لها «ثورا سماويا» يهزم جلجامش ويحل الخراب على «أوروك»:

ولما سمعت عشتار (إنانا) هذا.

استشاطت غيظا وعرجت إلى السماء.

صعدت عشتار وبكت أمام أبيها «آنو» وقالت:

يا أبى إن جلجامش سبنى وأهاننى.

---

(1) ما بين القوسين إضافة من عندى حتى يكتمل السياق.

لقد عدَّد جلجامش مثالبي وعاري وفحشائي.

ففتح آنو فاه وقال لعشتار الجميلة:

«أنت التي تحرشت فجنيت الثمرة.

فعدد جلجامش فحشاءك وعارك ومثالبك».

ففتحت عشتار فاها وقالت لآنو، أبيها:

«اخلق لي يا أبت ثورا سماويا ليغلب جلجامش ويهلكه.

وإذا لم تعطني الثور السماوي.

فلأحطمن باب العالم الأسفل.

وأفتحه على مصراعيه.

وأدع الموتى يقومون فيأكلون الأحياء.

ويصبح الأموات أكثر عددا من الأحياء».

ففتح «آنو» فاه وأجاب عشتار الجليلة وقال:

«لو فعلت ما تريدينه مني وزودتك بالثور السماوي.

لحلت في أرض «أوروك» سبع سنين عجاف.

فهل جمعت غلالا لهذه السنين العجاف.

وهل خزنت العلف للماشية».

فتحت «عشتار» فاها وأجابت أباها «آنو» قائلة:

«لقد جمعت «بيادر» الحبوب للناس.

وخزنت العلف للماشية.

فلو حلت سبع سنين عجاف.

فقد خزنت غلالا وعلفا.

تكفى الناس والحيوان».

ولما أن سمع كلامها سلم عشتار.

سلسلة مقود الثور السماوى فأخذته وقادته إلى الأرض،

أنزلته فى أرض «أوروك».

هبط الثور السماوى وأخذ ينشر الرعب والفزع.

وقضى فى أول خوار له على مائة رجل ثم مائتين وثلاثمائة.

وقتل فى خواره الثانى مائة ومائتين وثلاثمائة.

وفى خواره الثالث هجم على «إنكيدو»[1].

ولكن «إنكيدو» صد هجومه.

قفز «إنكيدو» ومسك الثور السماوى من قرنيه.

فرشق الثور السماوى وجهه بزبده ورغائه.

وقذفه بالروث بذيله.

ففتح «إنكيدو» فاه، وقال لجلجامش:

«ينبغى أن نقتسم العمل فيما بيننا.

أنا سأمسك بالثور من ذيله.

وينبغى أن يكون الطعن بالسيف ما بين السنام والقرنين».

فطارد «إنكيدو» ثور السماء ليمسك به.

ومسك به من ذيله وضبطه بكلتا يديه.

---

(1) انكيدو: صديق جلجامش وسنعرض لقصته مع جلجامش فى موضع لاحق.

وجلجامش، مثل قصاب ماهر،

طعن الثور السماوى طعنة قاتلة.

وغرس حسامه ما بين السنام والقرنين.

وبعد أن أجهزا على الثور السماوى اقتلعا قلبه.

وقرباه إلى الإله «شمش»[1]، وسجدا له.

وقعد الأخوان (جلجامش وإنكيدو) واستراحا.

أما «عشتار» (إنانا) فإنها اعتلت فوق أسوار «أوروك» العالية

قفزت فوق الشرفات وقذفت بلعناتها صارخة:

«الويل لجلجامش - الذى دنسنى وأهاننى بقتله الثور السماوى».

ولما أن سمع «إنكيدو» هذا القول من عشتار.

قطع فخذ الثور السماوى وقذفه فى وجهها وقال:

«لو أمسكت بك لفعلت بك مثل ما فعلت به.

ولربطت أحشاءه بأطرافك».

فجمعت عشتار المتبتلات وبغايا المعبد والمومسات.

وأقامت المناحة والبكاء على فخذ الثور السماوى الأيمن.

أما جلجامش فإنه دعا الصناع، وصانعى السلاح كلهم.

فانبهر الصناع من كبر قرنيه وثخنهما.

فإن كلا منهما من حجر اللازورد بزنة ثلاثين منا[2].

(1) شمش: إله الشمس عند البابليين، وعند السومريين هو الإله «أوتو».

(2) زنة «المن» البابلى حوالى نصف كيلو جرام.

وثخن طلاء كل منهما اصبعان.

ومقدار ستة «كرات»[1] من السمن سعة كليهما.

فقرب بمقدار ذلك زيتا للمسح إلى إلهه (الحامى) «لوكال بندا».

أخذهما وعلقتهما فى حجرة نومه الزاهية.

ثم غسلا أيديهما فى نهر الفرات.

وعانق كل منهما الآخر وهما سائران فى الطريق.

سارا راكبين فى دروب «أوروك».

فاجتمع أهل «أوروك» ليشاهدوهما.

وصار جلجامش يخاطب مغنيات أوروك ويردد:

«من الأمجد بين الأبطال ؟

ومن أزهى الرجال»؟

فيجبنه: «جلجامش الأمجد بين الأبطال.

جلجامش زين الرجال».

ولم تجد عشتار (إنانا) فى الدرب من يواسيها ويفرح قلبها.

كانت «إنانا»غاضبة أشد الغضب لأن ما حدث - من وجهة نظرها - كان فيه ضياع لهيبتها، ولما رأى «جلجامش» هذا الغضب ناشدها أن تعود على مدينتها المقدسة «أوروك»، ويتدخل أخوها «أوتو» ويقنعها بالعودة إلى مدينتها، فهى حارستها، وكان الأولى بها أن تعينها على أعدائها وليس العكس، فتفيق «إنانا» من

(1) «الكر» البابلى قياس للسعة والحجوم يساوى نحو 300 لتر.

ثورة غضــبها، فـتمسك بصولجـانها وتصيح «أنا أتوج جـلجامش بطلا على أوروك وسومر كلها، وسأرعى جلجامش وأوروك وأقيم فيها»[1].

قفزت إنانا من ســور «أوروك» وعانقت جلجامش وتوجتـه بطلا وملكا وسارت معه وسط «أوروك» وفى ساحاتها ورأى الناس عظمة ملكهم وقوته فهتفوا له طويلا، ويوم طارت أخبـار «أوروك» إلى الأصقاع أدانت المدن الأخرى له بالطاعـة والغلبة، واعتذر «أجا» ملك «كيش» عن طيشه وساد «أوروك» الفرح لوقت طويل[2].

## - جلجامش وإنكيدو:

لم توضح لنا النصوص السومرية الكثير عن شخصية «إنكيدو» وكيفية ظهوره، وكيف صار صديقا لجلجامش وخلا له، أما الملحمة البابلية فقد أفصحت لنا عن كل هذه الأمور، حتى أن البعض يشك فى أن إنكيدو الســومرى هو نفسه إنكيدو الذى ظهر فى الملحمة الأكدية (البابلية)[3]، وعلى ذلك سنعرض لهذا الجزء من الملحمة كما جاءت به النصوص البابلية[4].

تبدأ نصوص هذا الجزء من الأسطورة بشكوى أهل مدينة «أوروك» للإله «آنو» من اضطهاد «جلجامش» وظلمه لهم، حيث أنه:

**لم يترك (جلجامش) عذراء طليقة لأمها**

**ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل[5].**

وعندئذ يستجيب الإله «آنو» لشكواهم، ويطلب من الإلهة «أرورو»[6] - والتى

---

(1) إنجيل سومر - ص 216 - 217.

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) ملخص هذا الجزء من الملحمة ذكره ول ديورانت فى قصة الحضارة - جـ 2 - ص 240 - 241.

(5) طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 90 - 91.

(6) أرورو: إحدى الإلهات الخالقات.

خلقت جلجامش - طبقا لهذا الجزء من الأسطورة - طلب منها أن تخلق له غريما له، حتى ينشغل جلجامش بمصارعته عن أهل «أوروك»:

**حالما سمعت «أرورو» ذلك.**

**تصورت فى لبها صورة لآنو.**

**وغسلت «أرورو» يديها.**

**وأخذت قبضة من طين ورمتها فى البرية.**

**وفى البرّية خلقت «إنكيدو» الصنديد مثل «ننورتا» [1]القوى.**

**يكسو جسمه الشعر الكث، وشعر رأسه كشعر المرأة.**

**ونمت فروع شعر رأسه جدائل كشعر نصابا[2].**

**لا يعرف الناس ولا البلاد ويلبس لباسا مثل «سموقان»[3].**

**ومع الظباء يأكل العشب.**

**ويتدافع مع الوحش عند موارد الماء.**

**ويطيب لبه عند ازدحام الحيوان فى مورد الماء.**

بعد ذلك يراه أحد الصيادين، بهذه الهيئة القوية، وهو يشرب مع الوحوش، ويسكن معهم بيوتهم، بل ويقطع شباك الصياد ويفسد أشراكه، فهو يحمى الحيوانات لأنه يعتقد أنه واحد منهم، والحيوانات بدورهم يحبونه، لأنهم يعتقدون ذلك، وكيف لا، وقد تربى بينهم، وأكل طعامهم، وشرب شربهم، وبإيعاز من والد الصياد، يذهب الصياد إلى «جلجامش» ليخبره ما رأى من قوة هذا الرجل،

(1) ننورتا: إله الحرب والصيد.

(2) نصابا: إلهة الغلة والحبوب.

(3) سموقان: إله الماشية.

وكيف أنه لا يستطيع الصيد بسببه، فيـرسل معه «جلجامش» أحد البغايا حتى تغرى «إنكيدو» بمفاتنها ويجامـعها، وعندها سيتصرف «إنكيدو» بطريقة بشرية، فـتبتعد عنه الوحوش وجميع الحيوانات، ويستطيع الصـياد أن يقوم بعمله الذى اعتاده، وبالفعل يقوم الصياد بتنفيذ المخطط المرسوم، تقول النصوص[1]:

**قصدت وحوش البر الماء ففرحت وطابت قلوبها.**

**أما «إنكيدو» الذى كان مولده فى التلال.**

**والذى يأكل العشب مع الظباء، ويرد الماء مع الحيوان.**

**ويفرح لبه مع حيوان البر عند مسقى الماء.**

**فإن «البغى» رأته، رأت الرجل الوحش.**

**أبصرت البغى المارد، الآتى من قلب الصحارى.**

**فأسر إليها الصياد.**

**«هذا هو أيتها البغى فاكشفى عن نهديك.**

**اكشفى عن عورتك لينال من مفاتن جسمك.**

**لا تحجمى، بل راوديه وابعثى فيه الهيام.**

**فإنه متى رآك انجذب إليك.**

**انضى عنك ثيابك ليقع عليك.**

**علمى الوحش الغر وظيفة المرأة.**

**ستنكره حيواناته التى ربيت معه فى صحرائه.**

**إذا حفى بك وانعطف حبه إليك».**

---

(1) النص من ملحمة كلكامش - طه الباقر - ص 95 وما بعدها.

**فأسفرت البغى عن نهديها وكشفت عن عورتها.**

**فتمتع بمفاتن جسمها.**

**لم تحجم بل راودته وبعثت فيه الشوق.**

**نضت عنها ثيابها فوقع عليها.**

**وعلمت الوحش الغر وظيفة المرأة.**

**فانجذب إليها وتعلق بها.**

**لبث «إنكيدو» يتصل بالبغى ستة أيام وسبع ليال.**

**وبعد أن شبع من مفاتنها.**

**وجه وجهه إلى إلفه من حيوان الصحراء.**

**فما أن رأت الظباء «إنكيدو» حتى ولت عنه هاربة.**

**وهربت من قربه وحوش الصحراء.**

**ذعر «إنكيدو» ووهنت قواه.**

**خذلته ركبتاه لما أراد اللحاق بحيواناته.**

**أضحى «إنكيدو» خائر القوى.**

**لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل.**

**ولكنه صار فطنا واسع الحس والفهم.**

**رجع وقعد عند قدمى البغى.**

**وصار يطيل النظر إلى وجهها.**

لم ينته دور البغى عند هذا الحد، فـلا يكفى أن يبتعد «إنكيدو» عن الحيـوانات

التى تربى معهـا، ولكن عليها أن تحفـزه على تحدى جلجامش ومصـارعته، وذلك حتى ينشغل عما يفعله فى أهل أوروك. أو كما تقول النصوص[1]:

**كلمت البغى «إنكيدو» وقالت له:**

**«صرت تحوز على الحكمة يا «إنكيدو» وأصبحت مثل إله.**

**فعلام تجول فى الصحراء مع الحيوان؟**

**تعال آخذك إلى «أوروك» ذات الأسوار.**

**إلى «البيت» المقدس، مسكن «آنو» و«عشتار».**

**حيث يعيش جلجامش الكامل الحول والقوة.**

**المتسلط على الناس كالثور الوحشى».**

**لما أن كلمته تقبل منها قولها.**

**وفرح قلبه لأنه كان ينشد صاحبا له.**

**فأجاب «إنكيدو» البغى وقال لها:**

**«هلمى أيتها البغى، خذينى إلى البيت الطاهر،**

**مسكن آنو وعشتار حيث يحكم جلجامش الكامل الحول والقوة.**

**والمتسلط على الناس كالثور الوحشى.**

**وأنا سأتحداه وأغلظ له فى القول.**

**وسأصرخ فى قلب «أوروك»: أنا الأقوى.**

**أجل !أنا الذى سأبدل المصائر.**

**أنا الذى ولد فى الصحراء هو الأشد والأقوى.**

(1) السابق - ص 97 وما بعدها.

وبالفعل تصاحبه البغى إلى «أوروك» ، وقبل أن يصل إلى جلجامش يرى الأخير رؤيا يقصها على أمه «ننسون» حتى تقوم بتأويلها:

**«يا أمى لقد رأيت الليلة الماضية حلما.**

**رأيت أنى أسير مختالا بين الأبطال.**

**فظهرت كواكب السماء.**

**وقد سقط أحدها إلى وكأنه شهاب السماء «آنو».**

**أردت أن أرفعه ولكنه ثقل على.**

**وأردت أن أزحزه فلم أستطع أن أحركه.**

**تجمع حوله أهل بلاد «أوروك».**

**ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه.**

**واجتمع عليه الأبطال.**

**وقبل أصحابى قدميه**

**أحببته وانحنيت عليه كما انحنى على امرأة.**

**ورفعته ووضعته عند قدميك.**

**فجعلته نظيرا لى»[1].**

**قالت «ننسون» العارفة بكل شىء لجلجامش:**

**«إن رؤيتك نظيرك كوكب السماء.**

**والذى سقط إليك وكأنه شهاب السماء «آنو».**

**والذى أردت أن ترفعه فثقل عليك.**

(1) السابق - ص 99 - 100.

**والذى أردت أن تزحزحه فلم تستطع.**

**وأحببته وانحنيت عليه كما تنحنى على امرأة.**

**والذى وضعته عند قدمى.**

**فجعلته أنا نظيرا لك.**

**إنه صاحب قوى، يعين الصديق عند الضيق سيأتى إليك.**

**إنه أقوى من فى البلاد وذو عزم شديد.**

**وعزمه مثل عزم «آنو» وذو بأس شديد.**

**وأما إنك أحببته فانحنيت عليه كما تنحنى على امرأة.**

**فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك.**

**وهذا هو تفسير رؤياك»[1].**

**ففتح جلجامش فاه وقال مخاطبا أمه:**

**«عسى أن يتحقق هذا الفأل بمشيئة «إنليل» العظيم.**

**فيكون لى صاحب وصديق ناصح.**

**وسأكون له صاحبا وصديقا وفيا»[2].**

فى هذه الأثناء تقوم البغى بشق ثوبها شقين، ألبست «إنكيدو» أحدهما، ولبست هى الآخر، ثم أخذته إلى كوخ الرعاة، فعاشرهم، وعلموه كيف يأكل الطعام ويشرب الشراب، وكيف ينظف جسده، فأصبح إنسانا بكل ما تحمله الكلمة من معان، وساعد الرعاة بأن قتل لهم الوحوش حتى يرعوا فى اطمئنان، فصار

(1) السابق.

(2) السابق.

حارسهم وناصرهم. وذات يوم جاء إلى «إنكيدو» رجل من أهل «أوروك» يشكو له من جلجامش وأفعاله:

**«لقد اقتحم (جلجامش) بيت الاجتماع،**

**الذى خصص للناس والأعراس،**

**لقد أحل فى المدينة العار والدنس.**

**وفرض على المدينة المنكودة المنكرات وأعمال السخرة.**

**لقد خصصوا الطبل[1] إلى ملك «أوروك»، ذات الأسواق.**

**يخصصون الطبل ليختار العرائس قبل أزواجهن.**

**فيكون هو العريس الأول قبل زوجها[2].**

**وهم يقولون: لقد أراد الآلهة هذا الأمر.**

**وقدروه له منذ أن قطع حبل سرته»[3].**

وما أن سمع «إنكيدو» كلام الرجل حتى امتقع وجهه، ويقرر أن يواجه «جلجامش» ويتحداه[4]:

**سار «إنكيدو» إلى الأمام وخلفه البغى.**

---

(1) يبدو أن المقصود بالطبل هنا ما يُطلق عليه فى النص السومرى للملحمة بال «بكو» وال «مكو» على ما سنرى فى موضع لاحق.

(2) يتشابه هذا الأمر مع ما كان يفعله الحاكم أو النبيل فى العصور القديمة فى حق الدخول على العروس أول ليلة قبل زواجها مما عرف فى تاريخ العصور الوسطى بحق الليلة الأولى.

انظر - طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 105 - هامش 2.

(3) السابق.

(4) السابق.

**ولما دخل «أوروك» ذات الأسواق الواسعة.**

**تجمع الناس حوله.**

**حين وقف فى شارع «أوروك»، فى موضع السوق،**

**تجمهر الناس حوله وقالوا عنه:**

**«إنه مثيل لجلجامش فى البنية.**

**ولكنه أقصر قامة وأقوى عظما.**

**إنه أقوى من فى البرية، وذو بأس شديد.**

**لقد رضع لبن حيوان البر فى البادية.**

**وفى أوروك لن تنقطع قعقعة السلاح».**

فى ذلك الوقت كان جلجامش يستعد للقيام بشعائر دينية - كانت تمارس فى العراق القديم - من الممكن أن يطلق عليها «الزواج الإلهى المقدس»، وهو رمز لاتصال الملك بالإلهة، وكانت كاهنة تقوم بدور الإلهة للاتصال الجنسى بالملك ضمانا لإحلال الخصب والرخاء فى البلاد.

ولما كان جلجامش يتهيأ للقيام بهذه الشعائر صادف مجىء «إنكيدو» فتصدى له، ومنعه من دخول المعبد، ولعل إنكيدو أراد أن يقوم هو بتلك الشعائر، فنشبت المعركة بين البطلين، وكانت بطريقة المصارعة:

**رأى جلجامش «إنكيدو» الهائج.**

**الذى ولد فى البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل.**

**فانقض عليه وهاجمه.**

تلاقيا فى موضع سوق البلاد.

سد إنكيدو باب «بيت الاجتماع» بقدميه.

ومنع جلجامش من الدخول إلى الفراش.

أمسك أحدهما بالآخر وهما متمرسان بالصراع.

وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين.

حطما عمود الباب وارتج الجدار.

وظل جلجامش وإنكيدو متماسكين يتصارعان كالثورين الوحشيين.

وحينما انثنى جلجامش وقدمه ثابتة فى الأرض (ليرفع إنكيدو).

واستدار ليمضى.

هدأت ثورة غضبه(1).

ولما هدأ غضبه كلمة إنكيدو وقال له:

«إنك الرجل الأوحد، أنت الذى ولدتك أمك.

ولدتك أمك «ننسون»، البقرة الوحشية المقدسة.

ورفع «إنليل» رأسك عاليا على الناس.

وقدر إليك الملوكية على البشر».

وبعد ذلك يصبح البطلين صديقين حميمين، لا يفارق أحدهما الآخر، وقد ذكرنا أن جلجامش كان على علم بصيرورة هذه الصداقة، بعد أن قص رؤيته على والدته «ننسون» وقامت بتأويلها له.

---

(1) يدل هذا على أن جلجامش هو الذى هزم إنكيدو، ولكنه عفا عنه ولم يرض أن يستمر فى القتال بعدما هدأ غضبه، لذا نرى إنكيدو فى المقطع القادم يثنى على جلجامش.

## - رحلة جلجامش إلى أرض الحياة:

في هذا الجزء من الملحمة يقرر جلجامش السفر مع صديقه إنكيدو إلى أرض الحياة أو «غابة الأرز» وقتل العفريت « خواوا» باللغة السومرية، أو «خمبابا» بالأكدية، وهذا الجزء من الأسطورة يمكن القول أنه أحد الأصول السومرية لملحمة جلجامش البابلية.

ويبدو أن الهدف من سفر جلجامش إلى هذه الأرض أو الغابة هو تخليد اسمه بين البشر، بعد أن أيقن أن الخلود الجسدى للبشر هو أمر غير وارد، وأن الموت سيكون نهايته المحتومة، أما خلود البشر فإنما يتمثل فيما يحرزه المرء من أعمال جليلة تخلد اسمه على مدى العصور. وهذا المفهوم عن الخلود فى الملحمة السومرية نجد عكسه تماما فى الملحمة البابلية، فجلجامش - طبقا للنص الأكدى - يذهب إلى «أوتو - نبشتم» بطل الطوفان البابلى ليعرف منه سر الخلود الحقيقى، أى الخلود الجسدى المتمثل فى عدم الموت واجتراع سكراته[1].

يبدأ هذا الجزء من الملحمة - جلجامش وأرض الحياة[2] - باعتزام جلجامش السفر إلى أرض الحياة، وإخباره صديقه إنكيدو بهذا القرار:

**السيد أرسل فكره نحو أرض الأحياء.**

**السيد جلجامش أرسل فكرة نحو أرض الأحياء.**

**وقال لتابعه إنكيدو:**

**«إنكيدو، الختم لم يأت بعد بالنهاية المحتومة.**

---

(1) سنعرض لهذا الجزء من الملحمة (جلجامش وأوتو - نبشتم) فى موضع لاحق.

(2) النص الكامل لهذه القصيدة موجود بكتاب «السومريون» لكريمر - ص 192 - 197. وأجزاء منها أوردها بكتابه طقوس الجنس المقدس - ص 59 - 65، وكذلك - طه الباقر - ملحمة جلجامش - ص 228 - 234.

بودى دخول البلاد (أرض الحياة)، بودى رفع اسمى،

فى مكانه حيث الأسماء مرفوعة،

بودى رفع اسمى.

فى مكانه حيث الأسماء غير مرفوعة.

بودى رفع اسم الآلهة».

أجابه إنكيدو:

«سيدى، إذا اعتزمت دخول هذه البلاد.

فاعْلِم الإله أوتو الشجاع.

هذه البلاد (أرض الحياة)، برعاية أوتو.

بلاد الأرز المقطوع، برعاية أوتو الشجاع.

أعلم أوتو».

جلجامش وضع يديه على جدى أبيض.

وضم إلى صدره جديا منقطا كقربان.

ووضع فى يده صولجان القيادة الفضى.

وقال الأوتو السماوى:

«أوتو، بودى أن أدخل البلاد، فكن حليفى،

بودى أن أدخل بلاد الأرز المقطوع، فكن حليفى».

فأجاب أوتو السماوى:

«ولكن ما شأنك بأرض الحياة »؟

**أجابه جلجامش:**

**«أوتو، بودى أن أكلمك كلمة.**

**فاصغ إلى كلماتى، بودى أن تصل إليك.**

**فى مدينتى يموت الإنسان وهو مسحوق القلب.**

**يهلك الإنسان وهو مثقل بالآلام.**

**حدّقت من فوق السور.**

**رأيت جثث الموتى تطفو على مياه النهر.**

**وأنا أيضا، فلسوف أطفو كذلك، الحق إنه لكذلك.**

**الإنسان، أطول إنسان، لا يستطيع أن يرقى إلى السماء.**

**الإنسان، أعرض إنسان، لا يستطيع أن يغطى الأرض.**

**ونهايتى المحتومة لم تأت بعد.**

**بودى أن أدخل «أرض الحياة» وأرفع اسمى.**

**فى أمكنته حيث الأسماء المرفوعة، بودى أن أرفع اسمى.**

**فى الأماكن التى لم تسجل فيها الأسماء، بودى أن أرفع أسماء الآلهة».**

يستجيب «أوتو» لتضرع جلجامش، وقام جلجامش باختبار خمسين متطوعا من شباب المدينة، ولما كانت المغامرة غير محسوبة العواقب، فقد اشترط عليهم أن يكونوا عزابا، لا أم لهم ولا بيت:

**السيد جلجامش كان بالغ الفرحة.**

**عبأ مدينته كرجل واحد.**

**جند رجالها كفريقين اثنين:**

**«من له بيت، فإلى بيته.**

**من له أم، فإلى أمه.**

**أما العزاب الذكر الذين يودون أن يفعلوا ما أفعل.**

**فليقفوا إلى جانبي، وهم خمسون، فليقفوا على حدة».**

صار الآن عند جلجامش أسلحة من برونز وخشب أعدها لنفسه ولصحبه، وانطلقوا إلى «ارض الحياة». فقطعوا سبعة جبال، وما كادوا يجتازون السابع حتى وجد جلجامش «أرزة قلبه». قطعها وأمر أصحابه فجعلوا منها حزما من حطب وعادوا ظافرين إلى مدينته، لكن كان يرقبهم عن بعد العفريت «خواوا»، حارس شجر الأرز، الذى ألقى على البطل نوما سحريا عميقا. استبد القلق والخوف بأصحابه فجعلوا يوقظونه من هذا النوم العميق:

**يلمسه فلا يفيق.**

**يخاطبه فلا يجيب:**

**«يا من أنت نائم، يا من أنت نائم.**

**جلجامش، أنت سيد كلاب وابنها.**

**ألا ما طول نومك.**

**البلاد أمست ظلاما، صارت ملأى بالظلال.**

**الغسق أرسل شعاعه الخافت.**

**أوتو ذهب مرفوع الرأس إلى أمه ننجال.**

**جلجامش، ألا ما أطول نومك**

**لا تدع أبناء مدينتك الذين اصطحبوك**

**واقفين بانتظارك عند سفح الجبل**

**لا تدع الأم التى ولدتك**

**تقذف إلى ساح المدينة».**

يستيقظ جلجامش، وينهض كالثور، ويـقسم بأبيه وأمه السماويين بألا يعود إلى مدينته حتى يقهر «خواوا»، إنسانا كان أم إلها، لكن تابعه وصديقه «إنكيدو» كان قد امتلأ خوفا لأنه هو الذى رأى ذلك العفريت، فـأخذ يصفه له، وحاول أن يثنيه عما هو عازم عليه:

**«سيدى، لم يحل بك الرعب، لأنك ما رأيت ذلك الرجل(*).**

**أما أنا فرأيته، لذا فقد حل بى الرعب.**

**المحارب(*)، أسنانه أسنان تنين،**

**له وجه أسد،**

**وزئيره هدير فيض الماء الدافق.**

**ومن جبينه الكثيف المفترس لا ينجو أحد».**

**«سيدى سافر أنت إلى أرض الحياة.**

**وأنا سوف أسافر إلى المدينة.**

**سوف أنبئ والدتك بمجدك.**

**وليكن صراخها ضحكا.**

**عندئذ أنبئها بموتك.**

**ولتذرف دموعا مرة».**

---

(*) يقصد «خواوا».

يحاول جلجامش أن يلقى بشىء من الطمأنينة فى قلب إنكيدو:

**«هلم نتقدم معا ودعنا ننظر إليه.**

**وسيحل بنا الرعب والخوف ولكن لنتغلب عليهما.**

**وسنجد خواوا فى بيته بين أشجار الأرز».**

ويبدو أن بيت خواوا كان عبارة عن سبع أشجار من أشجار الأرز الضخمة:

**ثم إن (جلجامش) قطع الشجرة الأولى بنفسه.**

**وقطع أبناء مدينته الذين رافقوه تاجها.**

**وربطوه ووضعوه فى سفح الجبل.**

**وبعد أن قطع (جلجامش) الشجرة السابعة.**

**اقترب من مخدع (خواوا) ولطمه على خده لطمة شديدة.**

**فاصطكت أسنانه.**

**فأراد خواوا أن يوقف اعتداء جلجامش.**

**فتضرع (خواوا) إلى أوتو قائلا:**

**«يا أوتو إننى لا أعرف الأم التى ولدتنى،**

**ولا الأب الذى أنجبنى،**

**فأنت الذى ولدتنى فى «الأرض» وربيتنى.**

**وتعوّذ من جلجامش بحياة السماء والأرض السفلى.**

**فرق له قلب جلجامش وقال لتابعه «إنكيدو»:**

**«لندع الطائر الذى أمسكنا به يعود إلى موضعه.**

**وندع الرجل الذى أسرناه يرجع إلى حضن أمه».**

**فأجاب «إنكيدو» جلجامش:**

**«إن الطائر الذى أمسكنا به لو عاد إلى عشه.**

**إذا عاد الرجل الذى أسرناه إلى حضن أمه.**

**فسوف لن ترجع أنت إلى مدينة أمك التى ولدتك».**

**فقال «خواوا» لإنكيدو:**

**«لقد نطقت بالشر علىّ يا إنكيدو».**

**وحين تفوه هكذا بادراه وقطعا رقبته.**

**وقدماه قربانا إلى إنليل ونليل.**

ثم تقدم جلجامش إلى الحجر الذى تشهق به أرض الحياة وهناك حفر اسمه وأسماء صديقه «إنكيدو» وفرسان أوروك الذين قدموا معه، وحفر أسماء الآلهة العظام، وسجد لهم، وأدرك أن ما سيتبقى منه هو اسمه هذا المحفور على حجر الخلود، وأن جسده سيبلى ولابد له أن يستقبل أمر موته بشجاعة[1].

## - رحلة جلجامش للبحث عن الخلود الحقيقى:

رأينا أن جلجامش - طبقا للنصوص السومرية - قد عرف أن الإنسان لابد له أن يموت، وأن الخلود لن يكون إلا بالأعمال العظيمة، أما بقاء الإنسان حيا أبد الدهر فهو أمر غير وارد تماما.

إلا أن النصوص الأكدية للملحمة تعلمنا أن جلجامش - بعد موت صديقه إنكيدو - هاله الموت، وأخذ يبحث عن الخلود الحقيقى، الخلود الذى لا يدنو منه

---

(1) إنجيل سومر - ص 222.

الموت، ولا يستطيع أن يقهره، وكان سبيله لبلوغ هذا الخلود يتمثل فى لقاء **«أوتو - نبشتم»** بطل الطوفان - فى الأسطورة البابلية - والذى نجا هو ومن معه فى السفينة، ثم أنعمت عليه الآلهة بنعمة الخلود فى أرض «دلمون» المقدسة، فأراد «جلجامش» أن يطلعه «أوتو - نبشتم» على سر الخلود، حتى يخلد ولا يتجرع كأس الموت ويقاسى أهواله.

وكانت نقطة البداية هى الوصول إلى **«أور - شنابى»** ملاح «أوتو - نبشتم»، وبالفعل يصل إلى «أور - شنابى» الذى قاده حيث يقيم «أوتو - نبشتم»، الذى يطلعه على أخبار الطوفان الذى دمر العالم[1]، وكيف نجا هو ومن معه على ظهر السفينة ونال الخلود الأبدى، ذلك الخلود الذى أسبغه عليه الآلهة هو وزوجه، ثم أخبره أن ذلك الخلود لن يستطيع أن يناله لأنه من الصعب تجميع الآلهة من أجله، لذا لابد من أن يجتاز جلجامش اختبار، حتى يمكن التعرف إلى أى حد يستطيع أن يقترب من التركيبة «الإلهية»، ويبتعد عن الفطرة والجوارح البشرية، يقول «أوتو - نبشتم» (2):

**والآن[3] من سيجمع الآلهة من أجلك (يا جلجامش).**

**لكى تنال حياة الخلود التى تبغى؟**

**تعال (أختبرك)! «لا تنم ستة أيام وسبع أمسيات»[4].**

**ولكن وهو لا يزال قاعدا على عجزه إذا بسنة من النوم.**

**تأخذه وتتسلط عليه كالضباب.**

---

(1) سنعرض لأخبار هذا الطوفان فى موضع مستقل.

(2) نصوص هذا الجزء من الملحمة - كتاب طه الباقر - ملحمة جلجامش - ص 188 - 195.

(3) بعد أن قص عليه أخبار الطوفان، وكيف أسبغت عليه الآلهة الخلود، ورفعته إلى مصافها.

(4) وذلك ليرى ما إذا كان جلجامش لديه استعداد أن يصل إلى مستوى الآلهة الذين لا ينامون.

فالتفت «أوتو - نبشتم» إلى امرأته وخاطبها قائلا:

«انظرى، هذا الرجل البطل الذى ينشد الحياة!

لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب».

فأجابت زوج «أوتو - نبشتم» زوجها وقالت له:

«المس الرجل كيما يستيقظ.

ويعود أدراجه سالما فى الطريق الذى جاء منه.

ليعد إلى وطنه من الباب الذى خرج منه»[1].

فأجاب «أوتو - نبشتم» امرأته وقال لها:

«لما كان الخداع من طبيعة البشرية فإنه سيخدعك.

فهلمى اخبزى له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه.

والأيام التى ينام فيها أشريها فى الجدار»[2].

فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه.

وأشرت فى الجدار الأيام التى نامها.

فصار الرغيف الأول يابسا، وتلف الرغيف الثانى.

والثالث لم يزل رطبا.

وابيضت قشرة الرغيف الرابع.

والخامس لم يزل طريا، والسادس قد تم خبزه فى الحال.

(1) معنى كلامها أن جلجامش قد فشل فى الأختبار، وأن عليه الآن أن يعود من حيث أتى ليعيش حياته البشرية.

(2) معنى الكلام أنها ستخبز كل يوم رغيف وتضعه عند رأسه، ومن حالة كل رغيف سيعلم جلجامش كم استغرق فى النوم حتى لايستطيع أن يكابر.

ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر[1].

لمسه «أوتو - نبشتم» فاستيقظ.

ولما استيقظ جلجامش قال لـ «أوتو - نبشتم»، القاصى[2]:

«لم تكد تأخذنى سنة من النوم حتى لمستنى فأيقظتنى».

فأجاب «أوتو - نبشتم» جلجامش قائلا له:

«يا جلجامش عد أرغفتك.

فينبئك المؤشر على الحائط عدد الأيام التى نمت فيها.

فقد يبس رغيفك الأول، والثانى لم يعد صالحا.

والثالث لا يزال رطبا وابيضت قشرة الرابع.

والخامس لا يزال طريا، والسادس خبز فى الحال.

والسابع إذا بك تستيقظ فى الحال».

فقال جلجامش لـ «أوتو - نبشتم»، القاصى:

«ماذا على أن أفعل، وإلى أين أوجه وجهى؟

وها أن «المثكل» [3]قد تمكن من لبى وجوارحى.

أجل! فى مضجعى يقيم الموت.

وحيثما أضع قدمى يربض الموت».

ثم قال «أوتو - نبشتم» إلى «أور - شنابى» الملاح:

---

(1) أى لم ينضج بعد.

(2) القاصى: من ألقاب أوتو - نبشتم.

(3) المتحكم أو المفرق أو المثكل، كناية عن الموت. (طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 190 - هامش 1).

يا «أور - شنابى»، عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ.

ويبرأ منك موضع العبور!

ولتذهب مطرودا من الشاطئ.

والرجل الذى قدته إلى هنا،

والذى يغطى جسمه الوسخ.

وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود.

خذه يا «أور - شنابى»، وقده إلى موضع الاغتسال.

ليغسل فى الماء أوساخه حتى يصبح نظيفا كالثلج.

لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها فى البحر.

حتى يتجلى جمال جسمه.

ودعه يجدد عصابة رأسه.

وليلبس حلة تستر عريه.

وإلى أن يصل إلى مدينته،

وحتى ينهى طريق سفره.

لا تدع آثار العتق تبدو على حلته.

بل لتحافظ على جدتها»[1].

---

(1) يرى بعض الباحثين أن هذا كان محاولة أولى يقوم بها «اوتو - نبشتم» ليجعل جلجامش دائم الشباب باغتساله فى «مياه الشباب» واكسائه بلباس «الشباب» الدائم، قبل أن يدله على النبات الذى يجدد الشباب. لكن هذا الرأى لايمكن التسليم به، لأنه - كما سنرى - ليس هناك ثمة علاقة بين ما يحدث، وبين النبات الذى سيدله عليه «أوتو - نبشتم»، بل إن زوجة الأخير هى التى ذكرته أن يعطى جلجامش شيئاً قبل سفره عله يجد فيه بغيته.

وبالفعل يقوم «أور - شنابى» بتنفيذ أوامر «أوتو - نبشتم» بحذافيرها:

ثم ركب جلجامش و «أور - شنابى» فى السفينة.

وأنزلا السفينة فى الأمواج وتهيئا للإبحار.

وإذ ذاك خاطبت امرأة «أوتو - نبشتم» زوجها وقالت له:

«لقد جاء جلجامش إلى هناك وقاسى التعب واشتطت به النوى.

فماذا عساك أن تعطيه وهو عائد إلى بلاده»؟

وكان جلجامش فى تلك اللحظات قد رفع المُردى[1].

ليرقب السفينة إلى الشاطئ.

فأدركه «أوتو - نبشتم» وخاطبه قائلا:

«لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقاسيت التعب.

فما عسانى أن أعطيك حتى تعود إلى بلادك؟

سأفتح لك، يا جلجامش، سرا خفيا.

اجل! سأكشف لك عن سرا من أسرار الآلهة!

يوجد نبات مثل الشوك ينبت فى المياه.

وشوكه يخز يديك كما يفعل الورد.

فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة».

وما أن سمع جلجامش هذا القول.

حتى فتح المجرى الذى أوصله إلى المياه العميقة.

وربط بقدميه أحجارا ثقيلة.

(1) المُردى: خشبة يدفع بها الملاح السفينة.

ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر النبات.

فأخذ النبات الذى يخز يديه.

وقطع الأحجار الثقيلة من قدميه.

فخرج من عمق البحر إلى الشاطئ.

ثم قال جلجامش لـ «أور - شنابى» الملاح:

يا «أور - شنابى»، إن هذا النبات عجيب.

يستطيع المرء أن يستعيد به نشاط الحياة.

لأحملنه معى إلى «أوروك» ذات الأسوار.

وأشرك معى الناس ليأكلوا منه.

وسيكون اسمه: «يعود الشيخ إلى صباه كالشباب».

وأنا سآكله فى آخر أيامى حتى يعود شبابى»[1].

ثم سارا، وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة.

تناولا لقمة من الزاد.

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل.

وأبصر جلجامش بئرا باردة الماء.

فنزل فيها ليغتسل فى مائها.

فشمت الحية شذى النبات.

---

(1) يتضح من الوصف أن خاصية هذا النبات السحرى تجديد الشباب وأنه ينبغى أن يؤكل بعد أن تدرك المرء الشيخوخة، وقد ترجمه البعض نبات «العجرم»، ولهذا لم يأكل منه جلجامش بل انتظر حتى يعود إلى مدينته «أوروك» ويستعمله متى أدركته الشيخوخة، كما يبدو أنه كان يعتزم زرعه فى بلاده حتى يأكل منه جميع أهل «أوروك».

فتسللت واختطفت النبات.

ثم نزعت عنها غلاف جلدها[1].

وعند ذلك جلس جلجامش وأخذ يبكى.

حتى جرت دموعه على وجنتيه.

وكلم «أور - شنابى»، الملاح قائلا:

«من أجل من يا «أور - شنابى» كلت يداى؟

ومن أجل من استنزفت دم قلبى؟

لم أحقق لنفسى مغنما.

أجل: لقد حققت المغنم إلى «أسد التراب»[2].

أفبعد خمسين ساعة مضاعفة.

يأتى هذا المخلوق فيخطف النبات منى.

وقد سبق لى أنى لما فتحت منافذ الماء.

وجدت أن هذا نذير لى أن أتخلى عن مطلبى.

وأترك السفينة فى الساحل»[3].

وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة

تناولا لقمة من الزاد.

ثم وصلا إلى «أوروك» ذات الأسوار.

---

(1) استطاعت الحية بتأثير ذلك النبات السحرى أن تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام.

(2) من نعوت الحية عند العراقيين القدماء.

(3) فسـر جلجامش اخفاقـه بأنه نذير له أن يترك السفـينة ويعود براً مع الملاح «أور - شنابى» الذى نقاه سـيده «اوتو - نبشتم» فجاء مع جلجامش.

وبذلك ينتهى هذا الجزء من الملحمة بفشل «جلجامش» فى الحصول على الخلود الذى كان ينشده، وكأن الناموس الإلهى لا يقبل إلا أن يموت الإنسان، وأن الخلود الدائم ما هو إلا أكذوبة كبرى.

## - جلجامش وإنكيدو والعالم الأسفل:

هذا الجزء من الملحمة جاءت به إلينا النصوص السومرية، وهو ترجمة حرفية لما جاء به اللوح الثانى عشر من الملحمة البابلية، ويبدأ النص بالحديث عن شجرة «إنانا» [1]التى استقدمتها من نهر الفرات إلى مدينتها «أوروك»، وزرعتها وأخذت ترعاها لتصنع من أخشابها كرسيا وسريرا.

وعندما كبرت الشجرة حاولت إنانا أن تقطعها، إلا أنها فشلت فى ذلك - بعد عدة محاولات -، وذلك لأن ثعبانا ضخما اتخذ أسفلها مأوى له، كما اتخذ طائر «الصاعقة» «زو» من أغصانها عشا له ولصغاره، وفى وسطها اتخذت الشيطانة «ليلث» مأوى لها، ولم تجد «إنانا» أمامها إلا الاستعانة بجلجامش البطل الذى قام بقتل الحية، فهرب الطائر «زو» إلى الجبال، وعادت الشيطانة «ليلث» إلى القفار، عند ذلك قُطعت الشجرة، وصنعت «إنانا» الكرسى والسرير، وصنعت لجلجامش - مكافأة له على صنيعه - من جذع الشجرة طبلا اسمه **«بكو»** ومن أغصانها مضرب طبل اسمه **«مكو»**، ويبدو أن هذه الآلة كانت مسحورة، فعندما كان جلجامش يبدأ بقرعها، كانت تحن له قلوب العذارى، وكن يأتين إلى داره ويغتصبهن، حتى أن الآباء قد بدأوا يتضجرون من أفعاله، لأنه كان ينتهك بنات أوروك[2].

---

(1) شجرة الحلبو أو الخلبو Huluppu لعلها الصفصاف.

(2) ولعل هذا كان السبب - طبقاً للنصوص الأكدية للملحمة - فى استنجاد أهل أوروك بالآلهة حتى يعينوهم على جلجامش، فكان أن قامت «أورورو» بخلق «إنكيدو» ليكون نداً له. ارجع إلى الجزء الخاص بجلجامش وإنكيدو.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، فإن «البكو»و«المكو» - وربما بفعل إنانا كما تخبرنا النصوص السومرية - قد سقطا إلى العالم الأسفل من خلال ثقب فى الأرض، وأراد جلجامش أن يستردهما بأن أدخل يده من الثقب لكنه لم يفلح فى هذا، فجلس على حافة العالم الأسفل وهو يندب وينوح[1]:

**ايا «بكى» من سيعيدك إلى من العالم الأسفل؟**

**ويا «مكى» من سيرجع بك من العالم الأسفل؟**

يسمع «إنكيدو» بكاء صديقه وخله «جلجامش»، فيخبره أنه على استعداد - حتى يسعد صديقه - أن ينزل بنفسه إلى العالم الأسفل حتى يعود له بالـ «مكو» والـ «بكو»، وهنا يبدأ جلجامش فى تعريف «إنكيدو» بقوانين العالم الأسفل، وما يجب عليه فعله، ويتحتم عليه تجنبه حتى يعود سالما من هذا العالم الذى قلما عاد منه من ذهب إليه:

**إذا اعتزمت النزول إلى العالم الأسفل،**

**فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتى.**

**سأرشدك فسر وفق إرشادى.**

**لا تلبس ملابس نظيفة زاهية.**

**فتبدو نزيلا غريبا عنهم.**

**لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر.**

**لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره.**

**لا ترم عصاك فى العالم الأسفل.**

(1) انظر نص هذا الجزء من الملحمة فى: كريمر - الأساطير السومرية - وطه الباقر - ملحمة جلجامش - وفراس سواح - مغامرة العقل الأولى.

**حتى لا تصيب أحدهم فيحيطوا بك.**

**لا تأخذ بيدك عصا.**

**وإلا فإن الأرواح سترتجف منك.**

**لا تلبس نعلا فى قدميك.**

**ولا تحدث صوتا فى العالم الأسفل.**

**وإذا وجدت الزوجة التى تحبها فلا تقبلها.**

**والزوجة التى تبغضها لا تضربها.**

**ولا تُقبِّل الابن الذى تحب.**

**ولا تضرب الابن الذى تكره.**

**وإلا فإن صراخ العالم الأسفل سيغلبك.**

إلا أننا - ولأسباب غير معلومة - نجد أن «إنكيدو» قد قام بمخالفة كل ما نصحه به «جلجامش»، فقد لبس حلة نظيفة، ومسح جسمه بالزيت، وأخذ بيده عصا، فتراقصت أمامه الأشباح، ولبس النعل فى قدمه، فأحدث جلبة بالعالم الأسفل، وقبل زوجته التى يحب، وضرب زوجته التى يكره، وقبل ابنه الذى يحب، وضرب ابنه الذى يكره، فأمسك به صراخ العالم الأسفل، ولذا منعته «أرشكيجال» من الصعود من عالم الأموات، وعندما تأخر «إنكيدو» أيقن «جلجامش» ما حدث له، فمخالفة «إنكيدو» لهذه النصائح جعلت من بالعالم الأسفل يشعرون به، ومن ينزل إلى هذا العالم من الآلهة، فإنه لا يرجع منه - كما رأينا عند عرض قصة إنانا ودموزى - إلا إذا قدم بدل، فما بالك بالبشر، فهم لا رجعة لهم منه أبدا.

لذلك يلجأ جلجامش إلى الإله «إنليل» لينقذ «إنكيدو» ولكنه لم يسعفه، ثم

تضرع إلى الإله «سـين» وكان موقفـه كموقف إنليل، وأخيـرا تضرع إلى الإله «إيا» وقدم له شكواه:

**وعندما سمع الأب «إيا» ذلك.**

**قال لنرجال:**

**نرجال، أيها البطل الصنديد.**

**فلتفتح الآن ثقبا فى العالم الأسفل.**

**تستطيع منه روح «إنكيدو» الصعود من العالم الأسفل.**

**فامتثل نرجال لطلب «إيا».**

**وعلى الفور فتح ثقبا فى العالم الأسفل.**

**فانسلت من خلاله روح «إنكيدو» وكأنها هواء.**

**فتعانق الصديقان وقبلا بعضهما.**

**فسأل جلجامش (شبح) إنكيدو:**

**«أخبرنى يا صديقى عن أحوال العالم الأسفل الذى رأيت».**

**فأجابه صديقه:**

**«لن أقص عليك أخبار العالم الأسفل يا صديقى.**

**وإذا كان لابد من إخبارك فعليك أن تجلس وتبكى».**

**فأجابه جلجامش: «سأجلس وأبكى».**

فأخذ شبح «إنكيدو» يشرح له الصورة القاتمة التى وجدها فى العالم الأسفل:

**«إن جسمى الذى كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الأفراح،**

**يلتهمه الدود الآن كما لو كان خرقة».**

فصرخ جلجامش: يا ويلتاه، وتمرغ فى التراب.

صرخ «جلجامش» ورمى نفسه فى التراب وخاطب شبح إنكيدو:

هل رأيت الذى قُتل فى المعركة؟

أجل، لقد رأيت، أبوه وأمه يرفعان رأسه.

وتنوح عليه زوجته.

وهل رأيت من تُرك جثمانه فى البرية؟

أجل لقد رأيت. إن روحه لا تجد الراحة فى العالم الأسفل.

هل رأيت من لا يوجد أحد يقرب لروحه[1]؟

أجل لقد رأيت. إن روحه تأكل من حثالة الأوعية.

وكسرات الخبز وفضلات الشوارع.

هل رأيت الذى لا ولد له؟

أجل رأيته.

(سطران مفقودان).

هل رأيت الذى خلف وراءه ابنا واحدا؟

أجل لقد رأيته وهو ممدد أسفل الجدار ويبكى بكاءا مرا،

والذى خلف ابنين هل رأيته؟

أجل لقد رأيته، إنه يضطلع فى بناء من الآجر ويأكل الخبز.

هل رأيت الذى خلف ثلاثة أبناء؟

أجل رأيت. إنه يسقى الماء من زقاق ماء العمق.

---

(1) يقرب لروحه: أى يقدم لروحه القرابين.

**والذى له أربعة أبناء هل رأيت؟**

**أجل شاهدته وهو فرح القلب.**

**وهل رأيت الذى خلف خمسة أبناء؟**

**نعم رأيته. وهو كالكاتب الطيب ويده مبسوطة،**

**ويسمح له بدخول القصر.**

ويظل «جلجـامش» يعـدد له الأسـئلة كـيـما يـعلم كل شىء عن هذا العـالم المجهول، وعلى كل حال، فإن «إنكيدو» - طبقا لهذا الجزء من الملحمة - قد مات من أجل صديقه جلجامش، وهو يحضر له «البكو» و «المكو» من العالم الأسفل.

أما فى الملحـمة البابلية، فـقد اجتمـعت الآلهة - كما رأى إنكيـدو فى حلمه - وقرروا موت «إنكيدو» لأنه قتل خمبابا (خواوا) وثور السماء مع جلجامش، مما كان سببـا فى بحث جلجامش - على إثر موت صـديقه - عن الخلود الدائـم حـتى لا يعانى من الموت وسكراته كما عانى صديقه العزيز «إنكيدو».

## - موت جلجامش:

أصبح «جلجـامش» الآن على يقين أنه لا سبيل إلى الحـصول على الخلود الذى كان يتغياه، والذى أضنى نفسه فى البحث عنه، ونقصد هنا الخلود الجسدى الذى لا يناله الموت. فقد أضحى على يقين أن الموت ملاقيـه حتما، وأنه لا مفر منه، ويكفيه شرف أن الآلهـة قد حـبته بالملوكـية، وسـاعدته على القـيام بالأعمـال الجليلة التى خلدت ذكره بين بنى الإنسان.

ويبدأ هذا الجزء من الملـحمة برؤية جلجامش حلما كـان نذيرا بموته، حيث رأى أنه يدخل فى موضع ظلمة عتية، وأن أهِلَّة كـثيرة بددت هذه الظلمة، وأن أشباحا تخرج فى شـهر آب من هذا الموضع، فـقص «جلجامش» حلمـه هـذا على الإله

«إنليل»، والذى قام بتفسيره له، وأخبـره أنه حاز على الملوكية، أما الخلود فلم يقدر له[1]:

العالم الأسفل، موضع الظلمة، سيضىء حقا.

والبشر مهما كثرت أسماؤهم وأنواعهم.

فمن غيره من سيكون مثل هيئته إلى قابل الأيام؟

والأبطال العظام، والعرافون. إنهم كالهلال حقا.

من غيره من وجد القوة والمقدرة قبلهم.

وفى شهر آب، الأرواح.

لا يكون ضوء أمامهم بدونه.

إن «إنليل» الجبل العظيم، أبا الآلهة.

إن مغزى حلمك أيها السيد جلجامش:

لقد قدر مصيرك أن تحوز على الملوكية يا جلجامش.

أما الحياة الخالدة فلم تقدر لك.

ولكن لا يحزن قلبك من أجل تلك الحياة.

ولا تبتئس ولا تقنط وتحزن.

ومن ارتكب الخطيئة من بنى الإنسان.

ومن المحرمات أطلق قيدك.

لقد وهبك نور البشر وظلمتهم.

---

(1) حول نص هذا الجزء من الملحمة – انظر – طه الباقر – ملحمة كلكامش – ص 217 - 221.
وجدير بالذكر أن هذا الجزء من الملحمة مدون طبقاً لما جاء بالنصوص السومرية.

ووهبك السيادة على البشر.

وقدر لك النصر فى المعركة التى لا يسلم منها أحد.

وقدر لك النصر فى الهجوم الذى لا يسلم منه أحد.

ومن (دحر)[1] الشر يضطجع ولا يقوم

ومن مكن العدل فى البلاد يضطجع ولا يقوم.

والشديد القوى يضطجع ولا يقوم.

إن سيد «كلاب»[2] يضطجع ولا يقوم.

والحكيم الوسيم يضطجع ولا يقوم.

ومن ارتقى الجبال معه يضطجع ولا يقوم.

على فراش المنية المقدرة يضطجع ولا يقوم.

وعلى السرير المزركش يضطجع ولا يقوم.

القائمون غير صامتين والقاعدون غير صامتين.

لقد أقاموا ندبا ومناحة.

ومن يتناول طعاما لم يسكت ومن يشرب الماء لم يسكت.

لقد أقاموا مناحة.

و«نمتار»[3] غير صامت.

وكالسمكة قد مد (يده واختطف روح جلجامش)[4].

---

(1) إضافة من عندى حتى يكتمل السياق. والأبيات التالية تعد أغنية وداع لجلجامش.

(2) يقصد جلجامش.

(3) نمتار أحد الهة الموت والقدر ومن آلهة العالم الأسفل ويعنى اسمه «القدر» أو «المنية».

(4) ما بين القوسين إضافة من عندى.

**(وكان جلجامش) كالغزال الذى وقع فريسة السلاح «كشيرو»[1].**

**«ممتار» الذى لا أيدى له ولا أرجل ولا يشرب الماء.**

**ولا يأكل الطعام.**

**(حمل جلجامش إلى العالم الأسفل).**

وينتهى الأمر - طبقا لما جاء فى النصوص - برحيل عائلة وحاشية جلجامش معه إلى العالم الأسفل، وقد فسر «ليونارد وولى» هذا الأمر بأن هؤلاء الذين صاحبوه هم أضاحى بشرية كانت ترافق الملوك فى موتهم، وقد دفنوا معه أحياء، وذلك طبقا لطقس دفن أتباع الأمير أو الملك معه[2].

* * * *

(1) «كشيرو» سلاح يستعمل فى صيد الظباء.

(2) طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 216 - وانظر نقد ذلك الاعتقاد - إنجيل سومر - ص 233.

# الفصل السادس
# أساطير الطوفان

تدور أساطير الطوفان - البابلية والسومرية - حول غضب الآلهة على بنى الإنسان، واتخاذها قرارا بتدمير البشرية دمارا شاملا، لأنها لم تصن ما منحتها الآلهة إياه، بل أخذت تنشر الفساد فى الأرض، إلا أن الآلهة - وفق هذا المعتقد - أو بعضهم قد أشفقوا على الجنس البشرى من هذا الفناء، ورأوا أنه من الحكمة البقاء على الصالح منهم دون الطالح، فما كان إلا أن اختاروا أحدهم - وهو بالطبع أشدهم ورع - وأوكلوا له مهمة إنقاذ الجنس البشرى، فكان هذا المنقذ هو «زيوسدرا» عند السومريين، أو «أوتو - نبشتم» و «أترا - حاسس» عند البابليين[1]. وسوف نعرض لكل أسطورة من هذه الأساطير.

## - أسطورة الطوفان السومرية «زيو - سدرا»:

لم يصل إلينا عن الطوفان باللغة السومرية سوى نص واحد مدون فى لوح طينى، وقد عثر عليه فى خرائب مدينة «نفر» السومرية، إلا أن هذا اللوح قد وجد فى حالة سيئة، ورغم ذلك فإننا نستطيع أن نعلم الخطوط العريضة لهذه الأسطورة[2].

وتعرف هذه الأسطورة بين الباحثين باسم ملحمة أو قصة «زيوسدرا» (Ziusudra)، ويعنى اسمه «خالد» أو «ذو الحياة الطويلة»، مثل الاسم البابلى لبطل

---

(1) سنعرض لآلهة بابل فى موضع مستقل، ولكننا سنعرض فى هذا الجزء للطوفان البابلى من أجل مقارنة النصوص.

(2) النص موجود فى: كريمر - الأساطير السومرية، وطه الباقر - ملحمة كلكامش، وفراس سواح - مغامرة العقل الأولى.

الطوفان فى ملحمة جلجامش، أى «أوتـو - نبشتم» والذى قابله جلجامش - كمـا أسلفنا - فى رحلة بحثه عن الخلود.

وتبدأ القصـة - كما وردت فى النص - بمقدمة قصيرة - ناقصـة - تروى طرفا من قصة الخلق - كما تعرضنا لها سلفا[1] - حيث الآلهة «آن» و«إنليل» و«إنكى» والإلهة «ننخرساج» خلقوا البشر والحيوانات، ثم أنزلت الملوكية بعد ذلك من السماء إلى الأرض، وقـدرت الأقدار والمصـائر، وأسست المـدن الخمس، وحلت فـيهـا الملوكيـة، وهى: «دو» و «باد - بيـرا» و«لرك» و«سبار» و«شـروباك»، ويعقب ذلك انخرام فى النص، يبدو أنه قرار الآلهة بتدميـر البشر عن طريق الطوفان، ثم يستقيم النص عند نوح «إنانا» لحزنها على تدمير البشر، فتـتخذ الآلهة قرارا بانقاذ البشر من هذا المصـير المأساوى، واخـتاروا لذلك «زيوسـدرا» - الملك الصالح الـذى يخاف الآلهة - ليكون هو منقذ الجنس البشرى من هذا الفناء، وفى نهاية الأسطورة يمنحانه الإلهان «آنو» و «إنليل» الخلود حيث يدخلانه فى مجمع الآلهة، وينقلانه إلى أرض «دلمون»[2] التى تشكل «الفردوس السومرى».

وسنعرض النـص بداية من الفقرة التى تحـزن فيـها «إنانا» لاتخـاذ الآلهـة قـرار الطوفان، ومن ثم تخفيف الآلهة من وطأة هذا الطوفان:

**لقد ناحت «إنانا» المقدسة من أجل الناس.**

**وفكر «إنكى» فى الأمر مليا.**

**و«آنو» و «إنليل» و «إنكى» و«ننخرساج».**

**وأقسم آلهة الكون باسم «آنو» و«إنليل».**

---

(1) ارجع إلى الفصل الأول من هذا الباب.

(2) للمزيد من المعلومات حول - أرض «دلمون» إلى أسطورة «إنكى».

وفى ذلك الحين كان يحكم الملك «زيو - سدرا» الممسوح بالزيت.

وكان تقيا ورعا يكثر من الدعاء والتضرع.

كان يقوم على الدوام خاشعا.

ولم يكن ما سمعه حلما[1].

سمع «زيو - سدرا» وهو واقف إلى الجانب الأيسر من الجدار:

«أريد أن أكلمك فاستمع لكلامى.

وتفهّم قولى وإرشادى:

ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل.

وأن تدمير نسل البشرية.

هو القرار المحتوم من مجمع الآلهة.

إنه القرار الذى أصدره «آنو» و«إنليل» و«ننخرساج»[2].

تجمعت كل الرياح والعواصف المدمرة.

وجرف عباب الطوفان جميع المدن.

وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال.

وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيّرتها فى المياه العالية.

أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء.

وأحدث «زيو - سدرا» فتحة فى السفينة.

(1) حيث خاطبه الإله «إنكى» من خلف جدار فى المعبد ليعلمه بخبر الطوفان وما ينبغى عليه أن يفعله.

(2) بعد ذلك يوجد انخرام فى النص، ويبدو أن الإله «إنكى» قد أخبر «زيو - سدرا» بما يجب عليه أن يفعله: صنع السفينة، وركابها.. إلخ.

**ودخلت أشعة الشمس إلى السفينة العظيمة.**

**وسجد الملك «زيو - سدرا» على الأرض أمام الإله «أوتو».**

**وقرب الملك عددا كبيرا من البقر والضأن.**

**وأخذ يدعو بحق السماء والأرض السفلى.**

**وتوسل إلى «آنو» و«إنليل» بالسماء والأرض السفلى.**

**وأخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض.**

**وسجد الملك «زيو - سدرا» أمام «آنو» و«إنليل».**

**اللذين منحاه الحياة الخالدة مثل الآلهة.**

**وحافظ الملك «زيو - سدرا» على ذرية البشر من الفناء.**

**لقد أسكناه فى أرض عبر البحار، فى المشرق، فى أرض «دلمون».**

## - أسطورة الطوفان البابلية «أوتو - نبشتم»:

ذكرنا فى الفصل السابق - ملحمة جلجامش - كيف أن جلجامش فى رحلته للبحث عن الخلود، قد تقابل مع «أوتو - نبشتم»[1]، وفى هذا اللقاء نجد أنه قد أطلع جلجامش على سر الطوفان - وهو ما سنعرض له الآن:

**قال جلجامش لـ «أوتو - نبشتم» القاصى:**

**«كلما نظرت إليك يا «أوتو - نبشتم».**

**وجدت هيئتك غير مختلفة، فأنت مثلى لا تختلف عنى.**

**أجل، أنت لم تتبدل بل إنك تشبهنى.**

(1) أوتو - بنشتم هو بطل الطوفان البابلى - طبقاً لهذه الأسطورة، وهو ابن «اوبار - توتو». ويعنى اسمه بالبابلية «الذى أدرك الحياة»، وهو تقريباً نفس معنى اسم «زيوسدرا» السومرى.

ويراك قلبى كاملا كالبطل على أهبة القتال.

فأخبرنى: كيف دخلت مجمع الآلهة وحصلت على حياة الخلود»؟

فقال «أوتو - نبشتم» لجلجامش:

يا جلجامش سأكشف لك عن سر خفى.

سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة.

«شروباك» [1]مدينة أنت تعرفها.

التى تقع على شاطىء نهر الفرات.

لقد شاخت المدينة والآلهة فى وسطها

فعزم الآلهة العظام وقتئذ على إحداث الطوفان

تشاوروا فيما بينهم وكان معهم أبوهم «آنو».

و «إنليل»، البطل، مستشارهم.

و «ننورتا» مساعدهم، ووزيرهم.

و «نوكى» حاجبهم ورسولهم.

وكان حاضرا معهم «نن - ايكى - كو» أى «ايا»[2].

---

(1) شروباك: تعرف أطلالها الآن باسم تل «فاره» بالقرب من مدينة الوركاء، وكانت من المدن السومرية الشهيرة، وموطن بطل الطوفان «اوتو - نبشت». وكان الآلهة - طبقاً لهذا المعتقد - يحكمون فى «شروباك» فى أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت الملوكية بيد الآلهة، وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم عادت إلى الأرض من بعد الطوفان، وكانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان سلالة «كيش» الأولى.

(2) إيا: الاسم الأكدى للإله «إنكى» إله الماء السومرى - ارجع إلى اسطورة «إنكى»، والإله «إيا» هو دائماً إله صديق للبشر، ولا يرغب أبداً فى إلحاق الأذى بهم.

فنقل هذا (يعنى ايا) كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:

«يا كوخ! يا كوخ القصب! يا جدار، يا جدار.

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط[1].

أيها الرجل «الشروباكى» يا ابن «أوبار - توتو»[2].

قوض البيت وابن لك فلكا[3].

تخل عن مالك وانشد النجاة.

انبذ الملك وخلص حياتك.

واحمل فى السفينة بذرة كل ذى حياة[4].

والسفينة التى ستبنى.

عليك أن تضبط مقاسها.

ليكن عرضها مساويا لطولها.

وغطها بسقف مثل سقف «أبسو»[5].

ولما وعيت[6] ذلك قلت لربى «ايا».

---

(1) الخطاب به تورية، فهو موجه إلى صاحب الكوخ أى «اوتو - نبشتم».

(2) «اوبار - توتو» هو والد «اوتو - نبشتم».

(4،3 ) قارن نصوص التوراة - سفر التكوين اصحاح 6 - عدد 14، 6 :19 - 20 وسوف نعرض للرواية الكاملة للطوفان كما جاءت فى النصوص التوراتية، وستلاحظ مدى التشابه بين هذه النصوص، واسطورة «اوتو - نبشتم».

(5) مياه العمق الـ «ابسو». كانت فى اعتقاد العراقيين القدماء المياه الجوفية السفلى، حيث موطن الإله «ايا» وقد يعنون بالأبسو، مياه المحيط الأسفل، حيث اعتقدوا أن الأنهار تخرج من تلك المياه، وانظر مقاسات السفينة فى سفر التكوين 6 :15.

(6) الكلام لـ «اوتو - نبشتم».

«سمعا يا سيدى، سأنفذ ما أمرتنى به.

ولكن ما عسانى أن أقول للمدينة؟

وبم سأجيب الناس والشيوخ».

ففتح «ايا» فاه، وقال لى، أنا عبده:

«قل لهم هكذا: إنى علمت أن إنليل يبغضنى.

فلا أستطيع العيش فى مدينتكم بعد الآن.

ولن أوجه وجهى إلى أرض إنليل واسكن فيها.

بل سأنزل إلى الـ «أبسو».

وأعيش مع «ايا».

وأنتم سيمطركم (ايا) بالوفرة والفيض.

ومن مجاميع الطير، وعجائب الأسماك.

وفى المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح»[1].

ولما نورت أولى بشائر الصباح تجمع البلد حولى.

حملوا إلىّ أضاحى الأغنام الغالية.

وأحضروا إلىّ أضاحى من ماشية مراعى البرارى.

. . . (تشوه فى سطرين).

جلب إلىّ الصغار منهم القار.

---

(1) هناك تورية، يقصد منها أن يفهم الناس أن هناك خير لهم، أما «اوتو - نبشتم» فكان يعلم بحدوث الطوفان، ويبدو أن «ايا» قد خاف على البشر من الجزع الذى سيصيبهم إذا ما علموا أن هناك طوفان قاضى عليهم لا محالة.

وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى.

وفى ياليوم الخامس أكملت هيكل السفينة.

وكان سطح أرضها «ايكو» واحدا وعلوا جدرانها مائة وعشرين ذراعا[1].

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعا.

حددت شكلها الخارجى هكذا:

جعلت فيها ستة طوابق (سفلية).

وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق.

وقسمت أرضها إلى تسعة أقسام[2].

وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء.

ووضعت فيها المرادى[3] وجهزتها بالمؤن.

سكبت ستة «شارات» [4]فى الكورة.

سكبت أيضا ثلاثة شارات من القطران.

وجلب حاملوا السلال ثلاثة «شارات» من السمن.

بالإضافة إلى شار واحد من السمن لحشو أوتاد الماء.

---

(1) الـ «ايكو» البابلى مساحة سطحية تعادل نحو 3600 متر مربع أى نحو «ايكر» واحد (ويساوى الايكر البابلى نحو 4000 متر مربع) أما الذراع البابلية فتساوى نحو نصف متر (أى بقدر الذراع العربية تقريباً)، وبما أن ارتفاعها 60م (120 ذراعاً) فيكون شكل سفينة «اوتو - نبشتم» مكعباً منتظماً وسعتها نحو 216000 متر مكعب. انظر - طه الباقر - ملحمة كلكامش - ص 78 - هامش 2. وقارن بهذا الصدد أبعاد سفينة نوح كما وردت فى سفر التكوين 6 :15.

(2) أى أن كل طابق من الطوابق قسمه «اوتو - نبشتم» إلى تسعة أقسام أو مقاصير.

(3) مرادى - جمع مردى، وهى الخشبة التى يدفع بها السفينة.

(4) الـ «شار» البابلى كيل أو قياس حجم بالإضافة إلى إنه مساحة سطحية.

و«شارين» من السمن اختزنهما الملاح.

ونحرت البقر وطبختها للناس[1].

ونحرت الأغنام كل يوم.

وقدمت عصير الكرم والخمر الأحمر والأبيض والسمن.

إلى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر.

ليقيموا الأعياد كما فى أيام رأس السنة.

ومسحت يدى بسمن الزيت.

وتم بناء السفينة فى اليوم السابع.

وكان إنزالها (إلى الماء) أمرا صعبا.

فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع فى الأعلى وفى الأسفل.

إلى أن غطس فى الماء ثلثاها.

وحملت فيها كل ما أملك.

وكل ما عندى من فضة حملته فيها.

وحملت فيها كل ما عندى من ذهب.

وحملت فيها كل ما كان عندى من المخلوقات الحية[2].

أركبت فيها جميع أهلى وذوى قرباى.

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر.

وجميع الصناع أركبتهم فيها[3].

---

(1) قارن سفر التكوين 6 :21.

(2) قارن سفر التكوين 6 :21.

(3) سفر التكوين 7 :7 - 8.

وضرب لى الإله «شمش» [1]موعدا معينا حيث قال:

«حينما ينزل الموكل بالعواصف فى المساء مطر الهلاك.

فادخل فى السفينة وأغلق بابك».

وحل أجل الموعد المعين.

وفى الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطرا مهلكا.

وتطلعت حالة الجو فكان مكفهرا مخيفا للنظر.

فولجت فى السفينة وأغلقت بابى.

وأسلمت قياد السفينة إلى الملاح «بوزر - آمورى».

أسلمته الهيكل العظيم بكل ما فيه من ثروات.

ولما ظهرت أنوار السحر.

علت من الأفق البعيد غمامة سوداء[2].

وفى داخلها أرعد الإله «أدد»[3].

وكان يسير أمامه «شلات» و«خانيش»[4].

وهما ينذران أمامه فى الجبال وفى السهول.

ونزع الإله «إيراكال» الأعمدة[5].

ثم أعقبه الإله «ننورتا» الذى فتق السدود[6].

(1) من المفترض - طبقاً للسياق - أن يكون مُصدر الأمر والمتحدث هو الإله «ايا» لأنه هو الذى أنذر «اوتو - نبشتم» بحدوث الطوفان، وأعلمه كيفية صنع السفينة. ويبدو أن هناك تصحيفاً من كاتب النص الأصلى.

(2) قارن - سفر التكوين 7 :11.

(3) «أدد» أو «حدد» إله الزوابع والرعود.

(4) «شُلاَّت» و«خانيش» أو «هافيش» رسل الإله «أدد» أو هما أقنوما «شمش» و«أدد».

(5) «إيراكال» من آلهة العالم الأسفل، وأحد أسماء الإله «نرجال» (نرجول فى التوراة) إله العالم الأسفل.

(6) «ننورتا» إله العنف والحرب.

ورفع الـ «أنوناكى» المشاعل[1].

وجعلوا لأرض تلتهب بوهج أنوارها.

وبلغت رعود الإله «أدد» عنان السماء.

فأحالت كل نور ظلمة.

وتحطمت الأرض الفسيحة كما تتحطم الجرة.

وظلت زوابع الريح الجنوبية[2] تهب يوما كاملا.

وازدادت شدتها حتى غطت الجبال[3].

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان.

وصار الأخ لا يبصر أخاه.

ولا الناس يميزون فى السماء.

وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان.

فابتعدوا وصعدوا إلى سماء «آنو»[4].

وانكمشوا كالكلاب الخائفة وربضوا فى أسى.

فصرخت «عشتار» كالمرأة فى مخاضها.

انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجى نادبة:

(1) «الأنوناكى» مصطلح سومرى يشير إلى جموع الآلهة فى السماء والأرض - إرجع إلى الجزء الخاص بأساطير الخلق فى سومر.

(2) الريح الجنوبية فى العراق - وإن شئت الدقة - الجنوبية الشرقية - التى تسمى «شرجى» (شرقى) هى الرياح المطرة عادة، وهى الرياح التى تهب من جهة الخليج ومنطقة الأهواز.

(3) قارن سفر التكوين 7 :20 - 23.

(4) «آنو» إله السماء أو الإله السماء. وكانت سماء «آنو» بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السماوات السبع.

«واحسرتاه! لقد عادت إلى طين تلك الأيام القديمة[1].

لأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة.

فماذا دهاني إذ نطقت بالشر.

لقد سلطت الدمار على الخلق[2].

دمار من أعطيتهم أنا الميلاد.

لقد ملأوا اليم كبيض السمك».

ويبكى معها آلهة الـ «أنوناكى».

جلسوا يندبون وينوحون.

وقد يبست شفاههم.

ستة أيام وسبع أمسيات.

وزوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد.

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة الزوابع.

وكانت قبلها كالجيوش المحاربة.

ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[3].

وتطلعت إلى الجو، فوجدت السكون عاما.

ورأيت البشر وقد عادوا جميعا إلى طين.

وكالسقف كانت مياه الغدران مستوية.

فتحت كوة طاقتى فسقط النور على وجهى[4].

---

(1) قارن سفر التكوين 7 :23.

(2) سفر التكوين 8 :21.

(3) سفر التكوين 8 :1 - 2.

(4) سفر التكوين 8 :6.

سجدت وجلست أبكى.

فانهمرت الدموع على وجهى.

وتطلعت إلى حدود سواحل البحر.

فرأيت جزيرة وهى تعلوا مئة وأربعا وأربعين ذراعا.

واستقر الفلك على جبل «نصير»[1].

أمسك جبل «نصير» بالسفينة ومنعها من الحركة.

ومضى يوم ويوم ثان والجبل ممسك بالسفينة فلم تجر.

ومضى اليوم الثالث والرابع والجبل ممسك بالسفينة.

ومضى اليوم الخامس والسادس والجبل ممسك بالسفينة.

ولما حل اليوم السابع.

أخرجت حمامة وأطلقتها فى السماء.

طارت الحمامة ولكنها عادت[2].

رجعت لأنها لم تجد موضعا تحط فيه.

وأخرجت السنونو وأطلقته.

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعا يحط فيه.

ثم أخرجت غرابا وأطلقته.

---

(1) قارن رواية سفر التكوين إصحاح 8 عدد 4 (سوف نعرض للرواية كاملة) حيث الجبل الذى استقرت عليه سفينة نوح جبال «أراراط»، وأراراط اسم أرمينية القديمة «أورارطو».

(2) قارن سفر التكوين 8 :8 - 12 حيث عرض النص وصف إطلاق «نوح» الطيور بإسهاب، وذلك حتى يتأكد نوح من انحسار الماء.

فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت.

أكل وحام وحط ولم يعد.

عند ذلك أخرجت كل ما فى السفينة إلى الجهات الأربع[1].

وقربت قربانا[2].

وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل.

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين.

وكدست أسفلها القصب وخشب الأرز والآس.

فتنسم الآلهة شذاها[3].

أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب.

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب.

ولما حضرت الإلهة العظيمة «عشتار».

رفعت عقدها الذى صنعه «آنو» وفق رغباتها وقالت:

«أيها الآلهة الحاضرون، كيما لا أنسى هذا العقد اللازوردى.

الذى يزين عنقى.

فإننى لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دوما.

تقدموا جميعا وقربوا من هذه الذبيحة.

إلا «إنليل» وحده لن يقترب.

---

(1) سفر التكوين 8 :18 - 19.

(2) قارن سفر التكوين 8 :20.

(3) قارن سفر التكوين 8 :21.

لأنه سبب الطوفان دونما ترو.

وأسلم شعبى للدمار».

ولما أن جاء «إنليل» وأبصر الفلك غضب.

وامتلأ حنقا على آلهة الـ «ايكيكى»[1]، وقال:

«عجبا، كيف نجت نفس واحدة،

وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك؟

ففتح الإله «ننورتا» [2]فاه وقال مخاطبا البطل «إنليل»:

«من ذا الذى يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير «ايا»؟

أجل، إن «ايا» هو الذى يعرف خفايا الأمور».

وعندئذ فتح «ايا» فاه وقال مخاطبا «إنليل» البطل:

«أيها البطل، أنت أحكم الآلهة.

فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان؟

حمل المخطئ زور خطيئته.

وحمل المعتدى اثم اعتدائه.

ولكن ارحم (المخطئ والمعتدى) لئلا يهلك.

وتشدد (فى عقابه) لئلا يمعن فى الشر.

ولو أنك بدلا من إحداثك الطوفان.

سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم.

---

(1) «ايكيكى»: اسم جنس عام يطلق على جميع آلهة السماء.

(2) «ننورتا»: ابن الإله «إنليل»، ورسول الآلهة وإله الحرب.

ولو أنك بدلا من إحداثك الطوفان.

سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس.

وبدلا من الطوفان لو أنك أحللت القحط فى البلاد.

وبدلا من الطوفان لو أن «ايّرا»[1]، فتك بالناس.

أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام.

ولكننى جعلت «أترا - حاسس» [2]يرى رؤيا.

فأدرك سر الآلهة.

والآن تدبر أمره وقرر مصيره».

ثم صعد «إنليل» فوق السفينة.

وأمسك بيدى وأركبنى معه فى السفينة[3].

وأركب معى أيضا زوجى وجعلها تسجد بجانبى.

ووقف بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلا:

«لم يكن «أوتو - نبشتم» قبل الآن سوى بشر.

ولكن منذ الآن سيكون هو وزوجه مثلنا نحن الآلهة.

وسيعيش «أوتو - نبشتم» بعيدا عن «فم الأنهار».

ثم أخذونى بعيدا وأسكنونى فى «فم الأنهار».

---

(1) ايرا: إله الطاعون.

(2) أترا - حاسس: صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان «اوتو - نبشتم»، وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على «اترا - حاسس» وسوف تعرض لها حالاً».

(3) الكلام هنا على لسان «اوتو - نبشتم».

## - أسطورة «أترا - حاسس»:

هذه الأسطورة أو الملحمة عبارة عن قصيدة بابلية مطولة نوعا ما، إذ يبلغ عدد أبياتها نحو 1300 بيت موزعة على ثلاثة ألواح. ويرجح أن يكون اسم «أترا - حاسس» صفة مركبة تعنى «المتناهى فى الحكمة»، وهى ذاتها صفة لبطل الطوفان «أوتو - نبشتم».

وتبدأ الرواية بمقدمة تصف حياة الآلهة قبل خلق الإنسان، ثم اتخاذهم قرارا بخلق من يعينهم ويوفر لهم حاجاتهم، وبعد ذلك تعرض الرواية كيف كثر عدد البشر حتى أن ضوضاءهم وضجيجهم أزعج الإله «إنليل» بحيث أنه حرم من النوم والراحة، فقرر أن يسلط عليهم الطاعون حتى يقلل من عددهم، ويظل يسلط عليهم الآفات حتى ينزل عليهم عقابا شديدا وهو الطوفان. وسنبدأ بعرض نص الملحمة بداية من اللوح الثانى[1]:

**لم تكن تمضى ستمائة وستمائة عام.**

**حتى اتسعت البلاد وتكاثر الناس.**

**وصارت البلاد تجأر وتخور كالثور.**

**فانزعج الإله بضوضائهم وصخبهم.**

**لقد سمع «إنليل» صخبهم وضجيجهم.**

**فخاطب الآلهة العظام وكلمهم قائلا:**

**«إن ضوضاء البشر قد ثقلت على فلا أحتملها.**

---

(1) حول هذه الملحمة انظر:

A. Heidel, The Gilgamesh Epic, Phoenix Book, Chicago, 1970.

وطه الباقر - ملحمة كلكامش، وفراس سواح - مغامرة العقل الأولى. وقد جعلنا النص الوارد بكتاب طه الباقر هو النص الأساسى المعتمد عليه.

**لقد حرمنى ضجيجهم النوم.**

**فلتنقطع المؤن عن الناس.**

**ولتحل الندرة فى النباتات.**

**حتى لا تكفيهم سد جوعهم.**

**وليحبس الإله «أدد» [1]أمطاره.**

**ولينقطع ارتفاع مياه العمق من الأسفل.**

**ولتهب الرياح اللافحة فتحرق الحقول.**

**ولتتكاثف السحب ولكن ليمتنع هطول الأمطار.**

**ولتنقص الحقول من غلالها.**

**ولتوقف الإلهة «نصابا» [2]نتاج ثدييها.**

**ولتزل الأفراح من بينهم».**

باقى الأسطورة مخرومة، وحينما يصبح النص واضحا، تبدأ أوامر الإله «إيا» (إنكى) على الوجه الآتى:

**«ليعلن المنادون بأصوات عالية فى البلاد:**

**لا تبجلوا آلهتكم.**

**ولا تصلوا لآلهتكم.**

**بل اقصدوا باب الإله «أدد».**

**وخذوا معكم رغيف خبز إليه.**

---

(1) سبق وذكرنا أن «أدد» أو «حدد» هو إله الزوابع والرعود.

(2) «نصابا» إله الغلال.

**ولعل قرابين السمسم ستسره.**

**فيخجل من قرابينكم ويرفع يده عنكم.**

**ولعله سينزل طلا وضبابا فى الصباح.**

**وينزل الطل خلسة فى السماء.**

**فتنتج الحقول الغلال خلسة».**

**لقد أقاموا فى المدينة معبدا للإله «أدد».**

**ولم يبجلوا آلهتهم.**

**ولم يصلوا لآلهتهم.**

**بل قصدوا باب «أدد».**

**وقدموا إليه رغيفا من الخبز.**

**وسر بقربان طعام السمسم.**

**واستحى مما قدم له وكف عن الأذى.**

**وفى الصباح حل الضباب.**

**وأمطر طلا فى المساء خلسة.**

**ونتجت الحقول الغلال خلسة.**

ونعرض الآن للوح الثالث الذى يتضمن رواية الطوفان، وتبدأ بسؤال «أترا - حاسس» لإنكى عن تفسير الرؤيا التى رآها فى منامه، فيقوم «إنكى» بتفسيرها ويخبره بما عليه أن يفعل حتى ينجو بحياته:

**فتح «أترا - حاسس» فاه.**

**وخاطب سيده قائلا:**

«عبر لى عن معنى الرؤيا.

حتى أعرف مغزاها ونتيجتها».

ففتح إنكى فاه، وقال مخاطبا عبده:

«أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا.

فانتبه إلى المعنى الذى سأبلغك به:

يا حائط !اسمعنى يا حائط.

يا كوخ القصب، تفهم كلماتى.

انقض بيتك وابن لك فلكا.

انبذ المال وانج بحياتك.

والسفينة التى ستبنى.

(الأسطر 26 إلى 28 مخرومة):

سقفها واحكم بناءها كمياه الأبسو.

بحيث لا ترى الشمس داخلها.

واحكم سقفها من الأعلى والأسفل.

ولتكن حبالها متينة قوية.

وليكن القير ثخينا لتكون السفينة قوية.

أنا سأمطركم بوافر من الطيور والأسماك».

لقد فتح «أترا - حاسس» الساعة المائية وملأها.

لقد بلغه بوقوع الطوفان لليلة السابعة.

انصاع «أترا - حاسس» للأمر.

وجمع الشيوخ عند بابه.

وفتح «أترا - حاسس» فاه وخاطب الشيوخ قائلا:

«إن إلهى على خلاف مع إلهكم.

إن «إنكى» و«إنليل» غاضب أحدهما على الآخر.

لقد أخرجانى وطردانى من بيتى.

ولأننى أخص إنكى بالتبجيل.

فإنه أخبرنى بالأمر.

ولذلك فلن أستطيع العيش فى مدينتكم.

ولا أستطيع أن أضع قدمى على أرض «إنليل».

(عدة أسطر مخرومة تتضمن جمع العمال والنجارين وتهيئة المواد لصنع السفينة):

. . . . . .

كل ما عليك. . . .

ومن الحيوانات الطاهرة . . .

والحيوانات السمينة. . .

وأطيار السماء . . . . والماشية وحيوان البر. . اجمعها فى السفينة.

دعا الناس. . . إلى وليمة.

واركب عائلته فى السفينة.

أكلوا وشربوا.

وكان يدخل ويخرج على الدوام.

ولا يستطيع الجلوس ولا النوم.

لأن قلبه قد تحطم، وصار يتقيأ المرارة،

وتبدلت هيئة الجو.

وأرعد الإله «أدد» فى السحاب.

وحالما سمع «أترا - حاسس» صوت «أدد».

أحضر القير ليسد بابه.

وبعد أن أغلق بابه.

كان «أدد» لايزال فى السحاب.

وازدادت الرياح فى شدة هبوبها حينما استيقظ.

فقطع المرساة وأطلق السفينة.

. . . . . .

(عدة أسطر مخرومة)

وصار الطائر «انزوا» يمزق السماء بمخلبه

لقد حطم صوته ...كما تحطم الجرة

......وجاء الطوفان

وفتك فى شدته بالناس كالحرب العوان

وصار الأخ لا يرى أخاه

ولم يكن الناس ليميزوا من هول الهلاك

وخار عباب الطوفان كالثور الوحشى

وكان صوت الطوفان كنهيق الحمار

وغطى الناس الظلام الدامس، ولم تظهر الشمس

.........

(عدة أسطر مخرومة)

استشاط «إنكى»غضبا

وهو يرى أبناءه يسحقون ويهلكون

و «ننتو»السيدة العظيمة [1]

يبست شفتاها من الحرارة

والـ «أنوناكى» ، الآلهة العظام

جلسوا وهم عطشى وجياع

وبكت الآلهة وهى تشاهد الكارثة

وقالت الحكيمة «مامى»، قابلة الآلهة:

«ليعم الظلام النهار، وليعم البؤس والشقاء

وأنا فى مجلس الآلهة

ماذا دهانى أنى قررت معهم الهلاك والدمار

لقد تجاوز إنليل المدى فى الشر والهلاك

ومثل شيطان «تريرو» ، أمر بالشر والدمار

وأوقعت الأذى بنفسى عندما أصغيت إلى ضوضائهم

وإن ذريتى- وقد قطعت عنى- غدت كالذباب

(1) «ننتو» أو «ماهى» إلهة خالقة وإلهة الولادة، وقد سبق ورأينا أن الإلهة التى ناحت على هلاك البشر فى أسطورة «اوتو - نبشتم» هى عشتار التى يمكن اعتبار «ننتو» و«ماهى» من أسمائها.

وأنا أصبحت كالساكنة فى بيت الندب والبكاء

فلا يسمع نحيبى وعويلى

فهل سأرقى إلى السماء

وكأنى سأعيش فى بيت الكنز ؟

إلى أين ذهب كبيرهم «آنو» ؟

«آنو» الذى يطيع أمره أبناؤه الأقداس

إنه الذى لم يترو فأحدث الطوفان

وأسلم الناس إلى الهلاك والفناء

(عدة أسطر مخرومة)

لقد ملأوا النهر كأنهم اليعاسيب

صاروا كالأرماث الطائفة فى النهر

لقد شاهدتهم وبكيت من أجلهم

أجل، انتحبت من أجلهم

حتى استنفذت رثائى وندبى من أجلهم»

لقد ناحت «ننتو» بكل حرارة عاطفتها

وبكى الآلهة معها من أجل البلاد

لقد ملكها الحزن وأصابها الظمأ إلى الجعة[1]

وحينما جلست جلسوا معها يبكون

(1) فلا أحد من البشر يقرب القرابين، لذا سيحل الجوع والعطش على جميع الآلهة، لأنهم - طبقاً لهذا المعتقد - قد خلقوا الإنسان حتى يخدمهم ويقوم على حاجاتهم.

**وملأوا الحوض كأنهم الغنم**

**ويبست شفاههم من شدة الظمأ**

**وحل بهم الضعف والشلل من شدة الجوع**

**وطول سبعة أيام وسبع ليال**

**عم الطوفان والزوابع**

(نحو 27سطرا مخرومة، ونحو 29 سطرا من الحقل التالى)

**. . . . إلى الرياح الأربع**

**وجهز الطعام ......**

**وشم الآلهة طعام الوليمة[1]**

**فتجمعوا كالذباب على القرابين**

**نهضت «ننتو»، وهى غاضبة على الجميع فقالت:**

**إلى أين ذهب «آنو» كبير الآلهة ؟**

**هل حضر «إنليل» إلى البخور والقرابين ؟**

**إنهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان**

**وسلطا الدمار على الناس،**

**لقد أرادوا الهلاك الشامل ؟**

**والآن غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة**

**ثم أمسكت بالذباب الكبير[2]**

---

(1) دليل على انتهاء الطوفان ونجاة السفينة ومن فيها ومن ثم تقريب القرابين إلى الآلهة من قبل «اترا - حاسس» ومن معه.

(2) الذباب الكبير: كناية عن عقد اللازورد الذى صنعه لها «آنو» كما رأينا فى أسطورة «اوتو - نبشتم».

وهى التى صنعها لها «آنو» وكانت تحملها

وقالت: إن حزنه حزنى، والآن قرر مصيرى

ليخلصنى من هذا الحزن والغم

وليكن هذا الذباب أحجار اللازورد التى فى عنقى

لأتذكر بها كل يوم وإلى الأبد

شاهد البطل «إنليل» السفينة

واستشاط غضبا على آلهة الـ «ايكيكى»وقال:

نحن آلهة الـ «أنوناكى» العظام

لقد قررنا وأقسمنا بذلك

فكيف نجا بعض الأحياء ؟!

وكيف سلم الإنسان من الهلاك

ففتح «آنو» فاه وخاطب «إنليل» قائلا:

من غير «إنكى» من يستطيع أن يفعل ذلك ؟

أنا لم أفش سر القرار

ففتح «إنكى» فاه وخاطب الآلهة العظام قائلا:

«لقد فعلت ذلك حقا بحضركم

أنا المسئول عن نجاة الحياة»

(عدة سطور مخرومة)

فليعاقب المذنب بوزر ذنبه

وكل من يخالف أوامرك

**ففتح «إنليل» فاه وخاطب «إنكى»قائلا:**

**هلم ! احضر «ننتو» إلهة الولادة**

**أنت وهى قد حضرتما الاجتماع**

......

وهنا ينخرم النص، ولكن الأسطر القليلة البـاقية تنتهى بها الملحـمة بخلق الإلهة «ننتو»صنفا ثالـثا غريبا من البشـر هو جنس الإناث اللواتى لا يحملن، وخلق أنواع من الشياطين.

## رواية الطوفان فى نصوص التوراة (سفر التكوين):

نعرض الآن لرواية طوفان «نوح» كما جاءت بها نصوص التوراة ثم نعقبها بإجراء مقارنة بينها وبين النصوص السومرية والبابلية التى عرضناها آنفا.

## الإصحاح السادس:

**5** - رأى الرب أن شر الإنسان قـد كثُر فى الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم.

**6** - فحزن الرب أنه عَمِل الإنسان فى الأرض. وتأسف فى قلبه.

**7** -- قال الرب :أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأنى حزنت أنى عملتهم.

**8** - وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب.

**9** - هذه مواليد نوح :كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله. وسار نوح مع الله.

**10** - وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث ..

**11** - وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما.

12 - ورأى الله الأرض فإذا هى قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.

13 - فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامى. لأن الأرض امتلأت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض

14 - اصنع لنفسك فُلْكا من خشب جُفْر. تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار.

15- هكذا تصنعه :ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه.

16 - وتصنع كوا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك فى جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله.

17 - فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما فى الأرض يموت.

18 - ولكن أقيم عهدى معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك.

19 - ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين من كل تُدْخِل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى.

20 - من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها.

21 - وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل وأجمعه عندك. فيكون لك ولها طعاما.

22 - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله. هكذا فعل.

## الإصحاح السابع:

1 - قال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك. لأنى إياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل.

2 - من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى. ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى.

3 - ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى لاستيفاء نسل على وجه كل الأرض.

4 - لأنى بعد سبعة أيام أيضا أمطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة. وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته.

5 - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب.

6 - ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض.

7 - فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان.

8 - ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض.

9 - دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى. كما أمر الله نوحا.

10 - وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض.

11 - فى سنة ستمائة من حياة نوح فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر من الشهر فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء.

12 - وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة.

13- فى ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك.

14 – هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهـائم كأجناسها كل عصفور كل ذى جناح.

15 – ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة.

16 – والداخلات دخلت ذكـرا وأنثى من كل ذى جسد كمـا أمره الله. وأغلق الرب عليه.

17 – وكان الطوفـان أربعين يومـا على الأرض. وتكاثرت المياه ورفـعت الفلك فارتفع عن الأرض.

18 – وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا علـى الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه.

19 – وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء.

20 – خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه. فتغطت الجبال.

21 – مـات كل ذى جسـد كـان يدب على الأرض. مـن الطيـور والبـهـائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس.

22 – كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات.

23 – فـمحـا الله كل قائم كـان على وجـه الأرض. الناس والبهـائم والدبابات وطيور السماء. فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط.

24 – وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوما .

## - الإصحاح الثامن:

1 – ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك. وأجاز الله ريحا عل الأرض فهدأت المياه.

2 - وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء.

3 - ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا. وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه.

4 - واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط.

5 - وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر. وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.

6 - وحدث من بعد أربعين أن نوحا فتح طاقة الفلك التى كان قد عملها.

7 - وأرسل الغراب. فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض.

8 - ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض.

9 - فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها. فرجعت إليه إلى الفلك. لأن مياها كانت على وجه كل الأرض. فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك.

10 - فلبث أيضا سبعة أياما أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك.

11 - فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض.

12 - فلبث أيضا سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا.

13 - وكان فى السنة الواحدة والستمائة فى الشهر الأول فى أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض. فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف.

14 - وفى الشهر الثانى فى اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض.

15 – وكلم الله نوحا قائلا.

16 – أخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك.

17 – وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الأرض أخرجها معك. ولتتوالد فى الأرض وتثمر وتكثر على الأرض.

18 – فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه.

19 – وكل الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

20 – وبنى نوح مذبحا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذابح.

21 – فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن أيضا من أجل الإنسان تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت.

22 – مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال.

## – مقارنة بين نصوص التوراة ونصوص سومر وبابل:

بداية نقول أن التشابه بين ما جاءت به النصوص التورانية والنصوص السومرية والبابلية قائما لا لبس فيه، وقد نوهنا إلى هذا بالهوامش وبصفة خاصة عند عرض أسطورة «أوتو – نبشتم». سنعرض الآن للخطوط العريضة التى تبرز هذا التشابه[1].

(1) المقارنة التفصيلية بين هذه النصوص يُرجع فى شأنها إلى فراس السواح – مغامرة العقل الأولى – ص 195 - 185.

**فبالنسبة لسبب الطوفان** نجد فى نصوص التوراة أن «الرب قد رأى أن الشر قد كثر فى الأرض»، ومعنى ذلك أن ذنوب الإنسان قد كثرت فى الأرض، وهذا ما نجده فى النصوص السومرية والبابلية، فها هو الإله «إيا» يؤنب إنليل ويخبره بأنه كان لزاما عليه أن يعاقب المخطئ بدلا من إحداث الطوفان، إذن فسبب الطوفان واحد، وهو الانحدار الأخلاقى الذى وصلت إليه البشرية.

**وبالنسبة لبطل الطوفان:** فنجد أن «زيوسدرا» يعنى اسمه (الخالد) أو (ذو الحياة الطويلة)، و «أوتو - نبشتم» يعنى (الذى أدرك الحياة) أو (الذى رأى الحياة)، وكلاهما اختير ليكون هو منقذ للبشرية من دمار الطوفان لصلاحه وتقواه وتعبده وخشوعه. وبالنظر إلى «نوح» نجد أن الله سبحانه وتعالى قد حاباه بالعمر المديد والحياة الطويلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فمما لا شك فيه أن «نوحا» كان نبيا تقيا صالحا.

**وبالنسبة للإعلام عن الطوفان:** فجميع النصوص تتفق على أنه قد جاء من جهة إلهية، وإن اختلفت فى كيفية ايصال الخبر، ففى أساطير سومر وبابل، نجد أن بطلى الطوفان قد رأيا حلما، أما فى التوراة فنجد أن الله سبحانه وتعالى كان على اتصال مباشر مع نوح.

**وبالنسبة للسفينة وركابها:** فجميع النصوص تتفق على أن حجم السفينة كان كبيرا، وأن طريقة بنائها قد تم الإعلام بها عن طريق إلهى، بل تكاد تتفق مواد البناء فى جميع النصوص (الخشب والقار)، وبالنسبة للركاب، فالسفينة لم يركب فيها إلا الصالحون، والحيوانات والطيور، وذلك للحفاظ على هذه الأجناس.

**وبالنسبة لاستقرار السفينة وإطلاق الطيور:** نجد أن جميع النصوص تتفق على أن السفينة قد استقرت على جبل، وإن اختلفت فى اسم هذا الجبل، فهو «نصير»

فى نصوص سومر وبابل، و«أراراط» فى النصوص التوراتية. أما إطلاق الطيور بعد استقرار السفينة فيكاد يتطابق، والاختلاف فقط كان فى عدد الطيور وترتيب إطلاقها، إلا أن العلة من إطلاقها كانت واحدة، وهى هل انحسرت مياه الطوفان عن الأرض أم لا.

- **وبالنسبة لتقديم الذبائح:** فنجد أن أبطال الطوفان فى النصوص السومرية والبابلية قد قاموا بتقديم الذبائح والقرابين شكرا لهم على نجاتهم من أهوال هذا الطوفان، وبالمثل فعل نوح، فقد «بنى مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذبح».

وكانت نتيجة تقديم هذه القرابين واحدة فى جميع النصوص، ففى أسطورة «أوتو - نبشتم» (تنسم الآلهة شذاها)، وفى نص التوراة (فتنسم الرب رائحة الرضا).

## - نتيجة المقارنة:

بعد هذه المقارنة للخطوط العريضة التى جاءت بها النصوص السالف بيانها، كان لابد لهذه المقارنة من نتيجة، وهذه النتيجة ليست دوما نتيجة مطلقة يتفق عليها الجميع، وإن اتفقوا على فحوى المقارنة كما عرضناها آنفا.

فعلى سبيل المثال نرى المفكر السورى «فراس السواح» يطرح التساؤل الآتى ثم يعقبه باجابتين، فيؤكد الأولى، ويجعل من الثانية محض احتمال، فنجده يقول[1]:

«والسؤال الأخير الذى يطرح نفسه: هل اعتمد النص التوراتى على النص البابلى أو أى من النصوص الأخرى؟ والجواب الذى أراه بالدراسة الموضوعية للنصوص هو - والكلام للأستاذ فراس سواح - نعم. مع بقاء الاحتمال قائما فى رجوع

(1) مغامرة العقل الأولى - ص 194.

النصوص جميعا إلى نص أقدم، أو إلى رواية بقيت فى أذهان شعوب المنطقة من ديانة توحيدية سابقة» أ. هـ.

والواقع أن الاجابة السابقة جاءت نتيجة لمقدمة يعتمد عليها كثير من الباحثين، وهى أن الإنسان فى تطوره الفكرى والاعتقادى، قد بدأ من مرحلة السحر والشعوذة، ثم انتقل إلى عالم الأساطير والتجمعات الإلهية.

وفى حقيقة الأمر لا يمكن التسليم من جانبنا بهذه المقدمة، وذلك لأن نصوص القرآن الكريم - بل والنصوص التوراتية - قد جاء الخبر بها أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم، وعلمه الأسماء، وأسجد له الملائكة، وأسكنه هو وزوجه الجنة.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1].

معنى تلك الآيات الكريمة أن الإنسان قد خُلق مؤمنا موحدا، وعلمه كان من

---

(1) سورة البقرة - الآيات من 30 إلى 36.

لدن الله سبحانه وتعالى، وهذا الإيمان التوحيدى قد انتقل من آدم عليه السلام إلى بنيه، ولكن - وكما تخبرنا الآيات - فإن اشيطان يأبى أن تظل حياة الإنسان على هذا المنوال، فكان يحضه على الكفر حتى استجاب له كثيرون، فتبدل الحال من الإيمان إلى الكفر، وهنا ظهر السحر، والشعوذة، والأساطير، وبدلا من أن تكون العبادة لله الواحد القهار، صارت تتجه نحو آلهة من صنع الإنسان، حتى بعد حادث الطوفان، ونجاة المؤمنين مع نوح عليه السلام، عاد الكفر وظهر من جديد، والأمثلة على ذلك كثيرة :قوم عاد، وثمود، وقوم لوط. . . الخ.

وعلى ذلك فالدورة الحقيقية للاعتقاد الإنسانى فى الإله بدأت من الإيمان والتوحيد، ولم تبدأ بالكفر والشرك وتعدد الآلهة، وهذا ما يفسر لنا أوجه الشبه بين النصوص السومرية والبابلية من ناحية، وبين النصوص التوراتية من ناحية أخرى، فكلا النصين قد اعتمدا على نص (سماوى) أقدم فى الوجود، ولكن لما كان المجتمع السومرى والبابلى مجتمعا مشركا تتعدد فيه الآلهة، فقد صيغ النص بالصورة التى رأيناها، فإنليل - ومعه معظم مجمع الآلهة - هو الذى يقرر حدوث الطوفان، والإله «إنكى» أو «ايا» هو الذى يعلم بطل الطوفان بحدوثه وينقذ الصالحين ليكونون نواة جديدة لنسل الإنسان، أما فى النص التوراتى والذى صيغ من منطلق توحيدى، فنجد أن «يهوه» إله بنى إسرائيل هو الذى يقرر حدوث الطوفان، وهو نفسه الذى أعلم به نوح وعلمه طريقة بناء السفينة.

أما ما جاء فى النصوص السومرية والبابلية - على لسان الإله إنكى أو «ايا» من أنه كان من الأحرى مؤاخذة المذنب بذنبه بدلا من إنزال الدمار عل البشرية جمعاء، فهذا مما جاشت به عاطفة الشاعر (الوثنى) الذى كان يتمنى ألا يكون العقاب بهذه القوة، ولكنه صاغ هذا على لسان أحد الآلهة الذى كان يعدونه صديقا للبشرية محبا لها.

ولكن ما هو النص الأساسى الذى اعتمدت عليه كل هذه النصوص السالف عرضها، والذى استلهم منه كتاب هذه النصوص كل ما جاؤوا به. فى بيان ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[1] ويقول جل شأنه ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2] وعلى ذلك فالمؤكد أن هناك نص سماوى قد أخبر عن رواية الطوفان كما حدثت فعلا، والمرجح أن يكون ذلك النص قد جاء فى «صحف» إبراهيم ﷺ، لأنها الصحف الأقدم من التوراة، وعن تلك الصحف صيغت النصوص السومرية والبابلية - وقد صبغت بصبغة الشرك - ثم أخذت التوراة من كل هذه النصوص وصاغت الرواية فى إطار من التوحيد.

* * * *

(1) الأعلى: (18 - 19).

(2) آل عمران: (84).

# الباب الثانى
# أساطير بابل

كانت بابل من حيث تاريخها وجنس أهلها نتيجة امتزاج السومريين والأكديين، فقد نشأ الجنس البابلى من تزاوج هاتين السلالتين، وكانت الغلبة فى هذه السلالة الجديدة للأصل السامي الأكدى، فقد انتهت الحروب التى نشبت بينهما بانتصار أكد وتأسيس مدينة بابل.

وبابل - مثلها في ذلك مثل باقي المجتمعات القديمة - تفشت فيها ظاهرة تعدد الآلهة، وقد أحصى عدد الآلهة إحصاءً رسمياً فى القرن التاسع قبل الميلاد فكانوا حوالى 65000. ذلك أن كل مدينة كان لها رب يحميها، وكان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها، إلا أننا نلاحظ أن الألهة السومرية لم ينقض عهدها بانقضاء عهد دولة السومريين، فسنجد الإله «إنكى» أو «إيا» وستظهر «إنانا» باسم «عشتار» و«دموزى» باسم «تموز».. إلخ[1].

وإذا كنا قد تعرضنا لبعض النصوص البابلية عند عرضنا ملحمة «جلجامش» وأساطير الطوفان، فإن ذلك كانت تفرضه علينا أسس البحث العلمى لإجراء المقارنات بين مختلف النصوص - سومرية وبابلية - أو من أجل عرض القصة بصورة كاملة حتي لا يتشتت الذهن. على أننا سوف نعرض في هذا الباب لآلهة بابل عن طريق عرض أساطيرها، وننبه أن وجود أسماء لآلهة سومر فى نصوص هذه الأساطير، فإنما يرجع لأحد أمرين، إما لأن القصة والأسطورة كانت فى أصلها أسطورة سومرية ولكنها كتبت باللغة الأكادية، وإما لأن - كما ذكرنا - الآلهة السومرية ظلت محتفظة بوجودها رغم انقضاء دولة السومريين، وكل هذا لا يمنع من اجتماع الأمرين معاً.

---

(1) ول ديورانت - قصة الحضارة - جـ 2 - ص 213

# الفصل الأول
# أسطورة الخلق البابلية
# الإنيوما إيليش

كتبت أسطورة الخلق البـابلية على سبعة ألواح، وقد وجدت فـي خرائب مكتبة أشور بانيبـال فى قويو نجك «نينوى» فى عام 1854، وهذه الألواح نسخـة من قصة انحدرت إلي بابل وأشور من بلاد سومر[1].

وتعنى «إنيـوما إيليش» Enouma Elish «عندما فى الأعالى»، فـقد كانت عادة السومـريين والبابليين أن يسموا الملـحمة بالعبـارة الافتتاحـية فى النص، والذى بدأ بعبـارة «عندما فى الأعالى لم تكن السمـاء..»، ففى أول الأمر كان العـماء، فلم يكن هناك سماء ولا أرض، لم يكن فى الوجود إلا العماء المائى، حيث كان «أبسو» المياه العـذبة يختلط بمياه «تعـامة» أو «تيامـات» المالحة، أخذت الآلهـة بعد ذلك فى الظهور، إلى أن وُلد «آنو» الـذى أصبح فيـما بعد إله السـماء، والذى أنجب بدوره «إنكى» أو «إيا» إله الحكمة والفطنة، والذى أصبح فيمـا بعد إله المياه العذبة، وكان له من القوة ما مكنه من السيادة على باقى الآلهة حتى على آبائه.

لكن هذه الآلهة التى ظهرت عكرت صـفو وسكوت «أبسو» الذى قرر إبادة هذا النسل الجديد ليعود إلى السكون مرة أخـرى، وبالفعل يضع خطة لهذه الإبادة ويبدأ فى تنفيذها - رغم مـعارضة تعامة - وهنا لم يكن من منقذ لشـباب الآلهة إلا الإله «إيا» الذى يستطيع أن يوقف مخطط الإبادة ويقضى على «أبسو».

بعد القـضاء على «أبســو» كان على «تعامـة» أن تتوخى الحـذر، فشبـاب الآلهة

(1) قصة الحضارة - جـ 2 - ص 217.

أصبح لديهم من القوة والسطوة ما يمكنهم من التحكم والسيطرة، ولعل يجئ الدور عليها فتلقى نفس مصير «أبســو»، لذا قررت «تعامة» أن تسلك نفس مسلك «أبسو» - بعد اجتــماعها مع الآلهة القــديمة - وتتخذ قراراً بإبادة الآلهــة الجديدة، وعندما يعلم هؤلاء بهذا القرار يتنابهم الخوف والهلــع، ولكنهم فى النهاية يعتمدون على إله قوى، فــاق أبيه فى القوة البطش، وهو الإله «مــردوخ» أو «مردوك» ابن الإله «إيا»، وبالفعل يستطيع مــردوخ - كما استطاع والده من قبل - أن يقــضى على «تعامة»، ليس هذا فقط، بل عــمل على إخراج الكون من حالة السكون والركــود إلى حالة الحركة، وذلك بأن قام بشق جثة تعامــة إلى شقين، وجعل منهما السماء والأرض، ثم قام بباقى عملية الخلق إلى أن خلق الإنسان، وفي النهاية نظم الآلهة إلي فريقين، جــعل الفريق الأول فى الســماء وهم «الأنــوناكى» والثانى جــعله فى الأرض وهم «الأيجيجى» أو (الأيكيكى). وبعد ذلك يتــوج الآلهة «مردوخ» سيداً للكون، ليكون بذلك أعظم آلهة بابل.

وبعد هذا العرض المختصر لأسطورة أو ملحمة الخلق البابلية «إنيوما إيليش» نقوم الأن بعرض نص الملحمة كما جاءت بها الألواح السبعة(1):

---

(1) سنعتمد أساساً على النص الوارد بكتاب «سلسلة الأساطير السورية - ديانات الشرق الأوسط» تأليف: رينيه لا بات وآخرون - ترجــمة: مفــيد عرنوق، وكذلك النــص الوارد فى كتاب فراس الســواح: «مغامــرة العقل الأولى».

وانظر كذلك:

1 - James Pritchard. Ancient Near - Estern Texts, Princeton University. Press 1969.

2 - Alexander Heidel, The Babylonian Genesis, phoenix Books, Chicago, 1970.

# اللوح الأول

عندما فى الأعالى لم تكن السماء قد وُجدت.

ولم يكن هناك أرض ظهرت.

لم يكن هناك (من الآلهة) سوى «ابسو»[1] ابوهم.

وتعامة[2] التى ولدتهم كلهم.

امتزجت مياههم جميعاً.

حيث لم تظهر المراعى والمقاصب.

ولم تكن الآلهة قد ظهرت بعد.

ولا اتخذت اسماً ولا رُسمت أقدارهم.

عندئذ خلقت (تعامة وأبسو) فى أعماقهم.

لحمو ولحامو[3] الذين ظهروا فإنهم الأولون الذين اتخذو اسماً.

وبعد أن كبروا وتم تكوينهم.

خلقوا «إنشار» و«كينشار»[4] وهم أعظم شأناً من أولئك.

كانت أيامهم طويلة وأعوامهم مضاعفة.

ثم أنجبا «آنو»[5] وريثهما.

---

(1) ابسو: المياه العذبة.

(2) تعامة: مياه البحر المالحة.

(3) الهة غير واضحة الشخصية.

(4) معناها المجموعة العليا والمجموعة الدنيا.

(5) تبدأ بالإله «آنو» ولادة الأجيال الجديدة (شباب الآلهة) التى عبدها البشر فيما بعد.

كان «آنو» بكر «إنشار» وشبيها له.

ثم انجب «آنو» «نوديمو»[1] على شاكلته.

أصبح «نوديمو» سيد آبائه.

كان إدراكه واسعاً وقوته هائلة وأمسى حكيماً.

أعظم من جده «إنشار».

لم يكن له ند بين الآلهة رفاقه.

عندئذ تحالف الآلهة مع هؤلاء الرفاق.

وعكر صخبهم صفو «تعامة».

لقد شوشو على تعامة سكونها.

أفزعوا بصخبهم المساكن في الأعالى.

لم يقدر «أبسو» على إسكات صخبهم.

وعلى الرغم من صمت تعامة.

إلا أنها أحسَّت بأن صخبهم لا يحتمل.

وكانت رافضة لسلوكهم.

عندئذ تقدم «أبسو» سلف الآلهة الكبار.

ونادى على رسوله «مومو»[2] قائلاً له:

تعال نذهب إلي تعامة.

فذهبا وجلسا حيال «تعامة».

---

(1) نوديمو: هو الإله «إيا» أو «إنكى» إله الحكمة وإله الماء العذب.

(2) هذه الشخصية الجديدة تمثل رسول «أبسو» وهى لم تلعب أى دور رغم أنه يدعو «أبسو» أباه.

تشاوروا بشأن (شباب) الآلهة.

وفتح «أبسو» فاه قائلاً لتعامة:

«إن سلوكهم ليثقل على،

ففى النهار أفقد الراحة وفى الليل يغادرنى النعاس.

لأدمرنهم، وأضع حداً لأفعالهم.

حتى يسود السكون ونتمكن من النوم».

عندما سمعت تعامة هذا الكلام.

تمكن منها الغضب فصاحت بوجه زوجها.

صرخت وثار هياجها.

كتمت الشر فى قلبها وقالت:

«لماذا نحن نفنى ما خلقناه.

فمهما كان سلوكهم سيئاً علينا أن نبقى عطوفين».

تكلم «مومو» مبدياً رأيه لـ «أبسو»،

وبلسان مستشار فاقد العطف، كان رأى رسوله «مومو»:

«أبطل يا أبتِ هذا السلوك المضنى.

لتكن لك فى النهار راحة وفى الليل نعاس».

فرح «أبسو» عند سماعه ذلك وأضاء وجهه.

للأذى الذى كان يضمره ضد الآلهة أبنائه.

فعانق بذراعه «مومو».

الذى تقدم وركع ليقبله.

وكل ما دار فى هذا المجلس.

أعلموا به الآلهة أولادهم الكبار.

وحين علم الآلهة بهذا القرار اضطربوا من شدة اليأس.

فسكنوا ولاذوا بالصمت.

غير أن أذكاهم صاحب الحكمة والقادر.

«إيا» العارف بكل شئ، تراءت له خطة لإنقاذهم.

فقد وضع خطة كاملة ضد «أبسو».

وبكل مهارة حول ضده رقية سحرية.

ثم أنشدها له وسرعان ما هدأ فى جوف الماء.

إذ اجتاحه النعاس وغط فى نوم عميق.

لقد أنام «إيا» «أبسو».

وبينما كان مستشاره «مومو» فى حالة أرق.

نزع «إيا» عنه ثيابه وصولجانه.

وبهاءه الإلهى، ولبسها هو.

وبعدها كبل «أبسو» بالسلاسل وذبحه.

كما حبس «مومو» وراء القضبان.

ومن ثمَّ شيد مسكنه فوق «أبسو».

كما أنه أمسك «مومو» وربطه بالحبل.

وبعد أن قيد وأخضع كل من كان يريد به سوءاً

أعلن فى وجه أعدائه انتصاره.

وبعد أن استراح (إيا) فى غرفته بكل هدوء.

وبعد أن خصه «أبسو» بالمعابد.

فى هذا المكان وأقام له فيه قدس الأقداس.

سكن «إيا» وزوجته «دمكينا» بكل جلال.

وفى هذا المذبح الخاص بالأقدار والمقدس المثالى.

وُلد السيد الحكيم بين الحكماء وأحكم الآلهة.

فمن السيد الحكيم بين الحكماء وأحكم الآلهة.

فمن قلب الـ «أبسو» الصافى ولد «مردوخ».

إن «إيا» أباه هو الذى خلقه.

و«دمكينا» أمه هى التى وضعته.

لقد رضع ثدى الآلهة.

وأسبغت عليه الجلالة والهيبة.

وكانت قامته رائعة ووضاء كان نظره.

وكان من البداية ذا عزم.

عندما رآه «إيا» أبوه.

فرح وابتهج وامتلأ قلبه غبطة.

ولكى يدعه كاملاً جعله يحظى بألوهية مختلفة.

إنه أكثرهم تمجيداً وأرفعهم منزلة.

وكانت مقاساته الباهرة لا حدود لها.

ليس فى مكنة الفكر الإحاطة بها.

ومن الصعب تخيلها.

له عيون أربع وآذان أربع.

وحين يحرك شفتيه تتوهج النيران.

تضاعف سمعه أربع مرات.

وكانت عيونه تحيط بكل شئ.

إنه مجيد عملاق بين الآلهة.

بنيته هائلة منذ ولادته.

«ماريتو»، «ماريوتو»[1].

ابن الشمس، شمس الآلهة.

ثيابه تفوق ببهائها ثياب عشرة آلهة.

كان شديد الرهبة.

خلق آنو الرياح الأربعة.

وأسلم أمرها إلى «مردوخ».

فأحدث الزوابع والأمواج.

فشوش بهذا على «تعامة».

فجعلها قلقة مضطربة.

وكانت الآلهة (الكبيرة) يتعبون من تلك الريح العاصفة.

(1) يبدو أن هذه الكلمة تعنى الإعظام والتبجيل، والبعض يترجمها «عظموه، بجلوه»

فاضمروا الشر فى قلوبهم.

فتوجهوا إلى أمهم «تعامة» وقالوا لها:

«حين قتلوا «أبسو» حبيبك.

لم تساعديه ولم تمدى له يدك.

فها هو «آنو» قد خلق رياح الرعب الأربع.

فتعكرت أعماقك وفقدنا نحن النوم.

أنسيتى «أبسو» حبيبك.

و«مومو» المكبل بالأغلال؟ لقد غدوتِ وحيدة.

أو لست أمنا؟ إنك تتحركين مضطربة.

أما نحن فأمسينا بلا راحة. أفلا تحيينا؟

انظرى ما فعله السهر بعيوننا.

فارفعى هذا النير دون مهل حتى ننام.

وانتصرى عليهم، وأثأرى لـ «أبسو» و«مومو».

باطلون هم أعداؤنا، فحوليهم إلى أشباح».

عندما سمعت تعامة ذلك سرت به، وقالت:

دعونا نخلق وحوش.

وعندها تجمع الآلهة إلى معسكر تعامة.

بعد أن أضمروا الشر ضد الآلهة (الشابة).

أتوا كلهم ووقفوا بجانب تعامة.

غير مفكرين إلابالشر، ليل نهار، وبلا تمهل.

واعلنوا الحرب وهم يضربون الأرض بأقدامهم فى هياج.

وعقدوا مجلساً استعداداً للحرب.

كما أن والدة «هوبور»[1] خالقة الأشياء كلها.

صنعت أسلحة جمة لا تقاوم، لقد خلقت الأفاعى العملاقة.

ذات الأنياب الحادة والأفكاك التى لا ترحم.

وملأت أجسادها بدل الدم، سماً.

وألبست التنانين ثياباً رهيبة.

وحملتها كل بهاء وجعلتها كالآلهة.

فمن يراها يموت ذعراً.

وحين كانوا يثبون لا يتراجعون.

لقد أثارت التنين ذا السبعة رؤوس.

والإبليس المتوحش.

والأسود الضخمة والكلاب المسعورة والرجل العقرب.

وأبالسة الزوابع والذبابة العملاقة والرجل السمكة.

حملة السلاح لا ترحم ومن دون وجل وفى ساحة القتال.

كانت قدراتها عظيمة لا ترحم.

وعوضاً عن «أبسو» خلقت أحد عشر غولاً.

وكان بين الآلهة أولادها البكر (الجيل الأول) وعصبتها.

واختارت «كينجو» ليكون زعيماً عليهم.

(1) والدة «هوبور» أى تعامة، وهوبور هو نهر الجحيم.

فى إدارة الجيش وتوجيه العصبة.

ليشهر السلاح فى ساحة المعركة ويأمر بالهجوم.

ويوزع الغنائم فى ساحة القتال.

لقد وضعت كل شئ تحت تصرفه وأجلسته على العرش هاتفةً به:

لقد أطلقت من أجلك الرقى وجعلتك الأعظم فى مجمع الآلهة.

ومنحتك السلطة على جميع الآلهة.

فكن إذن الأعظم وكن زوجى الوحيد.

وليمجدوا اسمك أكثر من جميع «الأنوناكى».

ثم سلمت له ألواح القدر، وزينت بها صدره قائلة:

«لتكن أوامرك لا مرد لها، وليكن ما تقوله ثابتاً».

أما الآن وقد أصبح «كينجو» ممجداً بعد أن استلم الألوهة العظمى.

فإلى الآلهة أولاده حدد القدر.

فلتسكن النار الكلمات الخارجة من فمك.

وليكون لسُمِّك المتجمع القوة العظمى.

# اللوح الثانى

بعد أن أضحت «تعامة» مستعدة لتنفيذ ما عزمت عليه.

نظمت القتال ضد ذريتها من الآلهة.

أتمت كل شئ لتنتقم لـ «أبسو».

ولكن الأخبار وصلت إلى «إيا».

وحين تيقن من المسألة.

وبعد تفكير طويل، وبعد أن هدأ غضبه.

توجه بعدها إلى «إنشار» والده.

وحين دخل على والده الذى أنجبه.

أخبره بمؤامرة تعامة قائلاً:

«يا أبتِ، إن « تعامة» التى أنجبتنا تكرهنا.

وقد عقدت اجتماعاً وهى فى ثورة غضبها.

فاستقطبت الآلهة كلهم.

حتى إن الذين خلقتهم أنت اصطفوا إلى جانبها.

لقد انطلقوا إلى جانب «تعامة»، جماعة واحدة.

ولا يفكرون إلا بالشر ليلاً نهاراً.

حضّروا للقتال وهم فى ثورة الغضب.

عقدوا اجتماعاً واستعدوا للحرب.

لقد صنعت أم «هوبور» التى خلقت كل شكل:

أسلحة لا تقاوم، وأفاعى لا تقاوم.

ذات أنياب حادة وأفكاك لا ترحم.

فملأت أجسامها بالسم بدل الدماء.

أتت بتنانين ضارية، تبعث الرعب.

وأظهرتهم فى كل بهاء كأنهم آلهة.

يموت ذعراً من يراهم.

وحين يثبون لا يتراجعون.

لقد أثارت التنين والغول المتوحش.

والأسود الضخمة والكلاب المسعودة والرجل العقرب.

وشياطين الزوابع والإنسان السمكة والبقر الوحشى.

إنهم حملة سلاح لا ترحم ولا تعرف الخوف فى القتال.

إن إرادتها لا تقاوم.

وبجانب ذلك خلقت أحد عشر غولاً لتحل محل «أبسو».

ومن بين الآلهة أبكارها الأوائل الذين يؤلفون فرقتها.

أختارت «كينجو» الذى جعلته أعظمهم.

وجعلته هو قائد هذا الجيش.

ليشهر السلاح ويعلن الهجوم.

وهو الذى سيوزع الغنائم.

لقد وضعت كل شئ في يديه وأجلسته على العرش قائلة:

لقد أطلقت من أجلك الرقية وجعلتك رئيساً لمجمع الآلهة.

وملأت يدك بالسيادة على الآلهة كلهم.

فكن إذن، الأعظم وكن زوجى الوحيد.

وليشيدوا باسمك أكثر من كل «الأنوناكى».

ثم أعطته لوحة الأقدار وأناطتها بصدره قائلة:

لتكن الأوامر التى تصدرها لا تُرد وليكن ما تقوله ثابتاً.

وبعد أن جرى تنصيب «كينجو» وتسليمه السلطة العليا.

قاما بتقرير مصير الآلهة.

سيكون لكلمتك قوة الإخضاع.

وستذل «كلمتك» الأسلحة القاهرة.

فلما سمع «إنشار» ذلك وعرف بثورة «تعامة».

ضرب فخذه وعض على شفتيه.

كان حزنه عظيماً واضطرابه بالغاً.

كتم حزنه وضطرابه.

وقال لـ «إيا»:

إنك أنت الذى ستكون خصمها فى القتال.

فتحمل أنت تصرفاتها.

وها أنت قيدت «مومو» بالسلاسل وقتلت «ابسو».

**فمن سواك سيتصدى لـ «تعامة» فى هيجانها.**

**وراح «إيا» يتحدث قائلاً:**

**ها أنت ذا القلب الذى لا يُسبر غوره، أنت الذى تحدد الأقدار.**

**أنت الموكل بالخلق والهدم.**

**أنت يا «إنشار» يا ذا القلب الذى لايسبر، يا من يحدد الأقدار.**

**وبتنفيذ ما تقول... ما نرغب فيه نحن.**

يوجد جزء من النـص مشوه، ولكن السياق العـام للنص يدل على أن «إيا» قد فشل فى محاولتـه التصدى لتعامة، أو أنه قد رفض التصـدى لتعامة من الأساس، ومن ثم راح «إنتشـار» يبحث بين الآلهـة عمن يمكنه الوقـوف أمام «تعامـة»، فوقع إختياره على «آنو».

**قال(إنشار) لابنه «آنو»:**

**يا أول أبنائى أيها البطل الرائع.**

**يا ذا القدرة الفائقة، والانقضاض الجرئ.**

**امض أنت وواجه «تعامة».**

**وإذا لم تُصغ لكلماتك.**

**توسل إليها باسمنا كيما تهدأ.**

**وعندما سمع «آنو» كلام أبيه «إنتشار».**

**اتجه صوب «تعامة».**

**اتجه إليها بعد أن أدرك مخططها.**

**أدرك عجزه عن مجابهتها فعاد من حيث أتى.**

مضى فى رعب إلى أبيه «إنشار».

وقال له:

«يا أبتِ لم أعد قادراً. لقد كانت أقوى منى.

.... ووضعت يدها على».

لاذ «إنشار» بالصمت وطرق برأسه إلى الأرض.

لقد توجع وراح يهز رأسه وهو يتطلع إلى «إيا».

تجمع «الأيجيجى» كلهم و«الأنوناكى».

وقد أطبقوا على شفاهم ثم جلسوا وهم يلوذون بالصمت.

فما من إله يمضى لقتالها.

ويأمن العودة سالماً من قتالها.

ثم نهض «إنشار» أبو الآلهة بعظمة وجلال.

يفضى بما تجيش به نفس للأنوناكي:

«إن من سينتقم لنا هو صاحب العزم المتين.

الجرئ فى ساحة الوغى، إنه «مردوخ» الشجاع».

عندها طلب «إيا» مردوخ سراً.

وأسر إليه بما يجيش به قلبه:

«يا مردوخ اسمع النصيحة:

أنت يا بنى، يا من يريح قلب أبيه.

تقدم من «إنشار» فى وضع القتال.

تكلم وانتصب فإذا رآك سيهدأ».

سر مردوخ لكلمات أبيه.

وعندما تقدم وانتصب أمام «إنشار».

وإذ رآه «إنشار» أفعم قلبه اطمئناناً.

فقبل شفتيه وطرد مخاوفه قائلاً:

«يا أبتِ لا تكن صامتاً افتح فمك.

فسوف أحقق لك كل ما تتمناه.

كف يا «إنشار» عن الصمت وافتح فمك.

فسوف أحقق لك كل ما تتمناه.

كف يا «إنشار» عن الصمت وافتح فمك.

أي الرجال قد أشهر سلاحه ضدك.

أم تراها «تعامة»، وهى أنثى، قد فعلت ذلك؟

يا أبت أيها الإله الخالق اطمئن وكن فرحاً.

فقريباً ستطأ أنت رقبة «تعامة».

إنشار يا خالقى اطمئن وكن فرحاً».

(فقال إنشار): «هيا امضِ يابنى فأنت المسلم بكل علم.

أسكت «تعامة» برقيتك المقدسة.

وتقدم بعربة من الزوابع.

فإن أنت وجدتها صامدة تراجع».

بدا السيد «مردوخ» سعيداً لهذه الكلمات.

وقد فرح قلبه، فقال لأبيه:

«إذا كان ينبغى لى أنا أن أنقذكم.

وإن كان علىّ أنا، أن أقيد «تعامة» بالسلاسل وأحفظ حياتكم.

فاعقد مجلساً وأعلن فيه قدرى.

وحين ينعقد المجلس، اجلسوا جميعاً فرحين.

وليكن بأمرى أنا بدلاً منك تحديد الأقدار.

وأن كل ما أخلقه سيصبح لا تغيير فيه ولا تحويل.

ولا مرفوضاً وكل أمر أنطق به لا يتبدل.

# اللوح الثالث

تكلم «إنشار».

موجهاً كلامه إلى «كاكا» رسوله:

«كاكا يا رسولى يا من يريح قلبى.

سأرسلك إلى «لحمو» و«لحامو».

لأنك ماهر فى التمييز فصيح الحديث.

ادع آبائى الآلهة للحضور إلى.

وليأت معهم جميع الآلهة.

فيجلس الجميع إلى مأدبتى ونتحدث.

سنأكل خبزاً ونشرب خمراً.

وإلى «مردوخ» المنتقم فليسلموا مقاديرهم.

وردد على مسامعهم ما أقوله لك:

إن إنشار ابنكم هو الذى أرسلنى.

وكلفنى بأن أعرض عليكم رسالته السرية:

فتعامة التى أنجبتنا تكرهنا.

وفى شدة غضبها ألفت عصبة.

لقد انحاز إليها كل الآلهة.

حتى من خلقتموهم أنتم، انضموا إليها.

وهم فى غضبهم لا يفكرون إلا بالشر ليل نهار.

تحضروا للقتال فى سخط وهياج.

وعقدوا اجتماعاً استعداداً للحرب.

لقد صنعت أم «هوبور» خالقة الأشياء جميعاً.

أسلحة لا تقاوم وأفاع عملاقة.

ذات أنياب حادة وأفكاك لا ترحم.

ملأت أجسادها بالسم بدلاً من الدم.

وألبست بما يُرهب الأغوال الهائجة.

وحمَّلتها بالبهاء وكأنها آلهة.

وجعلت من يراها يغشى عليه من الخوف.

وعندما ينقضون لا يتراجعون.

لقد خلقت الثعبان ذا السبعة رؤوس والغول المتوحشة.

والأسود الضخمة الكلاب المسعورة والرجل العقرب.

وشياطين الزوابع الشرسة والرجل السمكة والبقر الوحشى.

وهم حملة سلاح لا يرحم ولا يرهبون القتال.

لأن إرادتها عظيمة لا تقاوم.

كما خلقت إحدى عشرة غولاً لتحل محل «أبسو».

ومن بين الآلهة الذى يؤلفون عصبتها.

اختارت «كينجو» وجعلته أعظمهم،

وأوكلت إليه إدارة المعركة.

وحمل السلاح استعداداً للهجوم.

وليكون موزع الغنائم في أرض القتال.

وضعت كل شئ فى يده وأجلسته على العرش قائلة:

لقد أطلقت من أجلك الرقية وجعلتك سيد مجمع الآلهة.

ووهبت لك السلطة على جميع الآلهة.

فكن إذن الأعظم بينهم وكن زوجى الوحيد.

وليمجدوا اسمك أكثر من جميع «الأنوناكى».

ولم تلبث أن اسلمته «لوحة الأقدار» وعلقتها على صدره قائلة:

لتكن أوامرك حازمة، وقولك ثابتاً.

وبعد أن تمجد «كينجو» ونال الألوهية العظمى.

حدد قدر الآلهة.

سيكون لكلمته قوة الإخضاع.

وسيتجمع سُمه فيلغ القوة العليا.

لقد أرسلت «آنو» ضدها غير أنه لم يتمكن من مواجهتها.

وكذلك خاف «نوديمو» وتقهقر.

أما «مردوخ» فإنه يبتغى المضى إليها، إنه ابنكم، أحكم الآلهة.

لقد قرر فجأة مواجهة تعامة.

وقد قال لى:

إذا كان على أن اخذ بثأركم.

وإذا كان على أن أقيد «تعامة» وأنقذ حياتكم.

اعقد اجتماعاً وأعلنوا سلفاً قدرى.

حين ينعقد الاجتماع اجلسوا جميعاً فرحين.

وليكن بأمرى بدلاً من أمركم أن أتولى تحديد القدر.

ولا شئ مما سأخلفه يمكن تغييره.

وألا يرفض أو يحوِّر أى أمر يخرج من بين شفتى.

فتعالوا إلى هنا مسرعين وحددوا له دون تأخير قدركم.

كيما يمضى ويواجه عدوكم الرهيب.

وقد امتثل «كاكا» لذلك وسلك فوراً طريقه.

وأمام جديه «لحمو» و«لحامو» مثل وقال لهم:

إن «إنشار» ابنكم هو الذى أرسلنى.

أنا الذى كلفه بأن يعرض عليكم رسالته المقدسة.

يتكرر بعد ذلك المقطع السابق الذى يصف اجتماعات تعامة واستعدادها للحرب والمخلوقات الغريبة المتوحشة التى خلقتها.

فلما سمع «لحمو» و«لحامو» ذلك، صرخا بصوت عال.

ومعهم كل الأيجيجى بكوا بحرقة:

ماذا جد من أمور حتى تأخذ «تعامة» بحقنا هذا القرار؟

نحن لم نكن ندرى ماذا فعلت.

فهرعوا صوب «إنشار».

كل الآلهة التى تحدد الأقدار.

مثلوا حيال «إنشار» وقد أفعموا فرحاً.

تعانقوا وجلسوا في المجمع وتكلموا وجلسوا حول المائدة.

أكلوا الخبز، وشربوا الخمر.

فزال الهم عن قلوبهم.

وعندئذٍ حدّدوا الأقدار لمردوخ.

# اللوح الرابع

أقاموا لمردوخ منصة عرش ربانية.

وحيال آبائه أخذ مكانه ليلتقى السلطة الربانية:

«أنت الأهم بين الآلهة الكبار.

ليس لقدرتك مثيل وأمرك كأمر «آنو».

يا مردوخ، ها أنت ذا الأعظم من بين الالهة.

لايقارن قدرك وأمرك كأمر «آنو».

ليكن أمرك ثابتاً منذ اليوم.

فالارتقاء والانخفاض طوع يدك.

وليكن كلامك ثابتاً وأمرك لا يقاوم.

ومن بين الآلهة ليس ثمة أحد يتجاوز حدودك.

والآن فقد بدت صيانة مذابح الآلهة ضرورية.

فليكن لك مكان مخصص حيث يوجد لهم هيكل.

فيا مردوخ أنت الذى ستصبح مخلصاً.

وإننا نمنحك الملكية على كل العالم.

فخذ مكانك فى المجمع ولتكن أقوالك هى السائدة.

بحيث لاينجو أحد من أسلحتك التى تُفنى أعداءك.

فيا سيدنا أنقذ حياة من يثق بك.

أما الإله الذى يفكر بالشر فشتت حياته.

ومن الحين الذى تظهر فيه بروجهم.

أنت يا «مردوخ» بكرهم سيقولون لك:

ليكن قدرك يا سيد بين الآلهة.

كلمتك تدمر وتخلق لامرد لها.

ستستجيب البروج لأمرك فتهدم.

وتعود سليمة مرة أخرى بكلمتك.

أمر مردوخ، بدمار البروج.

وعند سماع صوته دُمرت البروج.

ولما أعطى الأمر المعاكس عادت البروج سليمة من جديد[1].

ولما وقف الآلهة على مفعول كلمته.

ابتهجوا وحيوه بهذه الكلمات: «نعم إن مردوخ ملك».

وأسلموه عصا الملك والتاج والشعار الملكى.

كما أسلموه سلاحاً لا مثيل له يقضى على الأعداء.

وقالوا له: امضِ وضع حداً لحياة «تعامة».

ولتأخذ الرياح دمها إلى أماكن مجهولة.

وبعد أن حدد الالهة آباؤه قدره.

دبروا له طريق الكمال والطاعة.

---

(1) فى ترجمة أخرى، قام الآلهة بوضع ثوب فى وسطهم وقالوا لمردوخ: أن الثوب سيفنى بكلمته ويعود مرة أخرى بكلمته، فأمر بفناء الثوب، ففنى، ثم أمر به فعاد مرة ثانية. انظر - مغامرة العقل الأولى لفراس السواح - ص 71.

فصنع قوساً بنفسه واعتبره سلاحه.

ركّز عليه السهم وتأكد من الوتر.

وعندئذٍ رفع بيده اليمنى المطرقة الإلهية.

وعلّق إلى جانبه القوس والجعبة.

ووضع أمامه البرق.

وقد ملأه بلهيب حار.

كما صنع شبكة يوقع بها «تعامة».

وصرف الريح تمسك بأطرافها لتحتوى «تعامة».

ريح الجنوب، وريح الشمال، وريح الشرق، وريح الغرب.

وإلى جانبه جمع الشبكة هبة أبيه «آنو».

وخلق الريح المؤذية والإعصار والزويعة.

والريح الرباعية، والريح السباعية، والريح المدمرة التى ليس لهامثيل.

محرراً هذه الرياح التى خلقتها (تعامة).

فانطلقت خلفه ابتغاء تشويش صدر «تعامة».

وأقام السيد الطوفان سلاحه القوى.

وصعد إلى المركبة ليخيف شياطين الزوابع التى لا تقاوم.

وشد لجر المركبة طاقم من أربعة لا تقهر:

(هم) القاتل والحاقد والرافس برجله والعدّاء «فيلوس»[1].

---

(1) فى ترجمة أخرى: المدمر، والعتى، والساحق، والطيار.
انظر المصدر السابق ص 72.

وشفاهم مفتوحة وأسنانهم تحمل السم.

إنهم لا يعرفون التعب وهم مستعدون لسحق العدو.

وإلى يمينه خطّط ليكون قتال رهيب ومعركة[1].

وإلى يساره هجوم يصرع كل المتحالفين.

أما هو فقد لبس الدرع الذى يوحى بالذعر.

ووضع على رأسه البهاء الذى يتلألأ رعباً.

وأخذ طريقه لا يثنيه شئ.

متجهاً صوب تعامة الهائجة.

وكانت بين شفتيه الصيغة السحرية.

وهو يعصر بيده النبتة التى تبطل مفعول السم.

وكان الآلهة يحفونه.

كما كان حوله الآلهة آباؤه راكضين.

وحين اقترب اتجه صوب جوف «تعامة».

متطلعاً إلى المخطط الذى وضعه من أجل زوجها «كينجو».

بيد أنه ما أن دنا منها حتى اضطربت مشيته.

وضعف فكره وأضحت حركاته غير متزنة.

وإذا أبصره الآلهة وهم حلفاؤه وأعوانه.

---

(1) فى ترجمة أخرى جاء هذا البيت والذى يليه كالتالى:

وضع عن يمينه الباطش المجلى فى النزال

وعن يساره الفاتك الذى يؤجج الحماس.

قارن المصدر السابق – ص 72.

أبصروا بطلهم ورئيسهم فاضطربت على هذا النحو رؤيتهم.

وعندئذ أطلقت «تعامة» الصيغة السحرية دون أن تثير رقيتها.

ومن شفتيها كمخلوق بدائي أطلقت الأراجيف:

«من أنت حتى تكسب جمع الآلهة[1].

فهبطوا إلى منزلتك وساروا معك».

فرفع «مردوخ» سلاحه الرهيب فيضان المطر.

ورد على تعامة قائلاً:

«لماذا تتظاهرين بالعواطف الطيبة.

بينما قلبك لا يفكر إلا بالهجوم.

ومن أجل ذلك أثرتي الشحناء بين الآباء والأبناء.

أنت نفسك أمهم تكرهين الشفقة.

لقد أضفيت على «كينجو» لقب الشرف كيما يكون زوجك.

ومنحته دون حق سلطة الإله الأعظم.

ولم تضمري إلا الشر لإنشار ملك الآلهة.

وحيال الآلهة أبائي برهنتِ على خبثك.

فلتستعد جيوشك ولتحيطك بأسلحتها.

هيا تقدمي ولنتصارع نحن الاثنان».

ما أن تناهى إلى سمع «تعامة» هذه الكلمات.

حتى أمست كالمجنونة فاقدة عقلها.

(1) هذا السطر والذى يليه غير موجدين بكتاب «سلسلة الأساطير السورية» لربنيه لابات وآخرون.

فأطلقت «تعامة» صراخاً قوياً مرعباً.

حتى اضطرب جسدها كله.

لقد تلت رقيتها ثم أرسلت صيغتها السحرية.

وشحذ الآلهة بدورهم أسلحتها.

هكذا تصدى لـ «تعامة» أحكم الآلهة «مردوخ»:

التحما فى صراع وقتال.

استخدم «مردوخ» شبكته واحتواها فى داخلها.

ثم أطلق عليها الريح الرديئة التى أمسكت بمؤخرتها.

وحين فتحت «تعامة» فمها لبتلاعه.

دفع فى فمها الريح الشيطانية حتى لا تقوى على إطباق شفتيها.

فملأت الرياح بعنف جسمها.

فانتفخ بطنها وفتحت فمها على سعته.

وعندئذٍ رشقها بسهم مزق به معدتها.

وشطر جوفها شطرين.

فلما تهاوت أمامه أجهز على حياتها.

ثم طرح جثتها أرضاً ووقف عليها.

وبعد أن قضى على تعامة.

تفرقت فرقة حرسها وتشتت جيشها .

واعترت الآلهة حلفاءها ومساعديها.

الرجفة فرقاً وأداروا ظهورهم.

مولين الأدبار خوفاً على حياتهم.

ولكن لاسبيل للنجاة، فهم محاطون من كل جانب.

حبسهم «مردوخ» وحطم أسلحتهم.

وقعوا فى شبكته واستقروا بالشرك.

حوصروا فى الزوايا التى امتلأت عويلا.

فصب عليهم جام غضبه وهم محبوسون.

أما الأحد عشر مخلوقاً الذين يرتدون لباس الرعب.

وهم معشر الشياطين الذين سائرين إلى يمينها.

فقد أوثقهم بالحبال وقيد أذرعهم.

ومع حدتهم على القتال وطأهم بقدميه.

أما «كينجو» الذى كان أعظمهم.

فقد قيده بالأغلال واعتبره بالنسبة إليه فى عداد الآلهة الأموات[1].

وانتزع من صدره لوحة الأقدار التى كان يحملها دون حق.

وختمها بخاتمه ثم علقها فى صدره.

وبعد أن قيد وأخضع كل الذين كانوا يبتغون دماره.

وسحق كالثور عدوه المتكبر.

---

(1) لفظة الأموات هنا لا تعنى الموت حقيقة، ولكن العيش بين الأموات، وفى ترجمة أخرى جاء هذا السطر كالتالى:

فقد كبله وأسلمه إلى إله الموت سجيناً.

بسط سلطان «إنشار» على أعدائه وعزز نصره.

وحقق آمال «نوديمود». إنه «مردوخ» الشجاع.

وشدد على الآلهة المقيدين قبضته.

وعاد من جديد إلى «تعامة» التى قيدها.

ورفس «مزدوخ» برجليه قاعدة «تعامة».

وبمطرقته التى لا ترحم شقّ جمجمتها.

وبدمها بعد أن قطع عروقها.

نقلتها ريح الشمال إلى أمكنة مجهولة.

وإذ رأى آباؤه ذلك، ابتهجوا وهللوا.

وقدموا له الهدايا والعطايا.

وكلفهم بمنع مياهها من التدفق.

ثم اتكأ «مردوخ» يتفحص جثتها المسجاة[1].

ليصنع من جسدها أشياء رائعة:

شقها نصفين فانفتحت كما الصدفة.

رفع نصفها الأول وشكل منه السماء سقفاً.

وضع تحته العوارض وأقام الحرس.

أمرهم بحراسة مائه فلا يتسرب.

لقد جاب السماوات وفتش مواقعها.

---

(1) هذا السطر والأسطر الخمسة التى تليه غير موجودين بكتاب «سلسلة الأساطير السورية».

سكن «نوديمود» ليحل محل «أبسو».

وقاس «مردوخ» أبعاد الأبسو.

وأسس معبداً عظيماً على صورته وهو الـ «إيشاراًّ»[1].

لقد كانت السماوات معبد «إيشاراًّ» العظيم الذى أبدعه.

خصص فيها لـ «آنو» و«إنليل» و«إيا» أماكنهم المقدسة[2].

---

(1) إيشاراًّ كانت تعنى مسكن الكل ثم أطلقت على معبد آشور وأحياناً على معبد آنو فى أوروك.

(2) مسكن آنو هو السماء، وإنليل سطح الأرض، باعتباره إله الهواء. وإيا الماء العذب، فى باطن الأرض.

# اللوح الخامس

لقد خلق «مردوخ» المحطات[1] للآلهة الكبار.

أوجد لكل، مثيله من النجوم.

حدد السنة وقسم المناخات.

ولكل من الأثنى عشر شهراً أوجد ثلاثة أبراج.

وبعد أن حدد بالأبراج أيام السنة.

خلق كوكب المشترى ليضع الحدود[2].

وعلى جانبيه خلق محطتى إنليل وإيا[3].

فتح بوابتين فى كلا الجانبين[4].

دعمهما بأقفال قوية على اليمين وعلى الشمال.

ووضع فى كبد «تعامة» المرتفعات السماوية.

وجعل «ننّار»[5] يشع، جوهرة الليل من أجل تحديد الأيام:

«أن اطلع كل شهر دون انقطاع مزيناً بتاج.

وفى أول الشهر عندما تشرق على كل البقاع.

---

(1) المحطات هنا تعنى النجوم.

(2) اعتقد البابليون أن كوكب المشترى يقع فى الوسط بين النطاق السماوى الشمالى العائد لإنليل والجنوبى العائد لإيا.

(3) القسم الشمالى والقسم الجنوبى من حزام المجرة.

(4) فتحة فى الشرق وفتحة فى الغرب وهما اللتان تمر منهما الشمس فى الشروق والغروب.

(5) ننار: اسم آخر لإله القمر سين.

**ستظهر بقرنين يعينان ستة أيام.**

**وفي اليوم السابع يكتمل نصف تاجك.**

**وفي المنتصف من كل شهر ستغدو بدراً فى كبد السماء.**

**وعندما تدرك الشمس فى قاعدة السماء.**

**انقص من ضوئك التام وابدأ بإنقاص تاجك كما اكتمل.**

**وفى فترة اختفائك ستسير فى درب مقارب لدرب الشمس[1].**

**وفى التاسع والعشرين، ستقف فى مقابل الشمس مرة أخرى.**

(يوجد بعد ذلك مقطع مشوه، ولكن يـفهم منه أن «مردوخ» بعد أن ثبت القمر «ننَّار» فى السماء وعهــد إليه بتنظيم الشهر، قام بتثبـيت الشمس «شمش» فى مكانها التى تحدد دورتها بسنة كاملة).

**بعد أن حدد لـ «شمش»[2] رصيد الأيام.**

**وعين حراس الليل والنهار.**

**جمع «مردوخ» لعاب «تعامة».**

**وصنع منه الثلج والجليد.**

**وكثّف الغيوم فروى منها الأرض.**

**أما بالنسبة إليه، فقد جدد واختار ليده.**

**أن تطلق الرياح وتمطر ويقع الصقيع.**

**ويتبخر الضباب وينتشر رضاب «تعامة».**

---

(1) الدرب الذى تسير عليه الشمس فى باطن الأرض ليلاً لتشرق من جديد.

(2) شمش هو إله الشمس.

وهيأ رأسها واضعاً فوقه جبلاً.

فتفجرت الينابيع وجرى منها الماء العذب.

وأجرى من عينيها نهرا دجلة والفرات.

أما منخراها فقد سدّهما وخصهما بالفيضانات.

وجمع على صدرها الجبال البعيدة.

فاتحاً فيها منافذ كي تجرى مياه الينابيع.

وعكف ذنبها وعقد الرباط أكثر.

ولكى يحتوى كتلة «أبسو» تحت قدميه.

استعمل ردفها لإخضاع السماوات.

جعل من نصف «تعامة» سقفاً وثبّت الأرض.

وأدخل إلى جوف «تعامة» الغبار.

ناشراً حولها شبكته ممعناً فى نشرها.

وإذ شيد السماوات والأرض...

رسخ بينهما الحدود.

وبعد أن أحكم شريعته وأرسى طقوسه.

أوجد المعابد وأسلمها لـ «إيا».

وجلب لوحة الأقدار التى أخذها من «كينجو».

وأعطاها هدية لـ «آنو».

لقد نشر شبكة القتال التي علقها.

كما قاد أمام آبائه الآلهة السجناء.

أما المخلوقات الأحد عشر التى صنعتهم «تعامة».

فقد حطم أسلحتهم وسجنهم عند قدميه.

جاعلاً منها تماثيل وضعها على باب «أبسو».

كيما تكون فى المستقبل علامة لا تُنسى.

وحين تراءى الآلهة ذلك، فرحت قلوبهم وسُرّت.

«لحمو» و«لحامو» وجميع آبائهما.

فعانقه «إنشار» وحياه علناً كملك.

كما أن «آنو» و«إنليل» و«إيا» كافئوه بالهدايا.

وصرخت أمه «دُمكيتا» فى وجهه فرحة.

وجعلت وجهه يشع عرفاناً بالجميل.

وإلى الإله «أوسمو» الذى حمل هداياه إلى مكان سرى.

نكفّل بأن يكون رسول «الأبسو» ومراقب المعابد.

«الأيجيجى» الذين اجتمعوا كلهم عنده سجدوا أمامه.

أما «الأنوناكى» فعلى علو قدرهم، قبلوا قدميه.

كما اجتمع الآلهة كافة ليعبدوه مطرقى الرأس قائلين: «هذا هو الملك».

لقد ارتدى الثياب الإلهية.

ومن الهالة الملكية ومن تاج السيادة القهّار.

رفع السلاح الإلهى قابضاً عليه بيمينه.

ممسكاً باليد اليسرى عصا السيادة.

وبعد ذلك يوجد عـدد من السطور المشوهة[1]، وهى تصف جلوس مـردوخ على العرش بكامل عدته، وعندما يبدأ النص بـالوضوح مرة أخرى، نجد أمه وأباه يتوجهان بالحديث إلى الآلهة).

**«إيا» و«دمكينا». . .**

**فتحا فمهما متحدثين إلى «الأيجيجى»، الآلهة الكبرى:**

**«كان مردوخ بالأمس ولدنا المحبوب.**

**أما اليوم فهو ملك عليكم، فنادوه باسمه.**

**ثم أعلنوا بصوت واحد:**

**«سيكون اسمه» لوجال - ديمير انكيا»[2]، فآمنوا به».**

**حين منحوا «مردوخ» الملكية.**

**رددوا عليه أمنيتهم بالسعادة واستمعوا إليه:**

**«كن أنت اليوم من يعنى بمعابدنا.**

**وكل ما ستقوله نعمله نحن».**

**عندئذٍ تكلم «مردوخ»،**

**وقال للآلهة هذه الكلمات:**

**«المسكن الذى تقيمون فيه فوق «الأبسو».**

**وبالمقابل «إيشارا»[3] التى بنيتها فوق رؤوسكم.**

**وفى الأسفل جعلت الأرض صلبة.**

---

(1) هذه الأسطر عددها من 11 إلى 16 سطر.

(2) تعبير سومرى يعنى «ملك آلهة السماء والأرض».

(3) إيشارا تعنى السماء.

إنى راغب فى تشييد مسكن يكون مقراً لسعادتى.

أريد أن أشيد فى الداخل مكاناً للعبادة.

أخصص فيه حجرتى المقدسة أثبت فيها سلطانى.

وإذ تأتون من «الأبسو» فإنكم تصعدون إلى المجلس.

ليكن لكم هناك مستراح من أجل استقبالكم جميعاً.

وإذا تأتون من السماء فإنكم تنحدرون إلى المجلس.

فليكن لكم هناك مستراح من أجل إستقبالكم جميعاً.

وسوف أعطيه اسم «بابل» حى الآلهة العظام.

أما نحن فى الداخل فسوف نعمل.

وعند سماع الآلهة آباؤه هذه الكلمات.

أجابوا «مردوخ» ابنهم: «ليكن هكذا»

ولكل ما صنعت يداك.

من له القدرة أوفر من قدرتك أنت.

على هذه الأرض التى صنعتها يداك.

من له القدرة أقوى من قدرتك.

وبابل التى أعطيتها أنت الاسم.

وجعلتها مستراحاً ومقراً لنا إلى الأبد.

(ولتخلق لنا)[1] من سيقدم لنا طعام يومنا.

---

(1) ما بين القوسين إضافة من عندى حتى يستقيم النص، فمن الواضح أن الكلام هنا عمن سيخلقهم مردوخ من البشر.

(هناك تلف فى بعض الأبيات الأخيرة من هذا اللوح).

(. . . . . . . . . . .)

هناك. . . بعملهم (. . . . .).

ابتهج «مردوخ» لما سمع.

أجاب سؤال الآلهة.

أشرق وجه قاتل «تعامة».

وفتح فمه لحديث مقدس:

(. . . . . . . . . . . . . . .)

(. . . . . .) سيوكل إليكم.

فركع الآلهة أمامه وقالوا،

قالوا للإله «لو جال - ديميرانيكا»:

«فيما مضى كان السيد ولداً محبوباً.

أما اليوم فإنه ملكنا، فنادوه اسمه.

لقد أعطتنا تميمته المقدسة الحياة.

إنه رب الصولجان المقدس.

فليقم «إيا» المتمرس بكل حرفة ومهارة.

سيضع المخططات، وسنقوم نحن بالتنفيذ.

# اللوح السادس

حين سمع «مردوخ» نداء الآلهة.

عزم على القيام بعمل جميل.

وتحدث عن ذلك إلى «إيا».

معلنا له عما جاش فى نفسه:

«ساضع شبكة من دم وهيكلاً عن عظام.

وأقيم مخلوقاً بشرياً وليكن اسمه الإنسان.

سأخلق هذا المخلوق البشرى، هذا الإنسان.

حتى إذا ما كُلِّف بخدمة الآلهة خلدوا إلى الراحة.

كما أريد أن أحسن تنظيم الآلهة.

بتقسيمهم إلى قسمين وهم جميعهم فى جلال».

فتوجه إليه «إيا» بكلمة.

مقدماً رأيه فى هذا الموضوع:

«ليسلم واحد من بين الآلهة.

وليهلك وحدَه من أجل نشوء البشرية.

فليجتمع إذن الآلهة الكبار.

وليقدم المذنب حتى يبقى الآخرون خالدين».

جمع «مردوخ» الآلهة الكبار.

وعاملهم معاملة حسنة وأصدر إليهم تعليماته.

أصغى الآلهة بكل احترام إلى أوامره.

فتوجه الملك إلى «الأنوناكى» بهذه الكلمات:

«لقد صدقت معكم ما وعدتكم به[1].

فتكلموا معى بكل مافى الكلمات من صراحة.

من الذى سبّب المعركة.

وأثار تعامة وسبب القتال.

فليسلم إلى من سبب المعركة.

فلسوف أحمّله عقوبته فتبقون فى سلام على هذا النحو».

أجاب «الأيجيجى»، الآلهة الكبار.

أجابوا سيدهم «مردوخ»، ملك السماء والأرض:

«إن «كينجو» سبب القتال.

لقد عمل على إثارة «تعامة» وحضّ على المعركة».

أوثقوه وثبتوه أمام «إيا».

ونفذوا فيه العقوبة: وفصدوا دمه[2].

وفى دمه خلق «إيا» الإنسان.

وحكم عليه بخدمة الآلهة وتحريرهم.

(1) يعنى قتل «تعامة».

(2) إن موت «كينجو» يحمل معنيين: فهو يمنح القسط الإلهى الموجود لدى كل إنسان، كما إنه يكون كبش المحرقة الذى يتحمل بمفرده عقوبة خلق النزاع بين الأخوة الآلهة وبذلك يكون خلق الموت إلى العالم.

انظر - سلسلة الأساطير السورية - ص 67 - هامش 1.

وبعد أن خلق «إيا» الحكيم البشرية.

حكم عليه بخدمة الآلهة.

إن عملاً كهذا لم يكن فى وسعنا استيعابه.

والذى نفذه وفقاً لخطط مردوخ المبدعة.

أما «مردوخ»، بصفته ملك الآلهة.

فقد وزع مجموعة «الأنوناكى» فى العالم، من الأعلى إلى الأسفل.

وخص «آنو» بهم، من أجل أن يحترموا أوامره.

واضعاً ثلاثمائة فى السموات بصفة حراس.

وبالطريقة نفسها ثبت نظام الأرض.

وأقام فى السموات والأرض ستمائة إله.

بعد أن نظم «مردوخ» مجمل النواميس.

وأعطى «الأنوناكى» فى السماء والأرض، كل حصته.

توجه «الأنوناكى» بالكلام.

توجهوا إلى «مردوخ» سيدهم قائلين:

«الآن يا سيد وقد وطدت تحريرنا.

بماذا نشير إلى عرفاننا بالجميل نحوك.

حسن فلنعمل ما يمكن أن نسميه مذبحاً.

ولتكن حجرتك المقدسة المكان الذى نأوى إليه فى الليل.

ونأخذ فيه راحتنا.

نعم لنبنِ مذبحاً يكون موطئ قدمنا على الأرض.

وفي اليوم الذى نصل إليه، سنجد فيه راحتنا».

حين سمع «مردوخ» هذه الكلمات.

تلألأت كالنهار تقاطيع وجهه:

«فلتكن بابل كما استهويتموها.

لنشرع بتجهيز الحجارة، ولندع بالهيكل».

عندئذ حرك «الأنوناكى» المعول.

فعجنوا الطوب فى السنة الأولى.

وحين حلت السنة الثانية.

رفعوا سقف «الإيزاجيل»[1] الموازى «الأبسو».

وبنوا برج «أبسو» العالى المتعدد الطبقات.

ومن أجل «آنو» و«إنليل» و«إيا» بنوا لهم على غراره مسكناً.

ثم جلس «مردوخ» أمامهم فى جلال.

ومن الأسفل شخصوا بأبصارهم لقرون البرج الرائعة[2].

وبعد أن حققوا بناء «الإيزاجيل» على هذا النحو.

أقام «الأنوناكى» جميعهم مذابحهم الخاصة.

اجتمعوا كلهم.

---

(1) معبد «مردوخ» ذو البرج العالى المدرج.

(2) قرون من المعدن توضع فى قمة أبراج المعابد، هى بقية من العبادات القمرية القديمة.

انظر - مغامرة العقل الأولى - ص 84 - هامش 1، 2.

أما السيد فى المذبح الأكبر الذى شيدوه لإقامته.

فقد أجلس إلى مائدته الآلهة أبناءه قائلاً لهم:

هذه هى بابل مركز إقامتكم.

فخذوا منها مسرتكم، واشفوا غليلكم بالفرح الذى يقدم إليكم.

أقام فيه عندئذٍ الآلهة الكبار.

وأعدوا أكواب الجعة وجلسوا حول المائدة.

وبعد أن أفعموا غبطة.

أقاموا فى «الإيزاجيل» الرهيب الابتهالات.

وخططوا للنواميس الثابتة كلها.

ثم تقاسم الآلهة كلهم، الأماكن فى السماء وعلى الأرض.

جلس الآلهة الكبار وعددهم خمسون.

ويتّ بالقرار آلهة الزقدار وعددهم سبعة.

فتناول السيد (مردوخ) القوس سلاحه ووضعه أمامهم.

كما رأى آباؤه الآلهة الشبكة التى سبق أن صنعها.

وعندما رأوا دقة صنع القوس.

مجّد آباؤه الأعمال الكبيرة التى أنجزها.

وفى مجمع الالهة رفع «آنو» القوس قائلاً:

بعد أن قبّله: «ليكن الابن».

ثم أخذ يعد أسماء القوس:

«العدد الطويل» ليكن اسمه الأول، والثانى: «ليبلغ الهدف».

والثالث: «الجمة القوس» وجعلها تسطع فى السماوات.

وقد ثبتها فى المجرات المقدسة رفيقاته.

وهكذا بعد أن حدد «آنو» أقدار القوس.

وضع عرشاً ملكياً أعلى من عروش الملوك.

وفى وسط مجمع الآلهة، أجلسه «آنو».

فأتى الآلهة للاجتماع.

ومجدوا بصورة دائمة قدر «مردوخ».

كما أطلقوا على أنفسهم لعنة[1].

فأقسموا بالماء والزيت ولمسوا الرقبة.

ومنحوه سلطة الملك على الآلهة.

كما ثبتوا له السيادة على آلهة السماوات والأرض.

وقد جعله «إنشار» سيد الجميع ومنحه اسم «أرزيلدو».

وعند ذكر هذا الاسم لنسجد جميعاً كما قال.

ولتصغ الآلهة باحترام إلى ما يقول.

وليكن أمره جارماً فى الأعالى وعلى الأرض.

وليمجد هذا الابن مخلصاً.

ولتكن سيادته الأقوى دون منازع.

وليمارس الرعاية على رعاياه ذوى «الرؤوس السود»[2].

---

(1) هذه اللعنة تصيب من يخل بالقسم حتى تؤدى إلى قطع رقبة المسئ.

(2) يعنى البشر.

وعلى تعاقب الأزمنة ودون نسيان ليعلنوا سيادته.

وليحدد هو لآبائه تقدمات كبرى منتظمة.

ولتقدم لهم حاجاتهم وليعتن بهذا بحهم.

وليعملوا على تصعيد البخور الذى ينتشر بفعل رقى الناس.

وليصنع على الأرض كما صُنع فى السماء.

وليفرض له احترام الرؤوس السود.

ولتستجير البشرية بإلهها.

وعليهم بأمره الإصغاء إلى آلهتهم.

ولتقدم لهم التقدمات النظامية ليكون إلههم وآلهتهم.

غير منسيين من قبلهم، وليحفظوا إلههم فى داخلهم.

وليعملوا على أن تطاع أماكنهم المقدسة وتُشاد مذابحهم.

وإذا ما انقسمت «الرؤوس السود» بالنسبة لآلهتهم.

فنحن وتحت كل الأسماء التى سميناه بها، ليكن هو إلهنا.

ولنسمِّ إذن أسماءه الخميسن[1]:

كما يتفجر مجد ذاته وتتفجر أعماله.

وهكذا كان «مردوخ» منذ ولادته كما أسماء والده «آنو».

لأنه يضمن المراعى والموارد وتكثر المزارب.

إنه هو بسلاحه قد قيد الطوفان بما لم يكن فى الإمكان تبديله.

(1) بداية من هذا الجزء وحتى أواخر اللوح السابع، سيبدأ النص فى عرض الأسماء والصفات التى أطلقها الآلهة على «مردوخ».

وأنقذ الآلهة آباءه وهم فى خطر جامح.

نعم يا ابن الشمس كما لقبه الآلهة:

فى ضوء لمعانه لا ينفكون عن السير.

أما البشر الذين خلقهم والذين مُنحو النَّفس.

فقد حكم عليهم بخدمة الآلهة حتى ينعم هؤلاء بالراحة.

وأن يكون فعل الخلق والهدم والعفو والقصاص.

بأمره، ويرنون إليه جميعهم.

بلى إن «ماروكا» هو الإله خالقهم.

الذى يُرخى قلب «الأنوناكى» ويطمئن «الأيجيجى».

وليكن «ماراتوكو» عوناً للبلاد والمدينة وسكانها.

وهكذا تستمر الشعوب فى تمجيده على مدى الأزمان.

إن «ميرشاكوش أو» فى غضب ورزانة فهو يغضب ويعفو.

قلبه كبير وروحه تعانق الكل.

و«لوجال - ديمير انكيا» هو الاسم الذي أطلقناه عليه ونحن فى المجلس.

لقد مجدنا أقواله بما يعلو على أقوال الآلهة آبائه.

نعم، إنه سيد آلهة السماء والأرض.

إنه الملك وحين يراه آلهة الأعالى والأرضيين يمتلئون رعباً.

و«لوجال - ديمير انكيا» هو الاسم الذى نطقنا به من أجله.

الذى يعنى بجميع الآلهة.

وهو الذى فى زمن الشدة، مكن لنا فى السماء والأرض.

وخصص «للأيجيجى» و«الأنوناكى»، محطات للراحة.

وهو الذى لذكره، يرتجف الآلهة في مساكنهم.

«أسار لوحى»، هو الاسم الذى دعاه به جده «آنو».

حقاً إنه هو نور الآلهة، وإنه الأمير الجليل.

هو الروح الحارس للآلهة والأرض.

فى صراع مهيب، انقذ ديارنا يوم الشدة.

و«أسار لوحى» أسميناه «نامتيلاكو»، الذي يحيى الموتى.

وهو الذى استرد الآلهة البائدة، وكأنما خلقهم من جديد.

الرب الذى بتعويذته المقدسة، قد بعث الآلهة الميتة.

القاهر فوق الخصوم الماكرين، فلنمجده.

و«أسار لوحى»، أسميناه، ثالثاً، «نامشوب».

الإله الوضاء، ينير لنا طريقنا.

وهكذا أعلن كل من «إنشار» و«لحمو» و«لحامو» ثلاثة من أسمائه.

ولأبنائهم الآلهة قالوا:

«لقد أعلن كل منا ثلاثة من أسمائه.

وكما فعلنا، فليفعل كلكم، ولتعلنوا اسماءه».

فابتهج الآلهة وصدعوا بما أمروا.

تشاوروا فى قاعة المجلس قائلين:

«الابن العلى الذى انتقم لنا.

سندنا وحافظنا، تعالوا نمجد اسمه».

ثم أخذوا مقاعدهم فى مجلسهم وأعلنوا الأقدار.

وراحوا يتضرعون فى جميع الطقوس إلى أسمائه.

# اللوح السابع

«أساروا»، واهب الأرض الخصبة، ومالئ عنابر القمح،

منبت الحبوب والبقول، ومحيى الأعشاب.

«أسار اليمنونا»، الجليل نور آبائه.

الذى يوجه قرارات «آنو» و«إنليل» و«إيا»،

وحده القائم بأودهم، الذى وقف لهم مساكنهم،

الذى أفاضت حربته صيداً وفيرا.

«توتو»، بطل خلاصهم ونجاتهم هو.

فليطهر هياكلهم ويتركهم ينعمون.

ويجعل لهم تعاويذ، تطمئن بها نفوسهم.

فإذا اضطربوا أنزل السكينة عليهم،

حقاً أنه المجد بين الآلهة.

لا يدانيه منهم أحد ولايقرن به.

و«توتو» هو «زيوكينا» به يحيا كل الآلهة،

الذى جعل لهم سماء وضاء.

مالك مصيرهم وسيد مسالكهم.

حى أبداً فى قلوب عباده، لاينسون نعمته عليهم.

و«توتو» هو ثالثاً «زيكو»، رب القداسة.

إله النسمة الخالقة، مجيب دعاء البشر،

هو الذى يعطيهم.

الذى حقق رغباتنا.

الذى تنسمنا أنفاسه أيام البلوى.

ليسبِّح الجميع بحمده.

«توتو»، ليعظم اسمك، وليكن رابعاً «أجاكو».

رب التميمة المقدسة، الذى بعث الموتى.

والذى رأف بالآلهة المقهورة.

أزاح عن أعدائه من الالهة، عبء العمل المفروض.

فخلق الإنسان لهم محرراً.

هو الرحيم الذى يهب الحياة.

كلماته باقية لا تُنسى.

عند البشر الذين خلقتهم يداه.

و«توتو» هو خامساً «توكو» الذى تردد الشفاه تميمته.

تميمته المقدسة التى اقتلعت الأشرار.

«شازو» المطلع على أفئدة الآلهة، وعالم الأسرار.

لا يهرب من بطشه الأشرار.

أسس مجمع الآلهة وأفرح قلوبهم.

وبسط عليهم حمايته وأخضع العصاة.

أقام المعدل ووضع حداً للغو الكلام.

ميز بين الخطأ والصواب.

«شارو»، الممجد ثانية تحت اسم «ريسى» الذى يعنى المهاجم.

هو الذى طرد من جسد الآلهة الخوف.

و«شارو» هو ثالثاً «سوحريم» الذى أباد جميع الأعداء.

وبعثر خططهم وجعلها هباءً منثوراً.

فلتتغن باسمه كل البلاد.

وشارو هو خامساً «زاحريم»، رب كل شئ.

الذى أباد الأعداء جميعاً، والذى يجزى بالخير ويجزى بالشر.

أعاد الالهة الآبقة إلى مساكنها.

فليبق اسمه على مر الأزمان.

وسادساً فليعبد «شارو» فى كل مكان على إنه «زاحجوريم».

قاهر الأعداء فى ساحة القتال.

«اينبيلولو»، واهب الخيرات.

هو الجليل الذى أعطى لكل اسمه.

نظم المراعى وموارد المياه.

فجر الأرض عيوناً، وأجرى الماء أنهاراً.

ليمجد ثانياً على إنه «ايبادون»، الذى يروى الحقول.

حاكم السماء والأرض، موزع الزرع والكلأ.

الذى نظم السدود والقنوات، ورسم خطوط المحراث.

وليمتدح ثالثاً على إنه «جوكال»، حاكم مزارع الآلهة.

رب الغلال الكثيرة والمحاصيل الكثيرة.

واهب الثروة الذى أغنى المساكن.

مانح الذرة، ومنبت الشعير.

و«اينبيلولو» هو «حيجال»،يتولى أمور المخازن.

هو الذى يمطر الخيرات على الأرض الواسعة ويكثر الخضرة.

«زيرسير»، الذى أقام جبلاً فوق تعامة.

والذى بسلاحه قد شق جسدها.

الساهر على البلاد الراعى لسكانها.

الذى فى شعره توجد الزراعة والحقل والأخدود[1].

الذى عبر البحر الغاضب بآبائه.

وكجسر مر إلى ساحة المعركة.

«زيرسير» ليكن اسمك ثانياً «ملخ».

البحر زورقه وهو الملاح.

«جيل»، الذى يكدس القمح أكواما.

خالق الذرة والشعير، واهب البذور للأرض.

«جيل - ما»، خالق الأشياء الباقية.

---

(1) هذا البيت موجود مكانه فراغ بكتاب فراس السواح - مغامرة العقل الأولى - ص 90، وموجود بسلسلة الأساطير السورية - ص 75.

يحفظ تماسك الآلهة، مصدر كل أمر حسن.

«اجيل - ما» الذى يرفع التاج ويراقب الخبثاء(1).

الذى سخر السحاب فوق المياه، ورفع السموات.

إنه «زلوم» الذ يخضع الحقول للآلهة الذين يحددون الانتاج(2).

ويعطى الحصص والتقدمات المنتظمة ويعتنى بالمعابد(3).

و«زلوم» هو ثانياً «مومو»، خالق السماء والأرض ومجرى السحاب.

الذى طهر السماء والأرض.

لا يدانيه فى قوته أحد بين الآلهة.

إنه «جيش - نومّو - ناب»، الذى خلق البشر وخلق جهات العالم الأربع.

دمر أتباع «تعامة»، وصنع من أجسادهم البشر.

إنه «لوجالا دبور»، الذي حطم صنيع تعامة ونزع سلاحها.

الذي شيد أساساته من الأمام والخلف بشكل دائم.

إنه «باجليونا»، له الصدارة فى كل البلاء، لا حد لقوته.

العلى بين إخوانه الآلهة، وسيدهم جميعاً.

إنه «لو جال - دورماخ» حلقة الوصل بين الآلهة، سيد الرباط الأعظم.

الذى مُجّد فى بيت الملك وهو الأكثر بهاءً كل الآلهة.

(1) ترجمة فراس السواح كالتالى:

«اغليما»، الذى مزق تاج [. . . .].

(2) ترجمة فراس السواح - كالتالى:

«زلوم»، الذى حدد [. . . .].

(3) ترجمة فراس السواح كالتالى:

مقسم الأرزاق، الذى يسهز على [. . . .].

إنه «آرا – نونّا» مستشار «إيا» خالف الآلهة آبائه.

الذى لا يساويه أى إله فى مقامه.

«دومو – دو – كو» الذى يتجدد تلقائياً بيته المقدس.

«دومو – دو – كو» الذى لا يقطع «إنليل» برأى دون مشورته.

«لوجال – لا – أنّا» الإله الذى قوته أعظم من قوة الآلهة جميعاً.

مالك الحكمة كلها، واسع الفهم عميقه.

«اير – كينجو» الذى سحق «كينجو» فى المعركة.

الذى نظم قيادة كل شئ ووطد السيادة.

«كين – ما» الذى يقود كل الآلهة ويسدى النصح.

لذكره يرتعش الآلهة فرقاً، ولاسمه قوة العاصفة.

«أى – سيكور» الذى يتبوأ مكاناً عالياً فى بيت العبادة.

وتقدم له الآلهة الهدايا.

ومنه فليأخذ كل مهامه وصلاحياته.

وبدونه لا يقدر أحد على الخلق المبدع.

سكان الأقاليم الأربع من صنع يديه،

ولا إله غيره يعرف يومهم الموعود.

و«جيبيل» الذى يحدد مصدر الأسلحة(1).

خلق فى صراعه مع تعامة الأشياء البديعة.

---

(1) ترجمة فراس السواح كالتالى.

«جيرو» بانى الـ [. . . .] للسلاح.

واسع الفهم، حكيم، ذكى.

قلب لا يسبر غوره وما فى مقدور أحد من الآلهة فهمه.

«آدو»، سيكون اسمه، يغطى مساحة السماء.

تمزق السحاب رعوده، وتعطى للناس الحياة.

«أشارو» الذى نظم آلهة الأقدار.

نعم، إنه هو الذى يُعنى بالبشرية كلها.

«نبيرو»، القيم على مسالك السموات والأرض.

فكل ضال عن طريقه، من أعلى ومن أسفل، يأتى عليه.

«فنيبرو» هو النجم الساطع فى السماء.

إنها تحتل المركز القطبى والنجوم كلها ترنوا إليه.

وهو الذى يقطع عرض البحر دون توقف.

اسمه «نيبرو» الذى يشغل مكان المركز.

ويحفظ مسار النجوم فى السماء.

ويرعى الآلهة كما ترعى الشياه.

ليقيد «تعامة» ويختصر حياتها لتصبح قصيرة.

وبما أنه خالق المكان، وصانع الأرض الراسخة.

فقد دعاه الأب «إنليل» بسيد الأرضين.

وكل تلك الأسماء التى أطلقها عليه آلهة «الايجيجى».

ما أن سمعها «إيا» حتى اعتراه فرح شديد.

ثم قال: «هو الذى عظم أسماء آباؤه.

سيكون نظيراً لى ويكون اسمه «إيا».

فيغدو قيماً على حقوقى جميعاً.

ولينظم أيضاً كل قراراتى.

وأخيراً بالاسم «خمسين» الآلهة العظام دعوه،

لأن اسماءه خمسون، فجعلوه العظيم.

وحتى تُحفظ فإن الأول يفصح عنها[1].

وليرددها الأب، ويعيد ذكرها ويعلمها الابن.

ولتكن معروفة لدى الراعى الصالح وصاحب الماشية.

كيلا تكون مهملة.

ولتكن بلاده مزدهرة وليكن هو نفسه سالماً.

وكلماته دائمة وأوامره ثابتة.

أما ما فاه به فمه فليس ثمة إله يقوى على تغييره.

وإن نظر غاضباً فلا يلوى رقبته.

وإن أثير فليس ثمة إله يقف فى وجه غضبه.

ليس فى الوسع سبر قلبه، فروحه واسعة.

والخاطئ ومدنس الأقداس مكروهان بنظره.

وهذا التجلى الذى يتحدثون عنه قبله.

---

(1) بداية من هذا السطر وحتى نهاية النص غير موجود بكتاب مغامرة العقل الأولى لفراس سواح. راجع سلسلة الأساطير السورية - ص 75 - 76.

فى واحد من كتبه حتى تتعلمه الأجيال القادمة.

عن البطل «مردوخ» الذى خلقه آلهة «الايجيجى».

فليعلن عن اسمه.

وليعلموا نشيد «مردوخ».

الذى قيد «تعامة» واستولى على الملك.

* * * *

# الفصل الثانى
# أسطورة «أنزو» و«ننورتا»

رغم أن الآلهة الكبار استطاعوا التغلب على آلهة العماء «أبسو وتعامة ورفاقهم»، إلا أن مؤامرات السيطرة والسيادة لم تنته، وفى ظل هذا الجو المضطرب كان يظهر الإله القوى الذى يستطيع أن يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح.

والطامح إلى السيطرة والسيادة فى هذه الأسطورة هو الطائر «أنزو» أو «زو» طائر العاصفة،وهو مخلوق مجنح له رأس أسد، والنصوص - التى سنعرض إليها حالاً - تصف إنزو بأنه رسول الإله «إنليل» الذى يقوم بتبليغ الأحكام إلى الآلهة، ولما كان أنزو يطمح أن يكون مثل «إنليل» فى سيطرته وسيادته، ولما كانت هذه السيادة تتأتى لإنليل لأنه يستحوذ على «لوحة الأقدار»، فقد انتهز «أنزو» أول فرصة للاستيلاء على تلك اللوحة، ومن ثم الإستيلاء على قدرة الإله «إنليل»، وبعد ذلك يتحصن «أنزو» بجبله الذى لا يمكن الارتقاء إليه، وبعد أن يفشل عدد من الآلهة فى الوصول إلى «أنزو» ينجح «ننورتا»[1] فى التغلب عليه وإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعى.

واسم «ننورتا» بالسومرية «سيد الأرض»، وقد تسرب إلى الديانة البابلية وحافظ على شكل اسمه السومرى. وهو ابن الإله «إنليل»، وننورتا هو المكلف بريح الجنوب، وإله العاصفة والحرب وفى نفس الوقت إله السدود والقنوات، ومن أوصافه: فلاح الآلهة، ويعرف أيضاً باسم «ننجرسو»[2].

ونعرض الأن لنصوص الأسطورة[3] التى تبدأ بتمهيد يُمجَد فيه الإله نورتا»:

(1) ذكر الأستاذ/ فراس السواح أن احد النصوص يصف مردوخ بانه هو من حطم رأس «أنزو».

(2) انظر - كريمر - طقوس الجنس المقدس، والأساطير السومرية.

(3) انظر: رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية. وفراس السواح، مغامرة العقل الأولى. وانظر كذلك:

- A. Heidel, The Babylonian Genesis.
- Speiser. Akkadian myths (in Ancient Near Easter Texts).

# اللوح الأول

إنه هو ابن ملك الكون المجيد وحبيب «مامى».

القوى الذى سأنشده، بكر «إنليل».

إنه «ننورتا» المجيد حبيب «مامى».

بكر «إنليل» القوى الذى سأعظمه.

إنه من ذرية «الأيكور»[1] الأول بين ستمائة إله وسند «اينونو»[2].

حامى السياج الساهر على البيت والشارع والمدينة.

الخبير فى الحرب الذى يهز وشاحه الثمين.

المنتصر على أعدائه، المرعب هجومه.

إنى أريد أن أبيح بقدرته الفائقة.

إنه هو الذى أسر بقدرته «البيريد».

والذى تغلب بسلاحه على «أنزو» المجنح.

والذى أخضع البقر الوحشى فى وسط البحر.

وبسلاحه اصطاد. . . .

الذى حيثما كان فى العالم يجرُّ إلى المعركة والقتال.

وبفضله أقيمت عروش الآلهة.

إنه هو الذى سمى «القوى» بين «الأيجيجى».

---

(1) الأيكور: معبد الإله «إنليل» فى نيبور، وكان أكبر حرم فى سومر، ومعناه الحرفى «بيت الجبل».

(2) اينونو: حرم في اريدو.

يوجد نحـو أربعين سطراً مفـقودة، وحين ينتظم النص نجـد أن الإله «إنليل» قد وزع على الآلهة كل القدرات الإلهية:

بالنسبة لجميع الآلهة فقد وزع عليهم الأحكام.

وكان رسوله فى هذا هو «أنزو».

وبعد أن أنهى «أنزو» مهمته، نال ثقة «إنليل».

واستحم «إنليل» أمامه فى المياه المقدسة.

وكان «أنزو» يعلم كيف نفذ «إنليل» قدرته.

(فقدرته تكمن فى) تاج سيادته ومعطف ألوهيته.

ولوحة الأقدار هى رمز ألوهيته.

فكان «أنزو» يرنو إليها باستمرار.

وبرؤيته «إنليل» دوماً على هذا الشكل.

استحوذ على قلبه أن يسلب «إنليل» هذا السلطان.

نعم، أنا أريد الاستيلاء على لوحة الأقدار الإلهية.

وأجمع بين يدى أقدار جميع الآلهة.

وعلىّ أن أقيم عرشى وأعلّم الوظائف الإلهية.

وأن أتحكم بمجموعة الـ «أيجيجى».

وبينما يرنو قلبه إلى هذا الهدف.

كان ينتظر بزوغ الفجر على مدخل المكان المقدس.

وعندما كان «إنليل» يستحم فى المياه المقدسة.

عارى الرأس إذ وضع تاجه على العرش.

أمسك «أنزو» بيده لوحة أقدار.

فاستولى على قدرة «إنليل» فضعضعت الوظائف الإلهية.

ولما كان «أنزو» قد طار وذهب إلى جبَلِه.

فقد عمّ الرعب وساد الصمت.

ران الصمت على «إنليل» فسجد «إنليل» الأب ومستشار الآلهة.

ومن بهائه سقط تاج المكان المقدس.

وتلقفت الآلهة تلك الأخبار الجديدة.

وعندئذ فتح «آنو» فمه وقال.

قال للآلهة أبنائه:

«من منكم يرغب فى قتل «أنزو».

فيجعل اسمه ممجداً فى المسكونة».

صرخت الآلهة: إنه «حافظ السد»[1] الكبير ابن «آنو».

و«آنو» الإله الذى يعطى الأوامر توجه بالكلام إلى هذا الأخير:

«حدد» أيها المنتصر الجليل، ليكن انقضاضك حاسماً.

وبسلاحك اقتل «أنزو».

فيغدو اسمك عالياً فى مجمع الآلهة العظام.

ولا نظير لك بين أخوتك الآلهة.

وستبنى لك المعابد.

(1) يقصدون الإله «حدد».

**وفى جهات الأرض الأربعة ستقام هياكل لعبادتك.**

**وستبنى هذه الهياكل حتى فى ايكور.**

**فتكون جليلاً فى حضرة الآلهة ويعلو اسمك».**

**فأجاب «حدد» موجهاً حديثه إلى «آنو» أبيه:**

**«يا أبتِ، من يستطيع الاقتراب من تلك الجبال الرهيبة؟**

**وهل بين الالهة أبنائك شبيه لأنزو؟**

**لقد أمسك بيديه لوحة الأقدار.**

**واغتصب سلطان (إنليل) وملكه وسيادته.**

**وحلّق بعيداً واختبأ فى جبله.**

**فكلمته اليوم نافذة ككلمة رب «الدورناكى».**

**من يعترضه يتحول إلى تراب.**

**ورؤيته تثير فى الآلهة الرهبة».**

**وهنا طلب منه «آنو» أن لا يذهب.**

يوجد بعد ذلك تشوه فى اللوح، إلا أن مضمونه غير خفى «فآنو» ومعه مجمع الآلهة يرشحون إلهاً جديداً، إلا أنه يرفض القيام بالمهمة، ولا يظهر من اسم هذا الإله إلا المقطع «جى»، لذا يرى البعض إنه «جيبيل»، والبعض الأخر يراه «ايجيجى» المستشار، وهى صفة من صفات «شارا»، لكن الأرجح إنه كان «جيبيل» لأن النص عندما ينتظم نجد أن مجمع الآلهة - ومعهم آنو - يرشحون «شارا» للقيام بالمهمة، ولا يعقل أن يكون ترشيحه قد تم مرتين[1].

(1) فارن رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية - ص 95.

فدعوا إليه «شارا» ابن «عشتار».

فقال له «آنو»:

«شارا، أيها المحارب، لا ترفض النزال.

اقتل «أنزو» بسلاحك.

فيغدو اسمك عالياً بين الآلهة العظام.

وستبنى لك المعابد.

وفى جهات الأرض الأربعة ستقام هياكل لعبادتك.

وستبنى هذه الهياكل حتى فى «أيكور».

فتكون جليلاً فى حضرة الآلهة ويعلو اسمك».

فأجاب «شارا» متحدثاً إلى أبيه «آنو»؟

«يا أبتِ» من يستطيع الاقتراب من تلك الجبال الرهيبة؟

وهل بين الآلهة أبنائك شبيه «لأنزو»؟

لقد أمسك بيديه لوحة الأقدار.

واغتصب سلطان (إنليل) وملكه وسيادته.

وحلّق بعيداً واختبأ فى جبله.

فكلمته اليوم نافذة ككلمة رب «الدورناكى».

من يعترضه يتحول إلى تراب.

وَرؤيته تثير فى الآلهة الرهبة».

وهنا طلب منه «آنو» ألاّ يذهب.

وبعد أن هدأ روع آلهة «الأيجيجى» عقدوا اجتماعاً.

وكانوا فى غاية الاضطراب.

أتوا لـ «أنو» بالإله «إيا» الساكن فى اللجة.

فأبدى لأبيه رأيه:

«يا أبتِ، سآتى بالإله الذى يقبل القتال.

وأحدد أمام المجمع من سيأسر «أنزو».

لما سمع «الأيجيجى» منه هذا الكلام.

قبّلوا قدميه وهم يرتجفون.

وعندئذٍ فتح «إيا» فمه وقال:

موجهاً كلامه إلى «آنو» و«ماه».

معلناً فى الجلسة سيادة «ماه» سيدة جميع الصيغ.

«استدع القوى المجيد حبيبك.

ذا الصدر العريض الذى يقود الآلهة السبعة إلى القتال.

وإذا سمعت «ماه» منه هذا الكلام، قالت السيدة العظيمة: نعم.

ففرح آلهة البلاد.

وقبّلوا قدميها وهم يرتجفون.

وعندئذٍ نادت من مجمع الالهة.

وأتت بابنها حبيب قلبها «ننورتا» وقالت له:

# اللوح الثانى

«ضع حداً لشقائهم.

وفجر ضياءك من أجل الآلهة الذين خلقتهم.

واضرم قتالك بكامله.

ولتعصف فيه زوابعك السبع.

ومهما كان مجنحاً فخذ «أنزو» أسيراً.

واجعل السلام فى الأرض التى خلقتها خرُب منزله.

ولينهال عليه الرعب.

ولترتعد فرائصه عند مواجهته قتالك.

اطلق فى وجهه الزوبعة كاملة.

وشد وتر قوسك ولتحمل السم سهامك.

ولينقلب وجهك الجميل إلى وجه شيطان.

انشر الضباب حتى لا يميز شكلك.

واطلق خيوط إشعاعاتك نحوه.

ولتتوقف الشمس فى الأعالى عن الإشعاع.

وبالنسبة لـ «إنزو» فلينقلب ضياء النهار إلى ظلام.

إنه حياته وأسره.

ولتحمل الرياح جناحيه إلى أماكن سرية.

باتجاه «الأيكور» عند أبيك «إنليل».

اطوى الجبال والسهول،

واسرع فى حز رقبة اللعين «أنزو».

حتى تعود الملكية إلى «الأيكور».

فتعود وظائف الألهة إلى الأب الذى خلقك.

وتعود العروش الإلهية.

فيغدو اسمك عالياً بين الآلهة العظام.

وستبنى لك المعابد.

وفى جهات الأرض الأربعة ستقام هياكل لعبادتك.

وستبنى هذه الهياكل حتى فى «الأيكور».

فتكون جليلاً فى حضرة الألهة ويعلو اسمك».

حين تناهى إلى سمع البطل نداء أمه.

شد على قوته واتجه صوب جبل «أنزو».

وقد قرن السيد السبعة من أجل القتال.

قرن البطل الزوابع السبع الرديئة.

والأعاصير السبع التى تثير الغبار.

لقد شرع فى الهجوم معلناً عن رعب المعركة.

وفى سبيل القتال لاذت الرياح إلى جنباته بالصمت فى انتباه.

وفى منحنى من الجبل، وقف «أنزو» و«ننورتا» وجهاً لوجه.

وعندما رآه «أنزو» تقدم نحوه.

وصر بأسنانه كالشيطان.

وزأر كالأسد المذعور.

وبملء غضب قلبه صرخ بالبطل:

«لقد استحوذت على كامل الوظائف الإلهية.

وحركت الأوامر جميعاً.

من أنت يا من جئت لتصارعنى؟ اكشف عن هويتك».

وحين تحدث بهذه الكلمات.

أجابه البطل «ننورتا» قائلاً:

«باسم «آنو» الملك مؤسس «دورانكى».

وباسم إله البحر الواسع «إيا» محدد الأقدار.

جئت لأصارعك وأنا الذى سيسحق».

حين سمع «أنزو» كلامه.

أطلق وسط الجبال صرخاته.

فعم الظلام وكست الظلمة وجه الجبال.

وأظلم «شمش» نور الآلهة.

.... زأر مع «أنزو».

وفى وسط زحام المعركة وقع الهجوم وثار طوفان الغضب.

.... سقى درعه بالدم.

وأمطرت غيوم الموت وأبرقت السهام.

وزأر القتال بعنف بينهما.

إن القوى والمجيد بكر «مامى».

بطل «آنو» وحبيب «إيا».

شد قوسه وألقم «أنزو» سهما.

من صدر القوس أطلق «ننورتا» السهم فى وجهه.

ولم يُصب السهم «أنزو».

لأنه صرخ فيه قائلاً:

«أيها السهم المصوب إلىّ عُد إلى جعبتك.

أيها الشكل الذى يشبه القوس عد إلى حراجك.

عد أيها الوتر إلى ظهر الحمل وعودى أيتها القوادم إلى الطيور.

ولم يلبث أن رفع بيديه لوحة الأقدار المقدسة.

فأبعدت يداه وتر القوس.

ولم تتمكن السهام من لمس جسده.

فخيم الصمت على المعركة وتوقف القتال.

وسكتت قرقعة السلاح فى الجبال.

ولم تتمكن هذه الأسلحة من أسر «أنزو».

فدعا «ننورتا» حدد وقال له:

«أنبئ «إيا» وقل له ماذا رأيت من أفعال.

**قل له: أيها السيد إن «ننورتا» قد حاصر «أنزو».**

**واستولى على منطقة معسكره.**

**لقد شد على قوسه وسلمه السهم.**

**ومن صدر قوسه نزع السهم.**

**ولكن دون أن يصيبه وعاد السهم إلى الوراء.**

**لأن «أنزو» كان قد صرخ به:**

**أيها السهم الآتى إلى، عُد إلى جعبتك.**

**أيها السهم المتوهم، عد إلى حراجك.**

**عد أيها الوتر إلى ظهر الحمل وعودى أيتها القوادم إلى الطيور.**

**ورفع بيديه اللوحة الإلهية المقدسة.**

**فأبعدت يداه وتر القوس.**

**ولم تقو السهام على إصابة جسده.**

**فخيم الصمت على المعركة وتوقفت.**

**توقفت فى الجبل قرقعة السلاح.**

**ولم تفلح فى أسر «أنزو».**

**وعندئذ سجد الأمير «حدد» وتناول الرسالة.**

**ثم قص على «إيا» مادار فى المعركة.**

بعد ذلك نجد تكرار لنفس المقطع السابق الذى يصف ما دار فى المعركة.

**وبعد أن سمع «إيا» الرسالة.**

لاذ بالصمت ثم أعطى تعليماته لـ «حدد» (ليبلغها لننورتا).

أعد على مسمع سيدك فحوى كلماتى.

وما سأقوله احفظه كله جيداً.

وهو هذا:

«عليك ألا توقف المعركة. ضع من أجلها كل قدراتك.

أنهكه، حتى إذا ما جابه العاصفة هوى جناحه.

خذ سيفاً بعد أن تكون أطلقت سهامك.

قصّ جناحيه واقصعهما يميناً وشمالاً.

وعندما سيرى جناحيه على هذا النحو سيفقد قدرته على الكلام.

وسيصرخ: جناحاى! جناحاى! ولا خوف منه بعدئذ.

شد على قوسك ولتنطلق السهام إلى صدره كاللمع.

وليرقص الريش والجناحان كالفراش.

ضع حداً لحياته. آاسر «أنزو».

ولتأخذ الرياح جناحيه فى أماكن خفية.

ونحو الأيكور عند أبيك «إنليل».

دُسْ بقدميك جباله وسهوله.

وبادر إلى قطع رقبته. رقبة «أنزو» الشقى.

كيما تعود الملكية إلى «الأيكور».

وتعود الوظائف الإلهية للأب الذى خلقك.

افعل ذلك، كى تقام لك الهياكل فى جهات الأرض الأربعة.

ولتبنى هذه الهياكل حتى فى «الأيكور».

فيغدو اسمك عالياً بين الآلهة العظام.

سجد حدد وتناول الرسالة.

ثم حمل إلى «ننورتا» أخبار المعركة.

مردداً على سمعه ما قاله له «إيا».

يتكرر بعد ذلك المقطع السابق الذى وضع فيه «إيا» خطة المعركة.

حين سمع السيد (ننورتا) فحوى رسالة «إيا».

ارتجف وارتعدت فرائصه بيد أنه توجه ثانية نحو الجبل.

وقد قرن السيد السبعة للقتال.

وقرن البطل الرياح الرديئة السبع.

مع الزوابع السبع التى تجعل الغبار يدور.

# اللوح الثالث

اللوح الثالث من هذا النص جاء فيه انتصار «ننورتا» على «أنزو»، والنسختان الأشوريتان لهذا اللوح وجدتا مشوهتان، إلا أنه يمكن الوقوف عند خاتمة اللوح، ومن ثم خاتمة النص:

**هناك وسط القتال، انطلقت الرياح الأربع.**

**فارتعدت الأرض وامتلأت السماء رعباً.**

**وأظلمت أنوار النهار وحل الظلام فى السماء.**

**إن البطل «ننورتا» و«أنزو» تماسك كل منهما بالآخر.**

**ومن أجل التصدى للعاصفة تخلى «أنزو» عن جناحه.**

**وحمل «ننورتا» سيفه وسهامه المَرِيشة.**

**وقص جناحى «أنزو» من اليمين واليسار وشوههما.**

**وعندما رأى جناحيه على هذا الوضع فقد «أنزو» موهبة الكلام.**

والنص الذى وجد فى «سلطان طيبة» يظهر منه أنه كان يوجد مساعدون يدعمون «أنزو»، وقد تغلب عليهم «ننورتا» جميعاً.

**وبسرعة أدركه البطل.**

**فصرع بهاؤه من هم أكثر هيجاناً.**

**وصرع الرعب الذى كان يبثه أفواهم.**

**لقد غطت البلاد قوة إشعاعه.**

**ودك الرعب الجبال بيهائه.**

**وأرعب «أنزو» وحز رقبته.**

وبالطبع تنتهى القـصة بعودة لوح الأقدار، وابتـهاج الآلهة لهذا النـصر، وعودة الوظائف الإلهية إلى شرعيتهـا، وطبيعى بعد ذلك أن يُمجد الإله «ننورتا» ويحقق له الآلهة المجد الذى وعدوه إياه.

* * * *

# الفصل الثالث
# أسطورة نرجال وأرشكيجال

يطلق البعض على هذه الأسطورة اسم «إبليس البابلى»[1]، وتروى الأسطورة قصة الإله «نرجال» الذى كان يعيش مع آلهة السماء، وكيف لعب القدر لعبته، فيرحل - بسبب الخطأ الذى وقع فيه - إلى العالم السفلى، ليعيش مع «أرشكيجال» سيدة الجحيم والمهيمنة على ذلك العالم السفلى، وليتقاسم معها السيطرة على ذلك العالم السفلى، فيتحول بذلك من إله «سماوى» إلى إله «سفلى».

وقد عثر على نص هذه الأسطورة فى «تل العمارنة» بمصر مع نص أسطورة «آدابا» - التى سنعرض لها فى موضع لاحق - وكان هذان النصان يستعملان كوسيلة لتدريس اللغة الأكادية للطلبة المصريين. كما وجدت عام 1951 ترجمة أكثر حداثة، في حفريات «سلطان طيبة» (حران القديمة) فى الشمال الغربى من مملكة آشور[2].

وسنعرض أولاً نص الأسطورة لذى عُثر عليه فى «تل العمارنة»، ثم نعقبه بعرض النص الأشورى.

---

(1) فراس السواح - مغامرة الأولى - ص 289

(2) السابق. ورينيه لابات وآخرون - سلسلة الأساطير السورية (ديانات الشرق الأوسط).

# نص تل العمارنة(*)

**عندما أقام الآلهة وليمة.**

**بعثوا رسولاً عنهم.**

**لأختهم «أرشكيجال» ليبلغها:**

**«إننا لا نستطيع النزول إليك.**

**وإنك لست بقادرة على الصعود إلينا.**

**فارسلى لنا رسولاً يأخذ لك نصيبك من الوليمة.**

**فبعثت «أرشكيجال» وزيرها «نمتار».**

**فصعد إلى السماء العليا.**

**ودخل على الآلهة المجتمعين.**

**فنهضوا لتحية «نمتار».**

**رسول أختهم «أرشكيجال» العظيمة.**

يوجد عدة أسطر مشوهة، ولكن سياق النص يدلنا على أن جميع الآلهة قد قاموا لتحية «نمتار» رسول «أرشكيجال» إلا «نرجال» فلم يقم لتحيته، مما جعل «نمتار» يغضب لدرجة أنه بكى، ورفض أن يأخذ أى شئ من الوليمة، ورجع إلى «أرشكيجال» يقص عليها ما حدث من هذا الإله «نرجال»، فأعادت «نمتار» مرة أخرى إلى الآلهة طالبة منهم أن يسلموها ذلك الإله كى تقوم بقتله جراء ما اقترف من خطيئة فى حقها.

(*) انظر المصدران السابقان.

**أما هو (نمتار) فقد رفض باكياً (أن يأخذ شئ من الوليمة)[1].**

**وإلى بلاد اللاعودة سلك طريقه.**

**(ونقل لأرشكيجال ما حدث، فقالت له):**

**انقل لهم من قبل اختهم هذه الكلمات:**

**إن الإله الذى لم يقف أمام رسولى.**

**يجب أن يسلم إلى لأقتله.**

**فمضى «نمتار» لينقل حديثها إلى الآلهة.**

**فأدخله الآلهة ليستمعوا إليه، (فقال):**

**«امسكوا الإله الذى لم يقف أمامى.**

**وابعثوا به إلى سيدتى».**

**ثم قام «نمتار» بعدّهم فوجد إلهاً غائباً فى المؤخرة،**

**(فقال): «إن الإله الذى لم يقم لى ليس هنا».**

**فعاد إلى (أرشكيجال) وأخبرها.**

بضعة أسطر مشوهة، لكن سياق النص يدلنا على أن «أرشكيجال» ألحت فى طلبها، حتى نزل الآلهة عند رغبتها، وقرروا تسليم «نرجال» إليها، ولكن الإله «إيا» وضع له مخطط كى يهزم «أرشكيجال»:

**خذوه إلى «أرشكيجال»، فبكى (نرجال) وناح.**

**أمام أبيه «إيا»: إن أرشكيجال فى أثرى.**

**وهى لن تتركنى حيا.**

(1) ما بين القوسين الكبيرين إضافة من عندى كى يستقيم النص ويغدو مفهوماً.

(فقال له إيا): لا يجزع فؤادك.

سأعطيك سبعة عفاريت وسبعة حراس.

فيذهبون معك (وهم): موتابريك،

شارابدو، رابيصو، طيريد، ايديتو،

اومو، ليبو.

فلما وصل «نرجال» إلى بوابة «أرشكيجال» صرخ:

«افتح بابك أيها البواب.

وارفع مزلاجه لأستطيع الدخول.

إنى مطلوب أمام سيدتك «أرشكيجال».

امتثل الحارس للطلب وقال لـ «نمتار»:

«إن إلهاً يقف عند البوابة.

تعال وأعلمنى إذا كان من حقه أن يدخل».

وعندما رآه صرخ فرحاً:

«ابق هنا» ثم قال لسيدته:

يا سيدتى، إنه الإله الذى اختفى فى الأشهر الماضية.

وهو الذى لم ينهض لى.

قالت: ادخله، وحين يدخل سأقتله».

فمضى «نمتار» وقال لـ «نرجال»: ادخل يا مولاى.

إلى بيت أختك، ومرحباً بقدومك.

أجاب «نرجال»: إيمكن أن يفرح قلبك من أجلى.

يوجد تشوه فى النص، لكن من الواضح أن «نرجال» قد قام بتنفيذ مخطط «إيا» فى السيطرة على الأبواب عن طريق العفاريت والحـراس الذين صاحبوه فى رحلته إلى العالم الأسفل.

**[. . . .] يقف على الباب الثالث و«موتابريك» على الرابع.**

**و«شارا بدو» على الخامس و«رابيصو» على السادس.**

**و«طيريد» على السابع و«ايدييتو» على الثامن.**

**و«بينو» على التاسع و«صيدانو» على العاشر.**

**و«ميكيت» على الحادى عشر، و«بيلوبرى» على الثانى عشر.**

**و«أومو» على الثالث عشر، و«ليبو» على الرابع عشر.**

**وهكذا احتجز «أرشكيجال» داخل قصرها.**

**ثم أعطى هذا الأمر إلى نمتار» ومن معه:**

**«لتفتح الأبواب.**

**فأنا الآن من يطلبكم.**

**وفى داخل القصر أمسك بـ «أرشكيجال».**

**من شعرها وأنزلها من على عرشها.**

**إلي الأرض ليقطع رأسها.**

**«لا تقتلنى يا أخى، فلدى كلمة أقولها لك».**

**أنصت «نرجال»، وتراخت قبضتاه،**

**بينما هى تبكى وتنتحب:**

**«ستكون زوجى، وأكون زوجتك.**

وسأجعل لك ملكاً وسلطاناً على العالم الأسفل الكبير.

وسأضع بين يديك ألواح الحكمة.

وتكون سيداً وأكون امرأة لك.

عندما سمع «نرجال» هذا القول.

رفعها إليه وقبلها ومسح دموعها وقال:

«إن ما أردت مني القيام به لشهور خلت.

سيتحقق لك الآن»[1].

(1) أي تقديم فروض الاحترام لها.

# النص الآشورى(*)

عندما أقام الآلهة وليمة.

تحدث «آنو» إلى رسوله «كاكا»:

سأرسلك يا «كاكا» إلى بلاد اللاعودة.

سأرسلك إلى ابنتى «أرشكيجال» لتقول لها بلسانى:

«ليس فى مقدوركِ الصعود إلينا.

ونحن ليس فى مقدورنا أن ننزل إليكِ.

فليأت إذن رسولك إلى هنا.

وليقدم لك كل ما سأعطيه (من الوليمة)».

فنزل «كاكا» على طول سلم الآلهة.

وحين وصل إلى باب «أرشكيجال».

قال: افتح لى أيها البواب.

أجاب: أدخل إذن يا «كاكا» وليباركك الباب.

وراح «كاكا» الرسول الإلهى يجتاز الباب الأول.

ومضى «كاكا» الرسول الإلهى يجتاز الباب الثانى.

وبعد ذلك تتكرر الأبيات بنفس الطريقة حتى يجتاز الباب السابع، وبعدها:

فدخل باحة «أرشكيجال» الواسعة.

وركع وقبل الأرض أمامها.

---

(*) انظر - رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية.

ثم نهض وقال لها:

«ها أنا ذا من أرسله أبوك «آنو» ليقول لكِ:

لا يسمح لك أنت بالصعود.

ونحن ليس فى مقدورنا أن ننزل إليك.

فليأت إذن رسولك إلى هنا.

وليجلس إلى المائدة ويأخذ حصتك.

وليكرمك بكل ما سأعطيه إياه».

فقالت لكاكا:

يا رسول أبينا «آنو» الذى أتى إلينا.

سلام على «آنو» و«إنليل» و«إيا» الآلهة الكبار.

سلام على «نامُّو» و«ناش» الإله القديس.

سلام على الزوجة وسيدة السماوات.

سلام على «ننورتا» الأقوى فى البلاد.

وأخذ «كاكا» يتكلم.

فقال لـ «أرشكيجال» هذه الكلمات:

كل شئ حسن بالنسبة إلى «آنو» و«إنليل» و«إيا» الآلهة الكبار.

كل شئ حسن بالنسبة إلى «نامُّو» و«ناش» الإله القديس.

كل شئ حسن بالنسبة للزوجة سيدة السماوات.

كل شئ حسن بالنسبة إلى «ننورتا» الأقدر فى البلاد.

وراح «كاكا» يتكلم ثانية.

وقال لـ «أرشكيجال»:

أيتها الملكة ليكن لك السلام كذلك.

وأخذت «أرشكيجال» بالكلام.

فقالت لـ «نمتار» رسولها هذه الكلمات:

«نمتار» يا رسولى سأرسلك.

إلى سماوات آبينا «آنو».

فاصعد يا «نمتار» على طول سلم السموات.

واجلس إلى المائدة وتقبل حصتى.

وكل ما سيعطيك لى «انو».

عُد واكرمنى به».

مضى نمتار وصعد على طول سلم السماوات.

توجد عـدة أسطر مفقودة، لـكن سياق النص يدلنا على أن «نرجـال» لم يحيى «نمتـار» كما حـياه باقى الآلـهة بالسـجود أمامـه، وعندما يـعود النص مـرة أخرى للانتظام، نجـد أن الإله «إيا» يؤنب «نرجـال» على فـعلته هذه، إذ أنهم جـمـيعـاً سجدوا، وهو لم يفعل، مما أثار غضب «نمتار».

تحدث «إيا» وقال لـ «نرجال»:

«حين بلغ «نمتار» القاعة حيث كان الآلهة.

بعد أن جاب الطريق الآتية من الجحيم.

سجد له الآلهة جميعهم.

**إنهم الآلهة الكبار أسياد الأقدار (ومع ذلك سجدوا).**

**لأنه (نمتار) يمتلك أقداراً، لأنه يمتلك أقداراً.**

**الآلهة القاطنين فى قلب «الايركالا»[1].**

**لِمَ لم تسجد أمامه؟**

**ولِمَ أنفك عن الإيماء إليه؟**

**بيد أنك تظاهرت كما يتظاهر الجاهل.**

**وكانت عينك لانفتاً مطرقة إلى الأرض.**

ينقطع النص مرة أخرى، لكن يبدو من باقى السياق أن «إيا» قد أصدر تعليماته لـ «نرجال» كى يقوم برحلة إلى العالم الأسفل ليكبح جماح غضب «أرشكيجال»، حتى لا ترتكب أى حماقة.

**وتحدث «إيا» قائلاً إلى «نرجال»:**

**«أيها المسافر هل ستمض إلى حيث نرسلك والسيف فى يدك؟**

**اهبط إلى غابة الميس.**

**واقطف من غابة الميس والشربين والعرعر.**

**واقطع فرعاً وغصناً وعصا».**

**فنزل إلى غابة الميس.**

**وقطع من الميس ومن الشربين والعرعر.**

**قطع فرعاً وغصناً وعصا.**

**مشط فرعه حتى يبدو كاللازورد.**

---

(1) اسم من أسماء الجحيم.

ومشط الغصن حتى يبدو كالذهب.

وصقل عصاه حتى تبدو كاللازورد.

وعندئذٍ ناداه «إيا» ليزوده بتعليماته:

«أنت أيها المسافر الذاهب إلى حيث رغبت.

حافظ بأمانة على كل توجيهاتى:

«إن هم قدموا لك مقعداً.

إياك أن تجلس عليه.

وثمة طاه يجلب لك الخبز فاحترس من أن تأكل منه.

وقصاب يجلب لك اللحم، إياك أن تأكل منه.

وصانع الجعة يجلب لك الجعة، إياك أن تشرب منها.

وسيُقدم لك حمّام ماء لرجليك إياك أن تغسل رجليك.

وستدخل هى نفسها للاستحمام.

وتكون فى لباس شفاف.

هكذا ستظهر جسدها.

فلا تُبدِ رجولتك كما يُصنع بين رجل وامرأة.

ينقطع النص مرة أخـرى، لكن من الواضح أنه أخذ يعبر بوابات العـالم الأسفل الواحدة تلو الأخرى.

مضى «نرجال» عندئذٍ إلى بلاد اللاعودة.

مضى إلى المسكن المظلم، مقام «إيركالا».

مضى إلي المسكن الذى ليس لمدخله مخرج.

**مضى نحو الطريق الذى لا رجعة منه.**

**مضى إلى المسكن الذى لا نور لساكنيه.**

**حيث الغبار يغزو جوعهم وحيث خبزهم من التراب.**

**ويرتدون ثياباً من ريش.**

**لا يرون إلا الظلام.**

**متزويون فى الزوايا تغمرهم تأوهات.**

**وعلى مدى أيامهم ينوحون كالحمائم.**

**وعندما وصل «نرجال» إلى باب «أوالُّو»[1].**

**أخذ الحارس فى الكلام، فقال لـ «نرجال»:**

**«ابق أمام الباب دون حراسك وسأذهب لأعلن مجيئك.**

**دخل الحارس وقال لـ «أرشكيجال»:**

**«يا سيدتى ثمة مسافر آتٍ إلينا.**

**وأنا لا أعرفه، فمن سيعرفه»؟**

يوجد عـدة أسطر تالفة، ولكن نعلم بسـهولة من السـياق أن «أرشكيجـال» قد استدعت رسولها «نمتار» ليعرف الزائر الواقف على الباب:

**. . . . يا سيدتى سأتعرف على هويته[2].**

**وسأذهب لأراه على الباب الخارجى.**

**وسأعود لأخبر عنه سيدتى.**

(1) اسم آخر للجحيم.

(2) الكلام موجه من «نمتار» إلى «أرشكيجال».

**وذهب «نمتار» ورأى «نرجال».**

**فامتقع وجه «نمتار» وعلته صفرة.**

**وكجذع خيزران اسودت شفتاه.**

**عاد «نمتار» فقال لسيدته:**

**«حين أرسلتني يا سيدتي إلى أبيك «آنو».**

**ودخلت قاعة «آنو».**

**وكان الآلهة جميعهم ركعاً.**

**كان جميع آلهة البلاد ركعاً.**

عدة أسطر مشوهة، ولكن واضح من سياق النص أن «نمتار» قد تعرف على الإله الذي لم يسجد أمامه ومن ثم أخبر «أرشكيجال» لتنزل عليه العقاب.

**أخذت «أرشكيجال» تتكلم.**

**وقالت لرسولها «نمتار» هذه الكلمات:**

(يوجد أربعة أسطر تالفة).

**فليأكل (نرجال) خبز «أنوناكي» ويشرب ماءهم.**

**إذهب إذن وادخل هذا الإله إلى حضرتي.**

**أدخل «نرجال» من باب «نيدو» الأول.**

**أدخل «نرجال» من باب «كيشار» الثاني.**

**أدخل «نرجال» من باب «أنوشوريا» الثالث.**

**أدخل «نرجال» من باب «نيورو اولا» الرابع.**

**أدخل «نرجال» من باب «اندوكوجا» الخامس.**

أدخل «نرجال» من باب «أندوس أوما» السادس.

أدخل «نرجال» من باب «اينوجيجى» السابع.

وأخيراً دخل قاعة «أرشكيجال» الواسعة.

فركع وقبّل الأرض أمامها، وقال:

إن «آنو» أباك قال (. . . . . .).

(قالت له نرجال): اجلس على هذا المقعد.

وتفوه بحكم. . . الآلهة الكبار.

الآلهة الذين يسكنون وسط «ايركالاّ».

وعندما أتوا إليه بالمقعد.

احترس «نرجال» من الجلوس عليه.

أتاه الطهاة بالخبز.

ولكنه احترس من أكل الخبز.

وأتاه باللحم اللحامون.

فاحترس من أكل هذا اللحم.

أتاه صانعوا الجعة بالجعة.

فاحترس من شرب هذه الجعة.

وأتوه بحمّام للأرجل.

فامتنع عن غسل رجليه.

فمضت «أرشكيجال» نفسها لتدخل الحمام.

وكانت ترتدى رداءً شفافاً.

**ورغم بروز جسدها على هذا النحو.**

**فإنه لم يستخدم رجولته ويصنع كما بين الرجل والمرأة.**

يوجد هنا عشـرة أبيات تالفة، وعندما يعود النص للوضـوح نجد أن «ترجال» لم يقع فى شرك «أرشكيجال»، وإنما هو الذى أوقعها فى حـبائله وجعلها تعشقه، لكن كان عليه أن يـترك العالم الأسفل ويعـود من حيث أتى قبل مرور سـبعة أيام، لأن هذه الأيام لو مرت عليـه لن يستطيع مغادرة العـالم الأسفل وسيظل سجـيناً فيه لا يبرحه، وقد كان «نرجال» على علم بهذه القوانين، لذا فقد عمد أن يفلت منها.

**عندما سمع «نرجال» هذه الكلمات ابتسم[1].**

**أما هى فقد دخلت غرفة نومها.**

**(وخلعت) الثياب....**

**وكما يفعل الرجل مع المرأة فعل مبرهناً على رجولته.**

**وتعانق الأخ والأخت[2].**

**واستلقيا علي السير وغريزتهما مستعرة.**

**ناما معاً يوماً ويومين «أرشكيجال ونرجال».**

**ناما معاً ثلاثة أيام وأربعة.**

**ناما خمسة أيام وستة.**

**وحين حل اليوم السابع.**

**نهض «نرجال» يدون....**

(1) يبدو أن «أرشكيجال» قد طلبت منه أن يجامعها.

(2) الأخ والأخت: نرجال وأرشكيجال.

**وكانت «أرشكيجال» خلفه.**

**قال: دعينى أصعد يا أختاه...**

**عائداً إلى بلادى.**

**فاسودت شفتاها واصفر وجهها.**

**مضى.... قال له البواب هذه الكلمات:**

**أرسلتنى «أرشكيجال» عشقيتك.**

**قائلة لى: إنى مرسلتك.**

**وإياك أن تعود قبل أن تأتينى برسالة.**

**صعد نرجال على طول سلم الآلهة.**

**وحين بلغ باب «آنو» و«إنليل» و«إيا».**

**ورأوه، قالوا له:**

**هو ذا ابن «عشتار» يصعد إلينا.**

**وإذا كان «نمتار» يبحث عنه فينبغى ألا يعرفه.**

**فليرشه «إيا» أبوه بماء الينابيع ويجلس مع مجمع الآلهة.**

عشرون سطراً مشوهة، ويبدو أن «أرشكيجال» قد أخذت فى النواح لترك «نرجال» إياها بعد أن عشقته، لذا فقد عمدت إلى إرسال رسولها «نمتار» حتى يأتيها بـ «نرجال» مرة أخرى، وإلا ستصب جام غضبها على الجميع.

**كانت دموعها تنسكب على خديها.**

**وقالت: إن «نرجال» الزوج الذى كان يغمرنى.**

**دون أن أكون قد اكتفيت منه تخلى عنى.**

الزوج «نرجال» هو الذى كان يغمرنى.

ودون أن أكون قد اكتفيت منه قد تخلى عنى.

فقال لها رسولها «نمتار»:

«أنا ذاهب للتفتيش عنه والإمساك بهذا الإله.

وسأعيده حتى يقبّلك أنت».

قالت «أرشكيجال»:

وقد تفوهت بهذه الكلمات إلى رسولها «نمتار»:

«اذهب يا نمتار»...

قف أمام باب «آنو» و«إنليل» و«إيا».

وقل لهم بلسانى: منذ أن كنت طفلة ومن ثم صبية.

لم أعرف قط رقصات الصبايا.

لم أعرف قط لهو الصبايا الفَرِح.

لينم معى هذا الإله الذى أرسلتموه فيتملكنى.

أرسلوا إلينا هذا الإله وهو زوجى ليقضى معى لياليه.

أنا دنسة ولم أعد طاهرة.

ولن أتفوه بعد الآن بحكم الآلهة الكبار.

الآلهة الكبار القاطنين فى قلب «الايركالا».

وإذا لم ترسلوا لى هذا الإله.

فإنى بمشيئة «ايركالا» والأرض الكبيرة.

سأجعل الأموات يقومون ويأكلون الأحياء.

فأجعل الأموات أوفر عدداً من الأحياء.

فصعد «نمتار» سلّم السموات.

ولما وصل إلى باب «آنو» و«إنليل» و«إيا».

ورآه «آنو» و«إنليل» و«إيا» وقالوا له:

«لماذا جئت يا «نمتار».

قال: إنها ابنتكم هى التى أرسلتنى لأقول لكم.

منذ أن كنت طفلة ومن ثم صبية.

لم أعرف قط لهو الصبايا الفرِح.

فليضطجع معى هذا الإله الذى أرسلتموه إلى فيتملكنى.

أرسلوا لنا هذا الإله إنه زوجى كيما يقضى معى لياليه.

أنا دنسة ولم أعد طاهرة.

ولن أتلفظ بحكم الآلهة.

الآلهة الكبار القاطنين قلب «الايركالا».

وإن لم ترسلوا إلينا هذا الإله.

فلسوف أجعل الأموات يقومون، ويأكلون الأحياء.

كما أجعل الأموات أكثر من الأحياء.

فتكلم «إيا» مردداً هذه الكلمات:

«ادخل إذن قاعة «آنو» يا «نمتار».

وتعرف أى إله الذى ستأخذه».

حين دخل «نمتار» قاعة «آنو».

كان الآلهة جميعهم ركعاً أمامه.

رُكعاً كلهم، جميع الآلهة أمامه.

فتوجه نحو أولهم ولكنه لم يرَ هذا الإله.

ونحو الثانى والثالث ولم يرَ هذا الإله.

فذهب «نمتار» وقال لسيدته:

«يا سيدتى إنك أرسلتنى إلى سموات «آنو» أبيك.

ورأيت هناك إله أصلع الرأس معوج الساقين أحول.

فى مجمع الآلهة كلهم.

لم أعرفه وهو جالس فى مجمع الآلهة».

فقالت له: «أذهب وأمسك بهذا الإله وأتنى به.

فيبدو أن يكون أبوه «إيا» قد نضحه بماد الينبوع.

حتى يجلس فى مجمع الآلهة أصلع الرأس معوج الساقين أحول».

صعد «نمتار» سلم السموات.

وحين وصل إلى باب «آنو» و«إنليل» و«إيا».

ورأوه، قالوا له:

لماذا جئت يا «نمتار»؟

فأجاب: إن ابنتكم هى التى أرسلتنى.

قائلة لى: أمسك بهذا الإله وأتنى به.

فقالوا له: أدخل إذاً يا «نمتار» قاعة «آنو».

ابحث عمن أهانك وأتنا به.

**اتجه «نمتار» نحو الأول ولم يجد إلهه.**

**اتجه نحو الثانى والثالث أيضاً. . . .**

**ونحو الرابع والخامس أيضاً. . . .**

**وعندئذٍ أخذ «نرجال» الكلام وقال لـ «إيا»:**

**«الرسول «نمتار» هو الذى أتى إلينا.**

**فليشرب الجعة وليستحم وليُمسح بالزيت المعطر.**

يوجد عدة أسطر تالفة يصعب التكهن بما احتوته بالضبط، لكن على كل حال، فإن المقطع الأخير السابق عرضه يعرفنا أن «نمتار» قد تعرف على «نرجال»، ولن يتركه حتى يعود معه إلى العالم السفلى، إلى الجحيم. وعندما ينتظم النص نجد بعض الأسطر المشوهة، والتى لا يمكن أن نعلم منها بدقة الأشياء التى كان يحملها «نرجال» وكان يتركها عند كل باب من أبواب الجحيم السبع، وأياً كان الأمر، فإن نزول «نرجال» إلى العالم السفلى هذه المرة، سيكون نزولاً بلا عودة، وذلك لأنه سيمر عليه السبعة أيام التى لا عودة بعدها، والظاهر أن «نرجال» هو الذى حدد مصيره هذا بنفسه، لأنه - وكما يتضح من النص - كان شديد الوله بـ«أرشكيجال»، والتى فضل أن يبقى بجانبها حاكماً على الأموات فى العالم السفلى.

**«نرجال». . . . .**[1]

**سأكشف لك عن كل قواعد الأرض العظيمة.**

**وحيث تذهب من هنا.**

---

(1) يبدو أن الكلام هنا موجّه من «نمتار» إلى «نرجال».

**عليك أن تأخذ كرسى. . .**

**عليك أن تأخذ. . .**

يتكرر هذا السطر الأخير أربع مرات أخـرى، لأن الأسطر تالفة - كما ذكرنا - فلم نعلم بالضبط ما أخذه معه «نرجال» وهو ذاهب إلى العالم السفلى.

**ولكن دع قوسك الذى يسلح صدرك.**

**أما «نرجال» فقد تقبل فى قلبه كلام «نمتار».**

**فدهن الوتر وأرخى قوسه.**

**وعندما نزل «نرجال» سلم السماوات.**

**وبلغ سلم «أرشكيجال»، قال:**

**أيها الحارس: افتح لى الباب.**

**علق الحارس كرسي «نرجال» على الباب.**

**ولم يدعه يأخذه معه.**

**وفعل البواب الثانى صنيعه.**

**وفعل البواب الثالث صنيعه.**

**وفعل البواب الرابع صنيعه.**

**وفعل البواب الخامس صنيعه.**

**وفعل البواب السادس صنيعه.**

**وفعل البواب السابع صنيعه[1].**

(1) ذكرنا أن تلف النص لم يسمح لنا بمعرفة ما أخذه «نرجال» معه وهو ذاهب إلى العالم الأسفل، وكذلك ما تركه على الأبواب ومُنع من اصطحابه معه.

ولما دخل «نرجال» ساحة «أرشكيجال» الفسيحة.

ذهب إليها وضحك.

فأمسك بشعرها.

وأنزلها من عرشها.

وأمسك بإبزيم شعرها.

لشدة ولّه قلبه بها.

تعانق الأخ والأخت.

واستلقيا بحرارة على السرير.

وناما معاً يوماً ويومين الملكة «أرشكيجال» و«نرجال».

هكذا ثلاثة أيام وأربعة.

هكذا خمسة أيام.

هكذا ستة أيام.

هكذا سبعة أيام.

ولما أتى اليوم الثامن.

قال «آنو».

لرسوله «كاكا» هذه الكلمات.

سأرسلك يا «كاكا» إلى بلاد اللاعودة.

وفى مقر «أرشكيجال» التى تسكن داخل «ايركالا».

قل لها: إن هذا الإله الذى أرسلته إليكِ.

**سيبقى معكِ من الآن وإلى الأبد.**

**إنه لم يعد ينتمى إلى العالم الأعلى.**

**بل إنه منذ اليوم ينتمى إلى العالم السفلى.**

وهكذا، وبعد أن مرت السبعة أيام، استحال على «نرجال» أن يعود إلى العالم العلوى، وظل حبيس العالم السفلى يحكم هذا العالم مع زوجته «أرشكيجال».

* * * *

# الفصل الرابع
# أسطورة «إيرا» إله الطاعون

بطل هذه الأسطورة هو الإله «إيرا» إله الطاعون والأوبئة والدمار عند البابليين، وطبقاً لمعتقدهم، فهذا الإله هو المسئول الأول والأساسى عن كل الكوارث والمحن التى تحل على الأرض.

وفى هذه الأسطورة نجد أن «إيرا» قد بقى لفترة طويلة بلا عمل، فيحفزه الآلهة السبعة الذين يعاونوه فى تسليط الكوارث على البشر، يحفزونه على العمل، لأنهم - وهو معهم - الأقوياء، الذين لم يُخلقوا إلا للقتل والتدمير، فلماذا هذا السكون؟ ويقتنع «إيرا» بكلامهم، ويضع خطة لإبعاد «مردوخ» عن معبده لفترة واعداً إياه إنه سيحفظ توازن الكون فى غيبته، وعندما يقتنع «مردوخ» بوجهة نظر «إيرا» يقوم هذا الأخير بتنفيذ مخططه التدميرى، إلا أن مساعده «ايشوم» كان يحثه دوماً على الرجوع عن هذه الفكرة، فهل سينجح أم لا؟ وهذا ما سنعرفه من قراءة نص الأسطورة، والذى يتكون من خمسة ألواح سنعرضها تباعاً.

# اللوح الأول

يبدأ النص[1] بتمجيد مردوخ، ثم يأخذ فى التعريف بـ «ايشوم» مساعد «إيرا»، وكذلك التعريف بـ «إيرا» نفسه، والآلهة السبعة الذين يكوّنون أسلحة «إيرا» الفتاكة التى تُنزل الكوارث على الأرض.

**إنه ملك جميع الأماكن المسكونة.**

**وخالق جميع الشعوب إنه «مردوخ» الذى سأنشده.**

**«هندور سانجا»[2] بكر «إنليل» حاكم العالم.**

**حامل الصولجان الأعظم.**

**راعى أصحاب الرؤوس السود[3] وراعى جميع الشعوب.**

**ايشوم القاتل المجيد الذى صنعت يداه لتمشق السلاح الرهيب.**

**الذى يخشى «إيرا» القوى بين الآلهة من لمعان رماحه.**

**إن قلب «إيرا» عندما يدفعه إلي القتال.**

**يسقى سلاحه سم الموت.**

**ويأمر الآلهة السبعة الأبطال فيلبسون سلاحهم.**

**أما أنت يا «إيشوم» فيقول لك أنا أروم الذهاب إلى الريف.**

**وستكون أنت المشعل وسيرون نورك.**

---

(1) انظر: رينيه لابات وآخرون - سلسلة الأساطير السورية، وفراس السواح - مغامرة العقل الأولى.

- Kramer, Mytholoyy of the Ancient world, Anchor Books, Newyork.

(2) صفة لإيشوم وتعنى الصولجان الأعظم.

(3) ذوو الرؤوس السود أو الشعور السود تعبير استعمله السومريون والأكاديون فى وصف أنفسهم.

ستكون أنت الرئيس وسيستقبلك.

ستكون أنت السيف وستكون أنت القاتل.

انهض إذن يا «إيرا» وتغلّب على البلاد.

ولتكن روحك مُشبعةً وقلبك فرحاً.

أترى كلت ذراعا «إيرا» كرجل عزّ عليه النوم.

وهل سيقول لنفسه: هل سأنهض أم سأبقى مضطجعاً؟

وهل سيقول لسلاحه: ابق فى الزوايا؟

وللآلهة السبعة الأبطال الذين لا مثيل لهم: عودوا إلى مساكنكم؟

وإلى أن توقظه أنت وهو ملقى على فراشه.

فهل سيمارس الحب مع زوجته «مامى»؟

إن «الجيدودو»[1] هو السيد الذى يغدو فى الليل ويروح.

أما عن الآلهة السبعة الأبطال فإن ألوهيتهم مختلفة.

وولادتهم عجيبة، وهم ممتلئون رهبة.

فمن يراهم يتجمد حتى الرعب، ونفَسَهم هو الموت.

ولشدة خوف البشر منهم يُلقون بمقاليدهم إليهم.

و«إيشوم» كالباب الموصد أمامهم.

فحين أخصب «آنو» مالك آلهة الأرض.

خلقت له سبعة آلهة، أسماهم الآلهة السبعة.

إنهم هنا أمامه وقد حدد لهم أقدارهم:

---

(1) صفة لـ «إيشوم».

فنادى على الأول وأصدر إليه هذا الأمر:

عندما تذهب لتُعاقب حاول ألا يكون لك خصم.

وقال للثاني: اشتعل كالنار وتوهج كاللهب.

وقال للثالث: ليكن شكلك كالأسد.

ومن يراك يستحيل إلى عدم.

وقال للرابع: فلتضمحل الجبال عند امتشاقك سلاحك الغاضب.

وقال للخامس: انفخ كالريح وتفحص مدار الكون.

وقال للسادس: فى الأعالى والأسفل اذهب ولا تراع أحداً.

أما السابع فقد كلفه بسُم التنين ليدمر كل الحياة.

وبعد أن حدد «آنو» أقدار كل الآلهة السبعة.

سلمهم إلى الإله «ايرا» ليكونوا طوع أمره.

وقال: إن أقلقك صخب البشر فى الأماكن المسكونة.

وإن تملكتك الرغبة فى أن تقدم مائة ذبيحة.

ومن إماتة ذوى الرؤوس السود وإتلاف مواشى «شاقان».

فليكونوا أسلحتك الهائجة وليمشوا إلى جانبك.

بعد ذلك يعمد الآلهة السبعة جنود «إيرا» وأسلحته إلي تحفيزه على القتال والدمار، ويأخذون فى حضه على ذلك حتى يستجيب لهم:

وإذ هم يغضبون، يمتشقون السلاح.

قالوا لـ «إيرا»: انهض وسر إلى الأمام.

فيم تمكث فى المدينة كالهرِم التعيس.

وفيم تبقى فى البيت كأنك طفل صغير.

لقد بتنا نأكل طعام النساء، كمن لم يركب السهل أبداً.

وكأننا نخشى القتال، كمن لم يعرفه قط.

انهض أيها البطل لنركب السهول.

فمن تراه سيبقى فى المدينة؟ حتى الأمير لن يقوى على الشبع من الخبز.

لأنه مرفوض من شعبه وشخصيته مقيتة.

أنى له أن يمد يده إلى من يمضى إلى الريف؟

ومن سيبقى فى المدينة ستخور قواه.

كيف يجرؤ وعلى من يعتمد ليمس القوى الذى يذهب إلى الريف؟

إن غذاء المدن مهما كان ثميناً لن يساوى فطيرة من فطائر الريف.

وإن جعة «ناشبو» الحلوة لن تساوى ماء ترية.

والقصر ذو السطح لن يساوى منزلاً فى حقل.

فيا «إيرا» الشجاع امضِ إذن إلى الريف، وسدد سلاحك.

واصرخ بأعلى صوتك حتى يرتجف الالهة والبشر.

وعندما يصل صوتك إلى مسامع «الأيجيجى» سيمجدون اسمك.

وإذْ يسمعك «الأنوناكى» سيتهيبون اسمك.

وإذْ يسمعك الآلهة سينحنون تحت نيرك.

وإذْ يسمعك الأمراء سيركعون عند قدميك.

وإذْ تسمعك البلاد كلها ستقدم لك الجزية.

وإذْ يسمعك الشياطين يبتعدون تلقائياً عنك.

وإذْ يسمعك القدير سيعض إصبعه.

وإذْ تسمعك الجبال سترتعد وتطأطئ رأسها.

وإذ تسمعك البحار ستتعكر.

وستتكسر جذوع الأشجار فى الغابة.

وسينكسر القصب فى المقصبة المحرم دخولها.

وسيرتجف البشر واضعين حداً لصخبهم.

ولتتملك الفوضى الحيوانات فتعدو فخاراً.

وإذ يراك الآلهة آباؤك سيمجدون بطولتك.

فيا أيها المحارب «إيرا» ابرح المدينة وامض إلى الريف.

إن ماشية «شاقان» والحيوانات هى لا شئ بالنسبة لنا.

يا أيها المحارب «إيرا» نأمل ألا تؤذيك كلماتنا.

قبل أن تصبح بلاد البشر أوسع مما نحتاج.

لعلك أنت قد سمعت كلامنا.

أسدى جميلاً «للأنوناكى» الذين يحبون الهدوء.

لأن «الأنوناكى» آسو بسبب ضجيج البشر، فلا ينامون.

وداست الدواب المراعى التى هى حياة البلاد.

بكى الفلاح فوق حقله بمرارة.

وأفنت الأسود والذئاب مواشى «شاقان»[1].

ولم يعد الراعى يرقد من أجل قطيعه يتوسل إليك.

(1) شاقان: إله الماشية.

ونحن الذين يعرفون معابر الجبال فقد نسينا دروبنا.

ونسج العنكبوت خيوطه فوق سلاحنا الحربى.

وأصبحنا لا نقوى على شد القوس.

وأخذ رأس حربتنا يتآكل.

وعلا خنجرنا الصدأ، فلم يعد قادراً على الذبح.

بعد أن سمع «إيرا» كلام مساعديه (الآلهة السبعة) تستيقظ داخله رغباته التدميرية، وكأنه كان يرنو إلى سماع هذا الكلام حتى يشرع فى نشر الدمار على الأرض.

حين سمع المحارب «إيرا».

الكلام الذى قاله الآلهة السبعة.

لذَّ له وكأنه الزيت الحلو.

فأخذ يتحدث إلى «إيشوم» قائلاً:

علام تظل صامتاً وأنت تسمع.

افتح لى الطريق كيما أبدأ بالسير.

وليرافقنى الآلهة السبعة الأبطال دون منازع.

فتلك أسلحتى الهائجة، دعهم يسيرون إلى جانبى.

أما أنت فسر أمامى وسر خلفى.

سمع «إيشوم» هذه الكلمات.

فتحدث إلى «إيرا» فى أسى:

أيها السيد «إيرا» لِمَ تحمل أفكاراً سيئة للآلهة؟

ولماذا تفكر فى تدمير الأرض والبشر؟

فأخذ «إيرا» الكلام.

قائلاً لـ «إيشوم» السائر أمامه:

اصمت يا «إيشوم» واصغ إلى ما سأقول:

دعنى انبئك بمصير الإنسان.

أى مساعدى «إيشوم» الحكيم، اصغ إلى كلماتى:

«فى السماء أنا نور وعلى الأرض أسد.

وفى البلاد أنا ملك فوق الجميع.

أنا الجليل بين الآلهة.

وأنا الأشجع بين «الأيجيجى».

وأنا الأقوى بين «الأنوناكى».

وبين المواشى أنا الجزار وفى الجبل أنا صخرة «شوبو».

وفى المقصبة أنا النار وفى الغابة أنا فأس حرب.

وللمضى إلى الريف أنا الراية.

وكالريح أعصف وكإله الزوابع أنا ثقيل.

وكالشمس أتأمل دورة الكون الكاملة.

حين أعتلى الجبل أمسى كالكبش.

وحين ألج السموات استقر فيها.

إن جميع الآلهة تتهيب منزلتى.

ولأن الإنسان لم يخش كلماتى،

**ولم يأبه بتعاليم «مردوخ»[1].**

**وعمل وفق مشيئته وهواه.**

**فانى سأدعو «مردوخ» أن يخرج من مسكنه،**

**ثم أقوم بتدمير الإنسان.**

بعد ذلك يأخذ «إيرا» فى تنفيذ مخططه، والذى يبدأ بإبعاد «مردوخ» عن مسكنه فى معبد «الإيزاجيلا» معللاً، ذلك بأن «مردوخ» عليه أن يُطهر ثيابه الوسخة، ويستحم حتى يعود أقوى مما كان، ووعده «إيرا» بأنه فى هذه الأثناء سوف يحفظ التوازن فى الأرض والسماء.

**قصد «إيرا» «شوانا»[2] مدينة (مردوخ) ملك الآلهة.**

**ودخل «الإيزاجيل» قصر السماء والأرض ووقف أمام «مردوخ».**

**وفتح فاه مخاطباً ملك الآلهة:**

**«لماذا أمست زينتك وسخة وهى رمز سيادتك؟**

**هى التى ينبغى أن تكون مشعة كنجم سماوى.**

**لماذا أصبح شكل تاجك السنى محجوباً؟**

**التاج الذي كان يجب أن ينير «الإيهالنكى» «كالايتيمنكى»[3].**

**فقال «مردوخ» ملك الآلهة لـ «إيرا»:**

**أيها الملك «إيرا» إنى أجيبك بما يلى:**

---

(1) يرى البعض أن هذا مشابه لأسباب كل أفعال الدمار التى قام بها «يَهْوَه» إله اليهود ضد شعبه المختار الذى كان ينسى على الدوام كلمات الرب. انظر - فراس السواح، مغامرة العقل الأولى - ص 203 - هامش 1.

(2) شوانا: اسم آخر لبابل.

(3) الإيهالنكى: هو معبد الآلهة «زربانيتو».

والايتيمنكى. البرج الكبير ذو العدة طوابق فى الإيزاجيل.

بالنسبة لما تطلبه منى.

فقد مضى زمن طويل على غضبى.

فذهبت من على مقعدى وأحدثت الطوفان[1].

وعندما تركت مقعدى اختل توازن السماء والأرض.

فاضطربت الآلهة ونجوم السماء.

وغيّرت مراكزها السماوية ولم تعد إلى مكانها.

واختل نظام العالم السفلى وارتج.

على نحو أصبح من العسير استمراره.

ونتيجة لذلك فقد اختل توازن السماء والأرض.

فجفت المياه فى الأعماق وتراجعت الفيضانات.

وأصبح من العسير على الينابيع أن تتفتح.

وانخفض تناسل البشر إلى حدٍ كبير.

على نحو لم يعودوا فيها إلى سابق حالتهم.

وقبل أن أعود رحت كالفلاح أمسك بيدى بذارهم.

وقبل أن أبنى بيتاً أسكن فيه.

فإن زينتى اغبرت بفعل الطوفان وأصبح مظهرها قاتماً.

ومن أجل أن أعيد لمعان قسماتى وتطهير ثيابى.

(1) يظهر هنا الإله «مردوخ» بصورة الإله الذى أحدث الطوفان، فى حين أن جميع النصوص - والتى عرضناها عند الحديث عن الطوفان - تقول أن «إنليل» هو مُحدث هذا الطوفان، ولكن يبدو أن مردوخ» يعد تجليات لجميع الآلهة، وكيف لا وقد وضع له البابليون خمسين اسما؟!

استخدمت النار.

وهكذا بعد أن عاد اللمعان إلى زينتى وأنهيت هذه المهمة.

ولبست تاجى المعظم وعدت إلي مقعدى.

بقيت ملامحى مروية ونظرى فزعاً.

وبالنسبة للبشر الذين نجو من الطوفان.

فقد هززت سلاحى قائلاً:

هل أدمر الآن من تبقى؟

وأما هؤلاء الحكماء، فقد أنزلتهم إلى الأسفل ولم آمر بعودتهم.

ومن شجر الميس والعنبر غيرت المكان ولم أخبر أحداً.

والآن، ومن أجل العمل الذى تتحدث عنه أيها البطل «إيرا».

فأين يوجد الميس لحم الآلهة ورمز كل ملك؟

وأين توجد الشجرة المقدسة التي تناسب السيادة؟

والتى تبلغ جذورها مئة ميل تحت مياه البحر الخضم.

وساقها فى الأعالى حيث يبلغ رأسها قمة سموات «آنو».

التى نعثر فيها على اللازورد الصافى التى طرحته جانباً.

وأين يوجد «نين - إيلدو» الإلهى لجار الآلهة العليا الكبيرة؟

الذي يحمل الفأس الصافية ويعرف كل شئ.

ويعطى لما يصنعه بريق الضوء.

إنه الذى وضعته في خدمتى.

وأين يوجد الإله «جوشكين بندا» خالق الآلهة والبشر؟

أين نجد الإله «نينال جال» حامل المقصات؟

الذى يقطع النحاس القاسى كالجلد ويصنع الأمثلة.

أين توجد الحجارة الثمينة نتاج البحر الواسع؟

أين يوجد الحكماء السبعة؟

أولئك الذين مثل أبيهم «إيا» مفعمين إدراكاً رفيعاً.

أما المحارب «إيرا» فكان يصغى إليه وهو واقف.

فأخذ يتحدث إلى الأمير «مردوخ» قائلاً:

أنا يا «مردوخ». . . .

سأعلى الايعيشوا المحض الذى تشبهه.

سأعلى الميس الصافى الذى تشتهيه.

ولما سمع «مردوخ» هذا الكلام.

تابع الحديث قائلاً للإله «إيرا»:

إذا أنا تخليت ثانية عن مقعدى.

ستُحل ثانية عقدة التوازن بين السماء والأرض.

وستفيض المياه وتدمر البلاد.

ويصبح النهار المضئ ظلاماً.

وتهب العاصفة وتحجب نجوم السماء.

وتعصِفُ الريح الخبيثة فتحجب البصر لدى الأحياء.

وتنهض الأبالسة من الجحيم ويمسك الموت بالبشر.

وخناجر القتال غير قادرة عليهم.

تتدفق فتقتل الأحياء.

وما دمت لم أتقلد سلاحي ثانية فمن سيدحرهم؟

لما سمع الإله «إيرا» هذه الكلمات.

أخذ بالكلمات ثانية وقال للأمير «مردوخ»:

أيها الأمير «مردوخ» إلى أن تعود إلى بيتك،

وتطهر النار ثيابك تكون قد عدت إلى مكانك.

وسأحافظ أنا آنذاك على توازن الأرض والسماء.

وسأصعد إلى السماء صوب «الأيجيجي» كي أعطي أوامري.

وساهبط إلى اللجة وأراقب «الأنوناكي».

وسأطارد الشياطين الهائجة في بلاد اللاعودة.

وسأشهر ضدهم أسلحتي الفاتكة.

سأقيد جناحي الريح الخبيثة كما أقيد الطير.

وفي البيت حين تدخل.

من بابك كالثيران الحارسة شمالاً ويميناً.

أجعل الإلهين «آنو» و«إنليل» يرقدان أيها الأمير «مردوخ».

حين سمع الأمير «مردوخ».

أقوال «إيرا» لذّت له.

# اللوح الثانى

**فنهض «مردوخ» من على كرسيه الذى لا يمكن الذهاب إليه.**

**وتوجه نحو مسكن «الأنوناكى».**

**فدخل غرفته المقدسة واستقر فيها.**

**ولما دخل أطلق لمعانه.**

**وبما إنه توجه لمكان آخر فلم يعد يراقب الأرض.**

**فعصفت الرياح وحولت الظلمات إلى نهار مضئ.**

**والبشر فى كل البلاد. . .**

تختفى بعد ذلك معظم أسطر هذا اللوح، فلا يتبقى إلا فى حدود أربعين سطراً نرى فيها كيف أن «إيرا» قد أفصح عن مشاريعه التدميرية.

**أوسعوا لى الطريق فأنى سأقتحم الدرب.**

**فلقد انتهى الوقت وفات لأجل.**

**سأهيب بالشمس فتترك شعاعها.**

**وأغطى بالظلام الدامس وجه النهار.**

**وسأحجب وجه القمر أثناء الليل.**

**وسأقول لـ «حدد»: تمكن من فخذك.**

**واطرد الغيوم وأوقف الثلج والمطر.**

**فلقد مضى «مردوخ» ليجلب الحكمة من «إيا».**

**فمن كبر أيام الخصب فإنه يدفن أيام الحرمان.**

ومن ذهب فى طريق بَرَّدته المياه يعود فى طريق الغبار.

وسأقول لـ «مردوخ» اجلس على الكرسى فى المعبد.

وسيحققون لك أقوالك وينفذون أوامرك كاملة.

أما إذا دعاك (البشر) «أصحاب الرؤوس السود» فلا تقبل توسلاتهم.

ساضع نهاية لكل البلاد.

سأدمر المدن، فأحيلها خراباً.

سأهدم كل الجبال؛

وأمسح القطعان.

سأزلزل المحيطات، وأفرغ منها الخيرات.

سأقتلع الأشجار وغيضات القصب.

سأمحق البشر ولن أترك روحاً حية.

لن أترك واحداً يتناسى.

ولن أترك ما يحيا، لا المواشى ولا الحيوانات الأخرى.

وسأحكم من مدينة لأخرى.

الابن لن يبحث عن صحة والده.

ولا الوالد عن صحة ولده.

ستشتهى الأم الموت لابنتها فى أفراح الحب.

وسأدخل الخبيث مسكن الآلهة.

وفى مسكن الأمراء ساسمح للسارق أن يمر بحرية.

وسأدخل الدواب. . . .

وسأحرم الدخول فى المدينة المرموقة.

ومن يضع قدمه فى مكان سأخربه.

سأدخل فى مراكز المدن الحيوانات الوحشية.

وسأقيم الشؤم وأحزن المدن المقدسة.

وسأحول قصور الأمراء إلي صحارى.

وأضع حداً لصخب البشرية وأفقدها سعادتها.

# اللوح الثالث

لم يُعر «إيرا» فى غضبه انتباهاً لأحد.

ولم يصغ إلى المشورة التى يمكن أن تقدم له.

وكذلك إن شكله كالأسد وصوته كذلك صرخ قائلاً:

سأحول نور الشمس إلى ظلمة.

وسآخذ. . . . من بيته وأقصر أيامه.

وسأنهى حياة الصالح إذا ما اعترض.

وسأضع فى مكانه الخبيث الذى يجز الرقاب.

سأغير قلب البشر ولن يعود الأب يُصغى إلى ابنه.

والابنة ستضمر لأمها الكراهية.

وسأجعل كلامهم مقيتاً، وينسون إلههم.

وسيوجهون إلى آلهتهم وقاحات كبيرة.

وسأدفع باللصوص ليقطعوا الطرقات.

ويسرق الناس فى المدن ممتلكات بعضهم بعضا.

وسأجعل آلهتهم فى غيظ فيقتلون الناس.

وأثير غيظ «سيدة الخلق» فتضع حداً للولادات.

فتحرم المربية من صراخ كل طفل.

وسأبعد عن الحقول إلى الأبد كل أهازيج العاملين.

وسينسى الراعى السطح الواقى.

**سأحرم لباس البشر من كل لباس.**

**وسأجعل الشاب في ساحات المدن يذهب عارياً.**

**سأجعله ينزل تحت الأرض دون ثياب.**

**وسيحرم من ذبيحة الضأن الضرورية لحياته.**

**وسأحرم المريض من اللحم المشوى الذى يشتهيه قلبه.**

أربعة أسطر لم تكتمل يعـقبها نقص يقارب السبـعين بيتاً، إلا أن مطلع كل بيت موجود، فأمكن كتابة الأبيات من سياق القصيدة على النحو التالى:

**لقد هززت سلاحهم (الآلهة السبعة) فى وجه الأحرار من البشر.**

**وسقيت بدمهم ضواحى المدينة.**

**وفتحت شرايينهم وجعلت الدماء منها تسيل مع النهر.**

**لقد ناح «إنليل» من الألم وانقبض قلبه.**

**فنهض عن كرسيه.**

**كانت فى فمه لعنة لا كفارة لها.**

**وحلف ألايشرب من ماء النهر بعد اليوم.**

**وإذ أنه رأى دمهم فلن يدخل المعبد بعد اليوم.**

**فدعا «إيرا» «إيشوم» الذى يتقدمه.**

**كما دعا الآلهة السبعة، الأبطال دون منازع.**

**وليكونوا هم سلاحى الهائج.**

**وسر أنت أمامى وسر خلفى.**

**حين سمع «إيشوم» منه هذه الكلمات.**

أخذته الشفقة فقال فى نفسه:

«وأسفى على شعوبى الذين غضب عليهم إيرا».

وبالنسبة إلى «نرجال» فقد أثاروا لديه الثأر كما في أيام القتال.

ولم تتوقف ذراعاه استعداداً للقتل.

أما الخبيث «أنزو» فقد نشرت الشباك لاصطياده.

وعندئذ فتح «إيشوم» فاه فقال.

هذه الكلمات للشجاع «إيرا»:

«فيم لديك أفكار سيئة نحو الإله والبشر؟

ولماذا تضمر الشر ضد البشر «ذوى الرؤوس السود»؟

فأخذ «إيرا» في الكلام قائلاً،

هذه الكلمات لـ «إيشوم» السائر أمامه:

«أنت بالنسبة «للأيجيجى» تعرف الأفكار ورأى «الأنوناكى».

وللبشر «ذوى الرؤوس السود» تعطى الأوامر وتفتح إدراكهم.

فلماذا تتكلم وكأنك لا تعرف شيئاً؟

وتنصحنى وكأنك نسيت ما قال مردوخ.

لقد غادر «مردوخ» ملك الآلهة كرسيه.

فكيف يمكن لجميع البلاد أن تظل هادئة؟

لقد خلع تاج قداسته.

ونسى الملوك والأمراء واجباتهم كالعبيد.

وفك الوثاق الذى يغله.

**فانقطعت العلاقات بين الإله والإنسان.**

**ومن العسير إعادة ما أنقطع مرة أخرى.**

**وبعد أن جعلت النار المؤججة حلته تلمع كالنهار.**

**وأعاد ثانية بهاء ألوهيته الخلابة.**

**وكان يحمل المطرقة فى يمينه، سلاحه العظيم.**

**وقد اهتاج بصره.**

يوجـد تلف فى النص، وحين يعـود النص إلي الوضوح نجـد «إيشوم» مـا زال يوجه الكلام لـ «إيرا» مظهراً له اعتراضه على أفعاله التدميرية.

**أخذ «إيشوم» بالكلام قائلاً للمحارب «إيرا»:**

**إنك يا «إيرا» تمسك بأعنة السموات.**

**أنت السيد المطلق على الأرض كلها وتحكم البلاد.**

**إنك تلقى الاضطراب فى البحر ولك وحدك الأراضى المرتفعة.**

**أنت تحكم البشر وترعى المواشى.**

**إن «إيشارا» تحت تصرفك.**

**أنت تراقب «شوآنا»[1] وتدير «الإيزاجيل».**

**أنت فى ذاتك كل القدرات فترهبك الآلهة.**

**يخشاك «الأيجيجى» وترتعد أمامك فرائص «الأنوناكى».**

**وحين تبدى رأياً يصغى إليك «آنو» نفسه.**

(1) شوآنا: بابل.

ويطيعك «إنليل»، ولا اعتداء بدونك.

ولا قتال بدونك.

الدروع والمعارك من صنعك.

وحدثتك نفسك أن الآلهة أهملوك.

# اللوح الرابع

ألا ترهب أيها المحارب «إيرا» أمر الأمير «مردوخ»؟

فمن «ديمكوراكى»[1] مدينة ملك الآلهة (مردوخ).

عقدة البلاد، قد حللت العقدة.

وغيرت ألوهيتك كيما تمسى شبيهاً بالإنسان.

وتقلدت سلاحك ودخلت المدينة.

وتحدثت فى بابل مع السيد كمن احتل المدينة.

والبابليون كقصب المقاصب ليس لهم من رقيب.

لقد التحقوا بك كلهم.

فمن كان يجهل القتال أعلن المعركة.

ومن كان لايعرف العدو طار كالعصفور.

فأمسى الضعيف يسبق، والهزيل يتفوق على القوى.

وبحق الحاكم موّن مدينتهم المقدسة.

راحوا يتلفظون بالوقاحات الجسام.

فسدوا بأيديهم باب بابل الكبير مصدر رخائهم.

وفى معابد بابل أشعلوا النار كمن يحتل البلاد.

كنت أنت رئيسهم فأخذت زعيمهم.

ورميت «إنليل» بسهم فظل ينوح من الألم حتى اليوم.

(1) ديمكوراكى: تعنى بابل المعتبرة عقدة البلاد.

وغرق كرسى الإله «موهرا».

بدم الرجال والنساء.

إن سكان بابل أشبه بالعصافير.

وأنت جمعتهم فى الشبكة وأجهزت عليهم.

ومن ثَمّ تخلّيت عن المدينة وخرجت منها.

وجعلت نفسك شبيهاً بالأسد ودخلت القصر.

وحين رأوك تنكبوا سلاحهم.

وعندئذٍ غضب قلب الحاكم المنتقم لبابل.

فسيَّر جنوده وكأنه ذاهب لينهب العدو.

محرضاً على الشر الرئيس الذى يأمر الجند:

«فى هذه المدينة التى أرسلك إليها أيها الرجل.

لا تخش الإله ولا تخف من إنسان.

صغاراً وكباراً دون تمييز اقتلهم.

ومن الأطفال الرضع لا توفر أحداً»[1].

أما أنت فتستولى على أملاك بابل.

لقد تجمع جيش الملك ودخل المدينة.

وأخذ سلاح الرمى يبرق والخنجر يُستل.

---

(1) يريد «إيشوم» أن يوضح لـ «إيرا» إنه أصبح كالحاكم الذى يحتل مدينة، فيبيد جميع أهلها بلا تمييز، وبلا رحمة.

وهذا شبيه بما جاء فى نصوص العبرانيين. قارن سفر العدد: . 31 :17 - 18

**لقد شهرت سلاح هؤلاء الرجال الأحرار.**

**الذين كانوا يحمون به «دابو» و«آنو» و«داجان».**

**وسقيت من دمهم ضواحى المدينة.**

**واختلطت دمائهم بماء النهر.**

**وحين رأى السيد «مردوخ» ما صنعت.**

**انتحب من شدة الألم وانقبض قلبه.**

**وبدت لعنة لا غفارة لها فى فمه.**

**فحلف ألا يشرب من ماء النهر بعد اليوم.**

**وإذ رأى فيه دمهم، فإنه لن يدخل «الإيزاجيل».**

وبعد ذلك يأخذ «إيشوم» فى النواح والتأسف على بابل لما أصابها على يد «إيرا»:

**وأسفاه يا «بابل» لكأنك نخلة نضجت ثمارها فجففتها الرياح.**

**وأسفاه يا «بابل» لكأنك كرة الصنوبر التى امتلأت بالبذور.**

**ولم أحصل منها على كامل اللذة.**

**وأسفاه يا «بابل» كأنك الروضة السخية التى غرستها.**

**ولم آكل من ثمارها.**

**وأسفاه يا «بابل» لقد كنت أمسكها بيدى كلوحة الأقدار.**

**ولم أدعها لأحد.**

**وأسفاه يا «بابل».**

**ما دام قد جفّت المعابر على هذا النحو.**

وسمح بالعبور على الأقدام.

وامتد بطول الحبل عمق الآبار ولن يظل أحداً حيا.

إلا أن الدمار لم يلحق بابل وحدها، ولكنه انتقل إلى باقى المدن الأخرى:

و«سيبار» المدينة الأبدية التى لم ينل منها الطوفان.

ودون موافقة «شمش» هدمت جدارها ودمرت سورها.

و«أوروك» مسكن «آنو» و«عشتار».

مدينة بنات الفرح والبغايا وخادمات المعبد،

اللواتى حَرَمَتَهن «عشتار» من الزوج ليبقين فى خدمتها.

وهاهم «السوتيون» و«السوتيات» يطلقون صراخ الحرب.

الذين حوّلت «عشتار» رجولتهم إلى أنوثة من أجل إخافة البشر.

إنهم حملة الخناجر المحددة.

الذين يرتكبون الموبقات من أجل أن يُفرحوا قلب «عشتار».

وقد نصبت عليهم حاكماً قاسياً لا يمكن التعامل معه.

فأيأس الناس وانتهك طقوسهم.

وإذ امتلأت «عشتار» غضباً تذمرت من «أوروك».

وأثارت عدواً قضى على سكانها كالحنطة الطافية..

أما سكان «داكسا» فلم يتوقف نحيبهم بسبب دمار «ايوجال».

والعدو الذى أثرته يرفض السلام.

والإله الأكبر تفوه بدوره بهذه الكلمات:

لقد جعلت من مدينة «دير» فقراً.

وكسرت الناس وكأنهم قصب حيث يعيشون.

وأسكتّ ضجيجهم كالزبد على سطح المياه.

حتى أنا، لم تدعنى حراً فأسلمتنى إلى «السوتيين».

ولن أنطلق إذن من أجل مدينتى «دير».

بأحكام عادلة ولن أتخذ أى قرار لمصلحة البلاد.

لن أعطى أوامر ولن يعرف أحد إرادتى.

وعندئذ يتخلى الناس عن العدل ليتخذوا طرقاً ملتوية.

لقد تخلوا عن الخير ليعانقوا الشر.

وجعل الإله الرياح السبع تعصف على هذا البلد وحده.

فمن لم يمت بالحرب مات بالطاعون.

ومن لم يمت بالطاعون اجتاحه العدو.

ومن لم يجتحه العدو نهبه السارق.

ومن لم ينهبه السارق يأخذه سلاح الملك.

ومن لم يأخذه سلاح الملك صرعته الذئبة(1).

ومن لم يفن بفعل «عشتار» يُغرقه حدد ويختطفه «شمش».

ومن ذهب خارج البيت تجلده الريح.

ومن دخل بيته يضربه «رابيزو».

ومن صعد الأعالى يموت ظمآن.

ومن هبط إلى الأسفل يموت من كثرة المياه.

---

(1) صفة من صفات عشتار.

لقد جعلت الأعالى والأسافل على حد سواء.

تكلم حاكم المدينة إلى أمه على هذا النحو.

فى اليوم الذى ولدتنى.

ولأنك سلمتنى إلى مدينة حاكمها طاغٍ.

وسكانها كالقطيع وقاتلهم إلههم.

ومن لها زوج انتزعوا منها زوجها.

ومن له ولد، وقال:

«هذا سينتقم لى».

فهذا الولد أميته وأبوه يدفنه.

ثم أستلب روح الأب.

ولا يجد من يدفنه.

ومن بنى بيتاً لنفسه، وقال:

سيكون هذا البيت هو مثواى الأخير حال موتى.

هذا الرجل سأميته وأجعل بيته قفراً.

ثم أوهبه لشخص أخر.

فيا أيها المحارب «إيرا» لقد أمت بحق.

وأمت من دون حق.

لقد أمت من أهانك.

وأمت من لم يُهنك.

لقد أمت الكاهن الذى يرفع الأضاحى للآلهة.

لقد أمت حاشية الملوك المخلصين ورجالهم.

وأمت الشيوخ.

وأمت الأطفال.

ومع هذا لم تسترح.

وقلت فى نفسك: «كانوا مهملين».

كما قلت فى نفسك أيها المحارب «إيرا»:

أريد أن أقتل القوى.

وأصرع كل ضعيف.

أريد أن أقتل رئيس الجيش ليجبر الجيش على التراجع.

أريد أن أهدم قلية المذبح والأسوار.

وعلى هذا النحو تنتهى المدينة الحية.

سأخلع الصوارى فتضل السفينة سبيلها.

وأمزق الأشرعة فلا تصل السفينة شاطئها.

سأمزق الجبال إرباً رافعاً عنها راياتها.

سأجفف الصدور حتى يموت الصغار.

وأجفف الينابيع حتى تتوقف الأنهار عن الجريان.

سأجعل الجحيم يرتعد حتى ترتج السموات.

سأطفئ نور الكواكب والنجوم وأتركها دونما رعاية[1].

---

(1) حسب هذا المعتقد نجد أن نور النجوم يشتعل كل ليلة من قبل الآلهة الموكلين بها.

وسأتلف جذور الأشجار حتى لا تنتج الثمر.

سأخلع أساسات الجدران فتهتز أعاليها.

وإلى مسكن ملك الآلهة سوف أمضى حيث لن يعارضنى أحد.

ويبدو أن كلام «إيشـوم» قد ترك أثراً فى قلب «إيرا» فيقرر العـفو عن «أكاديين» فقط وتدمير ما عداهم.

وبينما يصغى إليه المحارب «إيرا».

كانت هذه الكلمات التى قالها «إيشوم» قد لذّت له.

فقال «إيرا»:

ليقف البحر فى وجه سكان البحر.

و«سوبارتو» فى وجه «سوبارتو»،

والأشورى ضد الأشورى.

والعيلامى ضد العيلامى والكاشى ضد الكاشى.

والسوتيانى ضد السوتيانى والجوتى ضد الجوتى.

واللولوبى ضد اللولوبى والبلاد ضد البلاد.

والبيت ضد البيت والرجل ضد الرجل والأخ ضد الأخ.

وليقاتل الجميع بعضهم ضد بعض دون رحمة.

وعند ذلك ينهض الأكاديون فيخضعوهم جميعاً.

وقال لمساعده «إيشوم» هذه الكلمات:

اذهب يا «إيشوم» وحقق بوسائلك تلك الأوامر التى ذكرتها.

فتوجه «إيشوم» إلى جبل «هيهى»[1].

وكان تحت طوعه الآلهة السبعة الأبطال.

وصل المحارب إلى جبل «هيهى».

ورفع يده ودك الجبل.

فمسح الجبل حتى القاعدة.

ومن غابة «هاشور» قطع أشجار الغابة الباسقة.

وقضى على الأماكن المسكونة وجعل منها صحراء.

ودمر الأراضى المرتفعة وقتل مواشيها.

وعكر مياه البحار وقضى على إنتاجها.

لقد أتلف المقاصب وأحرقها فى النار.

فاستولى الذعر على الدواب فاستحالت إلى تراب.

---

(1) جبل هيهى يقع غربى بلاد ما بين النهرين.

# اللوح الخامس

بعـد أن يستكن «إيرا» يخـبر الآلهـة بأن مخططه كـان إفناء البشـر وإبادتهم لولا تدخل «إيشوم» الذى جـعله يرجع عن رأيه فأبقى على الأكاديين وجـعل لهم الغلبة والحكم على ما عاداهم.

**بعد أن استكان «إيرا» وعاد إلى مكانه.**

**رنا كل الآلهة إلى وجهه.**

**«الايجيجى» و«الأنوناكى» كانوا كلهم فى هلع.**

**فأخذ «إيرا» بالكلام وقال للآهة:**

**انتبهوا أنتم كلكم، واحفظوا كلماتى.**

**نعم إنى بغلطة سابقة، خلقت الشر.**

**لقد وقعت فى شرك الغضب، ورغبت فى سحق البشرية.**

**وكجندى مرتزق أخذت فى القتل.**

**وكمن لم يغرس بستاناً لم أتردد فى قطع الرأس.**

**وكمن يخرب البلاد، فقد سحقت.**

**دون تمييز الصالح والطالح.**

**من فم الأسد وهو يزأر لا تنتزع الجثة.**

**وحيث يكون المرء فى غضب لا يسمع النصيحة.**

**ولولا «إيشوم» السائر أمامى، من يقدر ما كان سيحدث؟**

**فمن كان سيعنى بمعابدكم؟**

من كان سيقرب القرابين؟ ومن كان سيطلق البخور؟

ثم أخذ «إيشوم» بالكلام وقال،

موجهاً كلامه إلى المحارب «إيرا»:

أيها المحارب، انتبه إلى واسمع كلماتى:

نعم، عليك أن تهدأ الآن، ها نحن أمامك وتحت أمرك.

أين هو الذى يمكن أن يتصدى لك، فى يوم غضبك؟

عند سماع «إيرا» له أبرق وجهه.

وشعت تقاسيمه كالنهار الصحو.

ودخل فى «الإيعيشلام»[1] حيث عاد إلى مكانه.

وبصوت عالٍ، أعلن «إيشوم».

قدر أهل «أكاد» المشتتين كما يلى:

ليتضاعف من جديد عدد السكان الذين قتلوا.

وليطأ الصغير والكبير على السواء طريق «أكاد».

وليسحق الهزيل من الأكاديين السوتى القوى.

وليأت كل واحد بسبعة أسرى كالماشية الصغيرة.

سنجعل مدنه ركاماً وبواديه قفراً.

وستُأخذ إلى «شوّانا» الأسلاب الثقيلة.

أما آلهة البلاد الذين غضبوا.

ستعيدهم هادئين إلى مقاعدهم.

(1) معبد الإله نرجال.

**وسوف ننزل إلى هذه البلاد «شاقان» و«نيصابا»[1].**

**وتعيد إلى البوادى غناها وإلى البحر خيراته.**

**ستجعل الحقول التى أتلفت.**

**منتجة من جديد.**

**وسيقدم حكام جميع الأماكن المأهولة.**

**الجزية الثقيلة في «شوآنا».**

**ومن المعابد التى دمرت.**

**فلترتفع قمتها كشروق الشمس.**

**ويفيض دجلة والفرات بالمياه الغزيرة.**

**وسيجلب حكام الأماكن المأهولة الهدايا.**

**لـ «الإيزاجيل» و«بابل».**

**وليتوجهوا على مدى سنين لا عداد لها.**

**بالمديح إلى السيد الكبير «نرجال» وإلي البطل «إيشوم».**

**ويقولوا إن «إيرا» فى غضبه كان يتحفز لسحق البلاد وإفناء سكانها.**

**غير أن «إيشوم» مستشاره الذى هداه.**

**قد أبقى على من تبقى.**

وتنتهى القصيدة بخـاتمة من كاتب النص ويُدعى «كابتى - إيلانى - مردوخ» ابن «دابيبـو»، ويؤكد الكاتب أن هذه القـصيـدة قد أوحى إليـه بها فى منامـه من قبل الآلهة، وأنه دوّن ما رآه، ولم يسقط منه شيـئاً وبعد أن كتب الكاتب هذه الأسطورة سمعها «إيرا» و«إيشوم» ووافقاه على كل ما جاء بها.

(1) شاقان: إله الماشية. ونيصابا: إلهة المزروعات.

أما مؤلف هذه الواح «كابتى - إيلانى - مردوخ» ابن «دابيبو».

فقد ظهرت له فى الحلم فى إحدى الليالى.

وعندما أفاق فى الصباح لم ينس سطراً واحداً.

ولم يضف إليها سطراً واحداً.

لقد سمعها إيرا ونالت إعجابه.

راقت له أنشودة «إيشوم».

وعظمها معه جميع الآلهة.

وهكذا قال المحارب «إيرا»؟:

ستغمر الخيرات بيت من يقدس هذه الأنشودة،

ولن يتنسم من يهملها رائحة ذكية قط.

سيحكم الجهات الأربع من يرفع رسمى من الملوك.

أما من يرتل أنشودتى من المغنيين فلن يموت قتلا،

وتبقى كلماته حلوة الوقع فى آذان الملوك والأفراد.

والكاتب الذى يعملها عن ظهر قلب سينجو من أيدى العدو.

وفى مجمع المتعلمين حيث يذكر اسمى دون انقطاع،

سأفتح الأذان واسعاً.

أما البيت الذى يخزن هذه الألواح.

فلن يلقى ثورة «إيرا» وغضب «إيشوم»،

ولن يقرب منه سيف القتل.

فنصيبه السلام والرغد.

آلا فلتبق هذه القصة أبد الدهر.

ولتسمعها كل البلاد وتقدسها.

ولتنطق باسمى كل الأرض المسكونة وتبجله.

* * * *

# الفصل الخامس
# نزول عشتار إلى العالم الأسفل

ذكرنا فى موضع سابق[1] كيف نزلت «إنانا» إلى العالم الأسفل، وكيف أن سبب هذا النزول كان سبباً مبهماً، ولم تفلح جهود «كريمر» إلى كشف هذا الغموض، وكل ما جاء به من أسباب لا يعدو أن يكون مجرد احتمال، قد يكون راجحاً، وقد يكون مرجوحاً.

و«إنانا» - كما رأيناها فى الأسطورة السومرية - قدمت حبيبها وزوجها «دموزى» للعالم الأسفل (الموت) ليكون فداءً لها، أما فى الأسطورة البابلية - والتى سنعرض لها - فالأمر جد مختلف، فإنانا أصبح اسمها «عشتار»، أما «دموزى» فقد أصبح «تموز»، أما عن سبب نزول «عشتار» إلى العالم الأسفل فلم يعتريه أى غموض، فقد نزات «عشتار» إلى العالم السفلى كى تنقذ حبيبها «تموز» الذى تجرع كأس المنون.

وعن الطريقة التى مات بها «تموز» - حسب الأسطورة البابلية - يقول «ول ديورانت»: «وتموز هذا، ابن الإله «إيا»، كان راعى يرعى غنمه تحت «إريد» الشجرة العظمية التى تغطى الأرض كلها بظلها، وبينا هو يرعاها إذ شغفت بحبه «عشتار» وهى دوماً ظمأى إلى الحب، واختارته زوجاً لها فى شبابها، ولكن خنزيراً برياً يطعن «تموز» طعنه قاتلة فيهوى كما يهوى جميع الموتى إلى الجحيم المظلم تحت الأرض، وكانت تحكمه «ارشكيجال» أخت «عشتار» التى كانت تغار منها وتحسدها، وتحزن «عشتار» ويبرح بها الحزن، فتعتزم النزول إلى العالم السفلى لتعيد الحياة إلى «تموز»، وذلك بأن تغسل جروحه فى مياه إحدى العيون الشافية»[2].

---

(1) ارجع إلى اسطورة (إنانا ودموزى).

(2) قصة الحضارة - جـ 2 - ص 219.

ونعرض الآن للأسطورة كما جاءت بها النصوص[1]:

**إلى أرض اللاعودة مقر «أرشكيجال».**

**ركزت فكرها «عشتار» ابنة «سين».**

**نعم، ركزت فكرها ابنة «سين».**

**باتجاه مقر «إركالا»[2] المظلم.**

**صوب المقر الذى لا مخرج منه.**

**نحو الطريق الذى لا رجوع منه.**

**نحو المقر الذى لا يرى سكانه النور.**

**حيث الغبار طعامهم والتراب معاشهم.**

**لا يرون فيه النور ويقبعون فى الظلام.**

**عليهم أجنحة تنقلهم كالطيور.**

**بين أرجاء مسكنهم الذى علا الغبار أبوابه ومزاليجه.**

**وعندما وصلت عشتار إلى بلاد اللاعودة.**

**نادت حارس البوابة:**

**افتح بابك لأنى أريد الدخول.**

**وإذا لم تفتح الباب وتدعنى أدخل.**

**سأحطمه وأحطم مزاليجه.**

---

(1) انظر - رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، وفراس السواح - مغامرة العقل الأولى.
- Heidel, the Epic of Gilgamesh, phoenix Books, 1970.

(2) إركالا هى نفسها «إرشكيجال».

سأخلع عوارضه وأرمى مصاريعه.

سأطلق صراح الأموات فيأكلون الأحياء.

ويزداد عدد الأموات عن الأحياء.

فتح حارس البوابة فاه وقال:

«رويدك سيدتى لا تلقى بالباب أرضا.

سأخبر قدومك للملكة «أرشكيجال».

فدخل على «أرشكيجال» قائلاً:

«إنها أختك الواقفة بالباب.

تلك التى تقود الاحتفالات.

التى تعكر الأعماق فى وجه «إيا»».

فلما سمعت «أرشكيجال» هذا الكلام،

شحب لونها حتى غدا كلون شجرة مجتثة.

كما اسودت شفتاها مثل ندبات القصب.

(وحدثت نفسها): ما الذى حفزها لتحضر إلي؟

ما الذى وجه أفكارها إلى؟

إنى إذن سأشرب الماء مع بقية «الأنوناكى».

وبدل الطعام سألتهم التراب وبدل الجعة ماء العكر[1].

إنى إذاً سأبكى الفتيات اللواتى انتزعن من أحضان الأحبة.

---

(1) اعتقدت أرشكيجـال أن عشتار قد جاءت لتحرر سكان العالم الأسـفل (الأموات). وفى هذا تهديد خطير لمملكتها التى ستغدو خاوية برحيل سكانها، وبزوال سلطانها لن يقوم الأحياء بتقديم القرابين لها.

وأندب الطفل الضعيف الذى خُطف قبل أوانه.

والرجال الذين خلفوا وراءهم زوجاتهم.

فاذهب أيها الحارس وافتح لها الباب.

وعاملها وفق الشرائع القديمة (شرائع العالم السفلى).

ذهب حارس الباب وفتح لها الباب قائلاً:

«ادخلى سيدتى، فالعالم الأسفل يحييك بسرور.

وسيبتهج من أمامك قصر اللاعودة».

ولما مر بها عبر البوابة الأولى.

رفع عن رأسها التاج العظيم.

فقالت له: لماذا يا حارس البوابة أزحت عن رأسى التاج العظيم؟

فقال: ادخلى سيدتى، فهذه شرائع سيدة الجحيم.

ولما اجتازت الباب الثانى،

نزع عنها أقراط أذنيها.

فقالت له: لماذا أخذت أقراط أذنى؟

قال لها: إنها شرائع سيدة الجحيم يا مولاتى.

ولما جعلها تجتاز الباب الثالث.

نزع عقود اللآلئ عن عنقها.

فقالت له: لماذا أخذت لآلئ عنقى؟

قال: أدخلى مولاتى، إنها قوانين سيدة الجحيم.

ولما جعلها تجتاز الباب الرابع.

نزع عن صدرها الحلى.

فقالت: لماذا يا حارس البوابة نزعت عن صدرى الحلى؟

قال: أدخلى سيدتى، إنها قوانين سيدة الجحيم.

ولما اجتازت الباب الخامس.

نزع عنها حزام حجارة الإنجاب[1].

فقالت: لماذا أيها البواب نزعت عنى حزام حجارة الإنجاب؟

قال: أدخلى يا مولاتى، إنها قوانين سيدة الجحيم.

وبعد أن جعلها تجتاز الباب السادس.

نزع من يديها الأساور ومن قدميها الخلخال.

فقالت: أيها البواب لماذا نزعت أساورى وخلخالى؟

قال: أدخلى سيدتى، إنها قوانين سيدة الجحيم.

وبعد أن جعلها تجتاز الباب السابع،

نزع عنها ثياب جسدها.

فقالت: أيها البواب، لماذا نزعت عنى ثياب جسدى؟

قال: أدخلى يا سيدتى، إنها قوانين سيدة الجحيم.

فلما صارت عشتار فى قلب بلاد اللاعودة،

وقع عليها نظر «أرشكيجال» فاستعر غضبها.

ولكن «عشتار» اندفعت نحوها دونما تفكير.

---

(1) اعتادت النساء البابليات حمل حجاب من نوع معين مرصع بأحجار كريمة من شأنها تسهيل عملية الولادة.

ففتحت «أرشكيجال» فاها وقالت لوزيرها «نمتار»:

«أذهب يا «نمتار» واحبسها فى قصرى،

واطلق نحوها الستين علة.

علل العيون ضد عينيها.

علل الأذرع ضد ذراعيها.

علل الأرجل ضد رجليها.

علل القلب ضد قلبها.

علل الرأس ضد رأسها.

فإليها كلها أطلق العلل الستين».

وبعد أن نزلت السيدة عشتار إلى الجحيم،

الثور لم يعد يعلو العجلة.

والحمار لم يعد يعلو الأتان.

ولم يعد الشاب يُخصب المرأة الشابة.

فليرقد الرجل إذن وحده فى غرفته[1].

ولتنم المرأة وحدها إلى جانبه.

فانحنى أنف «بابسوكان» رسول الآلهة الكبار،

وأصبح وجهه مظلماً.

كان يلبس ثياب الحداد علامة الأسى.

---

(1) يفهم من ذلك أن الرجال والنساء قد تباعدوا جنسياً، فعشتار هى القوة الإخصابية الفاعلة فى الإنسان والنبات قد غابت عن الوجود وغابت معها كل مظاهر الإخصاب التى تعكسها فى الحياة.

هكذا أصبح وأخذ يبكى أمام أبيه «سين».

تساقطت دموعه أمام «إيا» الملك.

لقد نزلت «عشتار» إلى بلاد لا عودة منها.

فامتنع الثور عن اعتلاء العجلة.

والحمار عن إخصاب الأتان.

والفتى عن إخصاب الفتاة.

وأصبح الرجل ينام وحده فى غرفته.

وتنام المرأة الشابة وحدها إلى جانبه.

قلّب «إيا» الحكيم الأمر على وجهه فخطر له خاطر،

خلق «أسوشونمير» المخلوق الخصى[1]، وقال له:

امضى يا «أسوشونمير» إلي بوابة العالم السفلى.

وستفتح أمامك بوابات ذلك العالم السبع،

وتراك «إرشكيجال» وتبتهج لحضورك.

فإذا هدأت خواطرها نحوك واطمأنت لك.

دعها تقسم بجميع الالهة العظيمة (إنها سنفذ لك ما تطلبه).

ثم ارفع رأسك وحول نظرك إلى قربة ماء الـ «حالزاكو».

---

(1) يبدو من السياق العام للنص أن عشتار قد سجنت وتـعرضت لجميع الأوبئة، وحتى تستمر على هذا الحال فمن المؤكد أن «ارشكيجال» قـد أقسمت علناً أنها لن تمنح شيئاً لمخلوق انجبـه إنسان أو إله، وذلك لأن مساعدة «عشتار» بيدها وحدها، وبذلك لن تقدم لها شئ ولا لأى وسـيط، لأنه سيكون قد أنجبه إله أو إنسان، لذا فقد خلق «إيا» مـباشـرة هذا المخلوق «اسو – شـو – نميـر» ليس له أم تنجبـه، بل وليس لديه القـدرة على التناسل «خصى»، وفى نفس الوقت كان جميـلاً حتى تميل إليه «ارشكيجال» وتنفذ له كل ما يطلبه فـيكون سبباً فى نجاة «عشتار» ومن ثم «تموز».

وقل لها: سيدتى، هلا أمرت لى بقربة ماء الـ «حالزاكو»؟ فأشرب منها.

فلما سمعت أرشكيجال هذا القول[1]،

ضربت حجرها بكفيها وعضت على أصابعها، وقالت:

لقد أبديت رغبة ما كان لك أن تبديها.

والآن يا «أسوشونمير» سألعنك لعنة كبرى:

لتكن مجارير المدينة من حيث تشرب.

وليكن خبز محراث المدينة طعامك.

وليكن ظل السور مسكناً لك (دون البيوت).

وليصفع وجهك السكير.

وتابعت «أرشكيجال» كلامها قائلة لرسولها «نمتار»:

«أذهب يا «نمتار» وأطرق باب الـ «ايجالجينا»[2].

وزين العتبات بالمرجان الأبيض.

أذهب واستدع «الأنوناكى» واجلسهم على مقاعد من ذهب.

وانضح عشتار بماء الحياة وخذها بعيداً عنى».

فمضى «نمتار» وقرع باب الـ «ايجالجينا».

وبعد أن زين العتبات بالمرجان الأبيض.

استدعى «الأنوناكى» وأجلسهم على مقاعد من ذهب.

ثم نضح عشتار بماء الحياة وأخذها بعيداً عن «ارشكيجال».

(1) قام ناسخ النص بالاختصار، وقفز بنا من مجـرد التعليمات التى أعطاها «إيا» لمخلوقه الغريب «الخصى» إلى تنفيذ التعليمات بالفعل.

(2) قصر العدالة فى العالم الأسفل ومسكن الآلهة.

فأخرجوها من الباب الأول.

فسلمها البواب ثياب جسدها.

وأخرجوها من الباب الثانى.

وسلمها البواب أساور يديها وخلخال قدميها.

ومن الباب الثالث أخرجوها.

وأعاد إليها البواب الحزام ذا الحجارة الكريمة حجارة الإنجاب.

ومن الباب الرابع أخرجوها.

فأعاد البواب إلى صدرها جميع الحلى.

ومن الباب الخامس أخرجوها.

فأعاد إليها البواب لآلئ عنقها.

ومن الباب السادس أخرجوها.

فأعاد إليها البواب أقراط أذنيها.

ومن الباب السابع أخرجوها.

فأعاد إليها البواب تاج رأسها.

فإن لم تعطه الفدية المقررة كان عليه إرجاعها من حيث أتت.

أما «تموز» زوجها الشاب،

فخذوه واغسلوه بماء طهور وضمخوه بالعطور الطيبة،

البسوه عباءة حمراء ودعوه يعزف نايه اللازوردى.

ولتحط به كاهنات «عشتار» يهدئن من خواطره[1].

* * * *

(1) وبهذا المقطع الأخير يلتقى الزوجان مرة أخرى على سطح الأرض.

# الفصل السادس
# أسطورة آدابا

تعد أسطورة «آدابا» من الأساطير التى يمكن أن نطلق عليها «أساطير الحكماء»، وإذا كانت معظم أساطير الحكماء ترتبط بالملوك، أى أن العلاقة تكون فى وسط إنسانى فقط، حيث إن الحكيم بشر وكذلك الملك الذى يستشيره ويطلب منه النصح، إلا أننا فى أسطورة «آدابا» سنرى أن الأسطورة تدور أحداثها بين الحكيم الإنسان وغيره من الآلهة.

ويوجد نص[1] مكتوب باللغتين السومرية والأكادية يحمل أسماء الحكماء السبعة الأسطوريين:

– وأول الحكماء هو «آدابا» الذى يصفه النص بأنه المطهِّر فى معبد «أريدو» الذى صعد إلى السماء.

ويعرف النص الباقين بأنهم سبعة «أبكالّو» أى رؤساء، نشأوا فى النهر الذى يسهر على عمل الخطط الصحيحة للسماء والأرض وهم – بعد آدابا – كما يلى:

– «نون بيرجال نون جالدم» حكيم الملك «إنمركار» الذى أنزل «عشتار» من السماء إلى معبد «إيانا» (أى بيت السماء فى أوروك).

– «بيرجال نون جال» الذى خُلق فى «كيش» وأغضب الإله «حدد» فى السماء فأوقف المطر والنبات ثلاث سنوات.

– «بيريجال أبزو» الذى عاش فى «إريدو» وعلق دلوه بسمكة «سوها رماشو» فأغضب الإله «إيا» فقطع فقرات دماغه.

(1) انظر – سهيل قاشا – الحكمة فى وادى الرافدين، ورينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية.

- «لونانا»، ثلثاه حكيم، والذى أخرج التنين «أوشنجـالو» من «إنينكارا نونا» معبد عشتار (الذى أنشأه) الملك «شولجى».

- (وأما الباقون) فهم بشر وهبهم السيد «إيا» إدراكاً كاملاً وواسعاً.

وتروى لنا أسطورة «آدابا» كيف أن الإلـه «إيا» خلقه لخدمة مـعبده، وأسـبغ عليه الحكمة، إلا أنه لم يهبه الحياة الأبدية، وفى أحد الأيام وبينما كان «آدابا» يقوم بصيد السمك هبت عليه رياح الجنوب، وقلبت له قاربه، فلعنها وكـسر لها أحد جناحيها، مما أغضب «آنو» كـبير الالهة، فدعـاه إلى السماء للمثـول أمام المحكمة، فيـصعد «آدابا» إلى السمـاء مزوداً بتعليـمات أعطاه إياها الإله «إيا»، إلا أن هذه التعليـمات حرمت «آدابا» من الحصول على الخلود الأبدى، وكأن «إيا» لم يُرد له هذا الخلود، الذى لا يحصل عليه إلا الآلهة.

ولعل القصـة تبرز فكراً فلسفياً مـؤاده - وكما رأينا فى ملحمـة جلجامش - أن الإنسان خلق ليموت، ولن يحصل على حياة الخلود مهما فعل، لأن الآلهة ستأبى هذا، فالإله «إيا» عندما خلق «آدابا» خلقه بشـرا، ولم يقدر له أكثر من هذا، حتى وإن أعطاه الكثير من الحكمة التى أعلمته بعض أسرار السماء، والتى بها استطاع أن يكسر جناح رياح الجنوب، فهو فى النهاية إنسان، وسيلاقى نفس المصير الذى يلاقيه البشر أجمع.

وقد عـثر على الأسطورة فى نسخـتين فى مكتبة «آشـور بانيبال»، وكل نسـخة مكتوبة بخط مغاير، وتختلف قليلاً فى روايتهـا عن الأخرى، كما عثر على نسخة منها بالخط المسمارى فى أرشيف الفرعـون المصرى «أمنحوتب الثالث» بجانب بعض النصوص الأخرى كأسطورة «نرجال وأرشكيجال» السابق عرضها.

والان إليك نص الأسطورة[1]:

**لقد أعطى كل الحكمة [. . . .].**

**وأمره من أمر آنو وكلمته [. . . .].**

**لقد زُود بالفهم الكامل لإنفاذ كلمة الآلهة على الأرض.**

**لقد أعطى الحكمة ولكنه لم يُمنح الحياة الأبدية.**

**فى تلك الأزمان كان هذا الحكيم من مواليد «أريدو».**

**«إيا» خلقه ليكون أول البشر ورائداً لهم.**

**وأمر «إيا» كان نافذاً لا راد له.**

**فهو البارع والفائق الحكمة بين الآلهة.**

**خلق «آدابا» القديس حافظاً للمعبد وقيماً على الشعائر.**

**فكان خبازاً يصنع الخبز.**

**كان خبازاً يقدم الخبز لـ «أريدو».**

**كان يقدم الطعام والشراب كل يوم لأريدو.**

**ويهيئ بيده الطاهرة مائدة القرابين.**

**ويرفع الأطباق وحده.**

**كان يقود السفينة ويصطاد السمك من أجل «أريدو».**

**فى تلك الأزمان، كان «آدابا» ابن «أريدو».**

(1) انظر: رينيه لابات وآخرون، سلسلة الأساطير السورية، وفراس السواح، مغامرة العقل الأولى. وانظر كذلك:

- A. Heidel, the Babylonian Genesis.

- Speiser, Akkadian Myths (in Ancient Near Easter Texts).

يسهر على مكان «أريدو» المقدس إذ يكون «إيا» مضطجعاً على سريره.

وذات يوم أبحر فى مركبه الشراعى على الرصيف المقدس.

فعصفت الرياح، وكادت السفينة أن تتوه.

وبالعصا فقط أصبح يقود السفينة.

وإذ وصل البحر الواسع.

بدأ يصطاد، وكان البحر كالمرآة.

غير أن «ريح الجنوب» بدأت تعصف وكادت تغرقه.

وتنزله حيث مرقد الأسماك.

فصرخ: أيتها الريح الجنوبية.

لتكن ملعونة كل أعمالك المؤذية.

فهل أكسر جناحك!

وعندما نطق هذه الكلمات.

إذا بجناح الريح الجنوبية ينكسر.

وطوال سبعة أيام لم تهب الريح الجنوبية على البلاد.

فدعا «آنو» وزيره «لابرات» قائلاً:

لماذا لم تهب رياح الجنوب فى الأيام السبعة الأخيرة؟

فأجابه وزيره «لابرات»: يا سيدى.

إن «أدابا» ابن «إيا» كسر جناحها.

فلما سمع «آنو» هذا القول،

قام عن كرسيه.

وصاح قائلاً: ليأتوا إلى به فى التو.

وهنا عرف «إيا» بالأمر، وهو المطلع على مجريات السماء.

فألبس «أدابا» شعراً طويلاً وسخاً.

وأعطاه وشاح الحداد ليضعه عليه.

وزوّده بهذه التعليمات:

يا «آدابا» إنك ستذهب إلى «آنو» وتمثُل أمامه.

وفى صعودك ستأخذ طريق السماء،

وتقترب من بوابة «آنو».

وسيكون فى حراستها «تموز» و«جيزِّيدا»[1].

وعندما يرياناك سيطرحان عليك بعض الأسئلة:

أيها الإنسان، من أجل من تبدو فى هذه الهيئة؟

من أجل من ترتدى وشاح الحزن؟

فتجيب: لقد غاب عن الأرض إلهان.

ولذا فأنا حزين عليهما. فيسألان:

ومن هما الإلهان الغائبان؟ فتجيب:

إنهما «تموز» و«جيزِّيدا».

وهنا سينظران لبعضهما.

---

(1) تموز: إله الخصب والنبات، الذى يموت وينبعث حياً كل سنة (راجع اسطورة إنانا ودموزى).

- «جيزيدا»: الإله الأفعى الذى يتجدد سنوياً. وهكذا يكونان (تموز وجيزيدا) فى مركز وسط بين الخلود كالآلهة والموت كباقى الأحياء، لذا، فقد وقفا عند باب الإله، وليس فى داخله، مع الآلهة، أو بعيداً عنه كالبشر. انظر

- الحكمة فى وادى الرافدين - ص 23.

وسيبتسمان ويقولان لك قولاً كريماً،

وسيقفان إلى جانبك فى حضرة «آنو».

ولسوف يقدمون لك طعام الموت.

فلا تأكله، وشراب الموت سيقدم إليك،

فلا تشربه، وسيعطونك عباءة.

فالبسها، وزيتاً، فادهن به نفسك.

هذه وصاياى، فاعمل بها، والكلمات،

التى أقولها لك، فاحفظها.

ثم وصل رسول «آنو» وقال:

لقد كسر «آدابا» جناح رياح الجنوب.

وعليه أن يمْثُل أمام «آنو».

فدله على طريق السماء.

وعندما وصل إلى السماء.

واقترب من بوابة «آنو».

كان «تموز» و«جيزِّيدا» يقفان على البوابة.

وما أن شاهداه حتى صاحا به:

أيها الإنسان، من أجل من تبدو فى هذه الهيئة؟

«آدابا» من أجل من تتوشح وشاح الحزن؟

فأجاب: لقد غاب عن الأرض إلهان، ولذا فأنا حزين.

فقال له: من هما هذان الإلهان اللذان غابا عن الأرض؟

فأجاب: إنهما «تموز» و«جيزيدا» فنظرا إلى بعضهما،

وابتسما، وعندما دخل «آدابا» على «آنو» الملك،

رفع «آنو» صوته لما رآه قائلاً:

اقترب منى يا «آدابا». لماذا كسرت جناح رياح الجنوب؟

أجاب «آدابا»: يا سيدى،

لقد كنت أصطاد السمك فى عرض البحر لبيت سيدى (إيا)،

وكان البحر هادئاً كالمرآه.

ثم هبت ريح الجنوب لتغرقنى.

دافعة بى إلى عالم سيدى[1]، وفى ثورة غضبى،

لعنت رياح الجنوب. وعندئذٍ

أخذ كل من «تموز» و«جيزيدا» يدافعان عنه.

فهدأت خواطر «آنو» ولبث ساكناً:

لماذا كشف «إيا» لإنسان غير مستحق.

مكنونات السماء والأرض.

ومنحه قلباً صلباً وجعل له اسماً.

فماذا نصنع به؟ هاتوا له،

طعام الحياة ليأكل منه.

فجلبوا له طعام الحياة فلم يأكل.

وجلبوا له مياه الحياة فلم يشرب.

(1) عالم إله المياه «إيا».

وجلبوا له عباءة فلبسها.

وجلبوا له زيتاً فدهن به نفسه.

فنظر «آنو» إليه وضحك منه:

تعالى يا «آدابا». لماذا لم تأكل ولم تشرب؟

إنك بهذا لن تكون خالداً.

(فقال «آدابا»): لقد نصحني «إيا» سيدي،

ألا آكل أو أشرب.

فقال «آنو»: خذوه وأعيدوه إلى الأرض.

# نسخة ثانية من نص الأسطورة
# اللوح الأول

(البداية تالفة)

عندما سمع «آنو» هذه الأمور،

[.....] وفي ثورة غضبه وحنقه،

[.....] أرسل من عنده رسولاً،

[.....] غير أن «إيا» العليم بسرائر الآلهة العظيمة،

[.....] أرسل كلمة لـ «آدابا»،

[.....] فحضر «آدابا» إلى «إيا» الملك.

[............].

ثم إن «إيا» العليم بما تخفى صدور الالهة،

دله على طريق السماوات.

وأسدل عليه شعراً طويلاً.

[.....] وألبسه وشاح لحزن،

واخذ ينصحه قائلاً له:

أى «آدابا» ستمضى الآن إلى «آنو» الملك.

فاسمع وصاياى واحفظ كلماتى.

عندما تصعد إلى السماء وتقرب بوابة «آنو»،

ستجد «تموز» و«جيزيدا» على بوابة «آنو».

(البقية مكسورة).

# اللوح الثانى

(البداية تالفة).

**أمر له بالزيت، فدهن به نفسه.**

**وطلب له العباءة فلبسها.**

**وعند ذلك ضحك «آنو» من أفعال «آدابا» (وقال):**

**يا آلهة السماء، من حفزه على ذلك؟**

**مهما كان كبيراً ومعادلاً لـ «آنو».**

**بيد أن «آدابا» قد شاهد السموات من أساساتها حتى السمت.**

**لقد تمكن من مشاهدة بهاء «آنو» الذى لا يقاوم.**

**وعندئذٍ وضع «آنو» على «آدابا» يداً راضية.**

**ومنح لمعانه إلى «أريدو» مدينة «إيا»[1].**

**وحدد قدره بأن يزهو ويزهو كهنوتها إلى الأبد.**

**فماذا فعل «آدابا» البشرى؟**

**إنه كسر جناح الريح الجنوبية بوسائله الخاصة.**

**وبلا عقاب صعد إلى السماء، وليكن الأمر هكذا:**

**«إلى كل بشر تؤذيه الريح الجنوبية،**

---

(1) الواضح الجلى فى هذا الجزء من النص أن الإله «إيا» إله الحكمة قد تعمد أن يعطى لـ «آدابا» التعليمات الخاطئة ليثبت للإله الأعظم «آنو» أن الإنسان مهما بلغ بمعارفه، فلن يصل إلى مصاف الآلهة ولن ينال حقوقهم، لذا كانت المكافأة له قرار الإله الأعظم «آنو» بأن يزهو كهنوته ويبقى ممجداً فى مدينة «أريدو» أى يبقى مسئولاً عن شئون الحكمة بين الناس فى المدينة - انظر - الحكمة فى وادى الرافدين - ص 23.

**وأى مرض يصيب أجساد البشر.**

**فإنه مع «تنكارا»[1] يمكن أن يشفى.**

**فلتذهب إذن العلة ويذهب المرض.**

**ومن دونه فلتقع الحمى الثلجية.**

**وليستمر المرض دون أن يرتاح فى نوم لذيذ.**

وبعد أن عـرضنا لنصى الأسطورة، نستطيع أن نسـتشف الحكمة التى حـوتها، وهى أن الإنسان مـهما بلغت حكمـته فإنهـا محدودة، ولن يسـتطيع أن يصل إلى حكمة الإله، ومعرفة ما سيـدبره، فالذى منع «آدابا» من الحصول على حياة الخلود - هو تنفيذه لأوامـر «إيا» وطاعته إياه طاعةً عمـياء، وشكه بنية الإله الإعظم، ولولا هذا الشك الإنسانى، ولولا أنه سـهل الخداع لكان الإنسان - طبـقاً لهذا المعتـقد - ينعم بحياة الخلود.

ولعل القـارئ لهذه القصـة بتمـعن، يلمح فيـها تشـابهاً مع مـا حدث مع آدم وحواء، وكـيفيـة خداع إبليس لهمـا حتى أخرجـهما من الجنة، وأقـول للقارئ لا تندهش من هذا التـشابه، فقـد ذكرنا عند الحـديث عن أساطير الـطوفان أن بداية الإنسان كانت الإيمان والتوحيد، وليست الكفر والشرك، وعندما كان يختفى التوحيد ليحل محله الشـرك وتعدد الآلهة، كانت تصاغ النصـوص - والتى لابد أنها كانت فى الأصل سماوية - كانت تصاغ بلسان الإلحاد، حتى ظهرت لنا بهذه الصورة.

* * * *

(1) «تنكارا»: إله الشفاء.

# الفصل السابع
# أسطورة إيتانا

أطلق البابليون على هذه الأسطورة عنوان «عندما الالهة رسموا المدينة»، وذلك كعادة البابليين والسومريين أن يسموا الملحمة أو الأسطورة بالعبارة التى يفتتحون بها النص. والأسطورة تبدأ بمقدمة تظهر الوقت الذى لم تكن فيه الملكية قائمة على الأرض، ويعقب ذلك التمهيد لقيام هذه الملكية على الأرض.

وبعد التلف الذى يعترى ألواح هذه الأسطورة، نرى الأحداث قد قفزت فجاءة لتروى لنا أحداث قصة قد تبدو مستقلة تماماً عما سبقها، وذلك لأن تلف النص لم يتح لنا فرصة لمعرفة كيفية الربط والتسلسل بين مختلف أحداث الأسطورة. وهذه القصة التى ظهرت فجأة تدور أحداثها بين حية ونسر، تعاهدا أن يعيشا معاً فى أخوة وصداقة، إلا أن النسر ينقض عهده ويلتهم صغار الأفعى، وعندما عادت إلى صغارها لم تجدهم، وهنا يتدخل الإله «شمش» ليساعد الحية على الثأر لصغارها، ولمعاقبة النسر الذى لم يوف بعهده رغم نصيحة ابنه الأصغر له بأن يعدل عن افتراس صغار الحية، وبحيلة يضعها الإله «شمش» - كما سنرى - تستطيع الحية أن تقوم بنتف ريش النسر، وتلقى به فى حفرة ليموت جوعاً وعطشاً.

وهنا يظهر «إيتانا»[1] على مسرح الأحداث، حيث كان يتوسل للإله «شمش» ليمنحه نبتة الإنجاب حتى يكون له نسل، فيدله «شمش» على مكان النسر، وأفهمه أنه سيكشف له عن نبتة الإنجاب، وبالفعل يصل «إيتانا» إلى مكان النسر، ويتعاهدا

(1) يظهر «إيتانا» فى النصوص القديمة كملك رابع لسلالة «كيش» الاولى، أى العاهل الثالث عشر الذى حكم بعد الطوفان، وقد سجلت له هذه النصوص عمراً طويلاً يقارب 635 سنة، كما تذكر بعض النصوص أنه عاش 1500 سنة.

على أن ينقذه «إيتانا» مما هو فيه على أن يكشف له «النسر» عن نبتة الإنجاب ويوصله إليها.

وبعد أن يتعافى النسر، ويظهر ريشه من جديد، يركب «إيتانا» فوق ظهره، حتى يصعد بـه إلى السموات ليحـصل على نبتة الإنجاب، إلا أن «إيتـانا» لن يستطيع أن يكمل الطريق لنهايته، وستبوء مغامرته بالفشل.

والآن نعرض لنص الأسطورة.

# اللوحان الأول والثانى

عندما الالهة رسموا مخطط المدينة...[1].

وأسس الآلهة المدينة...

وضع الآلهة أساساتها...

والآلهة الكبار «أنوناكى» محدُّو الأقدار.

تشاوروا وهم فى المجمع بشأن البلاد.

مع آلهة الكون الذين يخلقون كل شكل.

مهيبة كانت هيئة «الأيجيجى» فى نظر البشر.

لقد حددوا للبشر عيد راس السنة.

دون أن يعينوا ملكاً يحكمهم.

فلم يكن حتى ذلك الزمان من عمرة أو إكليل.

ولا من صوبلجان مرصع بالازورد.

ولا من عرش قد أقيم حتى ذلك الحين.

وكان الآلهة السبعة يوصدون الأبواب وراء البشر.

وفى الأماكن المأهولة كانوا يوصدون الأبواب وكان.

«الأيجيجى» يحيطون بالمدينة.

---

(1) انظر: رينيه لابات، سلسلة الأساطير السورية (ديانات الشرق الأوسط)، وسهيل قاشا، الحكمة فى وادى الرافدين.

, Kramer, the sumerians.

وفى ذلك الوقت كانت «عشتار» ترغب فى إيجاد راع للبشر.

فكانت تفتش عن ملك للبلاد.

وترغب «إنانا» فى إيجاد ملك البلاد.

فأخذ «إنليل» فى التحرى عن عروش فى السماء.

ففتش فى كل مكان عن عرش الملك.

لأنه لم يكن بعد من ملك فى البلاد.

وعندئذ نزلت الملكية من السموات.

فقرر «إنليل» أن يخلق ملكاً للبلاد.

وآلهة للبلاد. . .

وهنا يتوقف التمهيد، لوجود كسر فى اللوح، وعندما يعود النص مرة أخرى يعرض لقصة «النسر والحية» والتى أشرنا إليها آنفاً.

فتح النسر فمه وقال للحية:

تعالى نتصالح نحن الأثنين.

ولنكن شريكين أنا وأنت.

فتحت الحية فاها وقالت للنسر:

تعال إذن نعقد صلحاً أمام «شمش»[1].

ولتكن هناك عقوبة شديدة لمن يخل بالعقد.

وليكن لنا نحن الأثنين بمثابة محرّم من قبل الآلهة.

تعال ننهض ونتسلق الجبل.

(1) يبدو أنه كانت هناك عداوة بين الإثنين.

ولنقسم بالجحيم أن نبقى أصدقاء.

وعندئذٍ أقسما اليمين أمام «شمش»:

من منا يخل بقسم «شمش»،

فليقدمه «شمش» إلى يد الجلاد.

من منا ينتهك حدود «شمش»،

فليفقد الطريق ولا يعرف الدرب.

ولتُبعده الجبال عن مناقدها.

والسلاح الذى يطلق فليرتد إليه.

وفخ «شمش» المحرم ليصرعه ويجعله أسيراً.

ولما أقسما بالجحيم أمام «شمش»،

وبعد أن نهضا وتسلقا الجبل،

انجبا الأولاد سوياً.

ووضعت الحية فراخها فى ظل شجرة صفصاف،

بينما وضع النسر فراخه فوقها.

وكان كل واحد منهما يراقب الكواسر.

وعندما كان النسر يأتى بصيد من الثيران أو الحمار الوحشى،

كانت الحية تأكل مع فراخها من هذا الصيد.

وعندما كانت الحية تجلب من صيد العنز البرى أو الغزلان،

كان النسر يأكل مع فراخه من هذا الصيد.

وعندما كانت الحية تجلب من صيد فهود الصحراء ومن حيوانات البر.

كان النسر وفراخه يأكلون بدورهم منها.

فالنسر والحالة هذه كانت له حصة من الغذاء.

فكبرت فراخه وأصبحت بالغة.

وبعد أن كبرت فراخ النسر ونمت أجنحتها،

راودت النسر أفكار سيئة.

وبعدها قرر أن يلتهم صغار حليفته.

ففتح النسر فاه وقال لصغاره:

«إنى سألتهم صغار الحية.

وحتى أفلت من غضب الآلهة،

سأصعد إلى السموات واستقر فيها.

ولن أحط على رؤوس الأشجار لآكل من ثمارها».

فانبرى أصغر الفراخ وكان أذكاهم،

قائلاً لأبيه النسر:

«يا أبتِ لا تأكلها لأن شبكة «شمش» ستنال منك،

إن لعنة «شمش» ستطرحك وتأسرك.

إن من ينتهك حرمة «شمش»،

فإن «شمش» يحيله إلى يد الجلادين».

ولكن النسر لم يصغ إلى كلام ابنه.

وما كان منه إلا أن نزل والتهم فراخ الحية.

وفى المساء عند المغيب عادت الحية،

حاملة بعض اللحم.

ووضعته قرب حجرها.

وتطلعت فرأت عشها قد اختفى.

فانحنت ولكنها لم تجد فراخها.

فبأظافرها فلحت الأرض.

وارتفع الغبار من العش وغطى السماء.

وبعدها نامت الحية وهى تبكى.

انهمرت دموعها أمام «شمش» قائلة:

«لقد وثقت بك يا «شمش» البطل،

إنى قدمت إلى النسر كل واجبات الصداقة.

لأنى خفت من قسمك واحترمته.

ولم أفكر بالأذى تجاه صديقى.

أما هو فقد بقى عشه سليماً وأما عشى خرب.

إن عش الحية أصبح مكان التوجعات.

فراخه بقيت سليمة بينما فراخى فُقدت.

لقد نزل والتهم ذريتى.

إنك تدرك حجم مصيبتى يا «شمش».

فإذا كانت شبكتك بالحقيقة سعة الأرض،

وحبالك ملء السموات الواسعة،

فيجب الا يفلت النسر من شبكتك.

إنه صانع الشر والخطيئة».

فلما سمع «شمش» شكاوى الحية،

فتح فاه وقال لها:

«اسلكى هذا الطريق الذى يجتاز الجبل،

ومن أجلك قتلت ثوراً وحشياً،

فافتحى جنبه واثقبى بطنه،

واستقرى فى بطنه.

وعندئذ، تتنزل جميع طيور السماء لتأكل من لحمه،

ويكون النسر قد أتى ليأكل من لحمه،

دون أن يدرك الشقاء الذى سيحل به.

ومن اللحم فإنه سيفتش عن الرخص،

فيقترب من الدهن الذى يغطى الأحشاء،

وعندما يلج أمسكى بجناحيه،

اقطعى ريشه ورفلته.

وانزعى جناحيه واطرحيه فى جحر،

حيث يموت من الجوع والعطش».

وكا قال لها البطل «شمش»،

ذهبت الحية واجتازت الجبل.

وعندما وصلت إلى الثور الوحشى،

فتحت جنبه، ثم ثقبت بطنه واستقرت فيه.

وعندما أتت جميع الطيور،

وحطت لتأكل اللحم،

فلو كان النسر على علم بما سيصيبه،

لامتنع عن أكل اللحم مع الطيور.

بيد أن النسر فتح فاه وقال لفراخه:

هيا ننزل ونأكل نحن أيضاً من لحم الثور الوحشى.

فقال أصغر فراخه وأذكاهم:

قال هذه الكلمات لأبيه:

«لا تنزل يا أبتِ،

فربما كانت الحية كامنة فى جوف الثور».

ولكن النسر لم يأبه له فقال:

«سأنزل وآكل من لحم الثور لوحشى،

كيف يمكن للحية أن تأكلنى»؟

إنه لم يصغ إلى فراخه ولم يصغ إلى ما قال ابنه.

فنزل وحط فوق جيفة الثور الوحشى،

وفى المرة الأولى دقق النسر فى اللحم،

ليرى كل شئ أمامه وخلفه،

وبالدرجة الأولى دقق فى اللحم.

فتش كل ما يمكن أن يكون أمامه وخلفه.

وأخذ يتقدم خطوة خطوة بكل حيطة.

حتى وصل إلى الدهن الذى يغطى الأحشاء،

وعندما دخل تعلقت الحية بجناحيه.

ففتح النسر فاه وقال للحية:

«اشفقى على وسأقدم لك هدية كما لو كنت خطيبتى».

غير أن الحية فتحت فاها وقالت:

«إذا تخليت عنك فبماذا أجيب «شمش» فى الأعالى؟

إن نتائج عقابك سترتد علىّ.

العقاب الذى أنا بالتأكيد سأنزله عليك».

وما كان منها إلا أن قطعت ريشه ورفلته،

ونزعت جناحيه وطرحته فى جحر.

حتى يموت من الجوع والعطش.

وفى كل يوم كان النسر يتضرع إلى «شمش» ويقول:

«هل حقاً سأموت من الجوع فى هذا الجحر؟

من يعرف إنى أسأم هنا من قصاصك؟

أنا النسر دعنى أعيش.

وإلى الأبد سأمجد اسمك».

فتح «شمش» فاه وقال للنسر:

«أنت كنت سيئاً، لقد فرحت قلبى،

لقد انتهكت حرمة الآلهة وكل محظور،

وحتى إذا أشرفت على الموت فلن أقترب منك،

ولكن، لا ، فسأرسل لك إنساناً يساعدك».

وهنا يظهر «إيتـانا» على مسرح الأحـداث بتوسله إلى «شمش» حـتى ينعم عليه بنعمـة الإنجاب، ومن ثم يرشده «شمش» إلى طريق النسـر الذى سيساعـده ليصل إلى ما يرنو إليه.

وكان «إيتانا» يتوسل إلى «شمش» فى كل يوم:

«أى «شمش» لقد أكلت كل خرافى السمينة.

وارتوت الأرض من أجلك بدم أكباشى السمينة.

لقد أكرمت الآلهة كما أكرمت أرواح الموتى.

وملأت أماكن التنبؤات بالخمور.

وأفعمت الآلهة بالأكباش الأضحاحى.

أيها السيد تلفظ بأمر من أجلى.

امنحنى نبتة الإنجاب.

اكشف لى عن النبتة التى تساعد على الإنجاب.

ارفع عنى حملى واجعل لى اسماً».

ففتح «شمش» فاه، وقال لـ «إيتانا»:

«امش فى هذا الدرب واجتز الجبل،

ستجد جحر، انظر ما فى داخله،

ففى داخله يوجد نسر.

إنه هو الذى سيكشف لك عن نبتة الإنجاب».

وكما قال البطل الإله «شمش»،

أخذ «إيتانا» طريقه واجتاز الجبل،

رأى الجحر ونظر إلى ما فى داخله،

فرأى فيه نسراً مقعداً.

وهذا ما دبره «شمش» أخيراً من أجله.

# اللوح الثالث

**فتح النسر فاه وقال لـ «شمش» سيده.**

**«إذا أخرجتنى من هذا الجحر،**

**وإذا قدمت لى عصافير واستعدت قواى،**

**فسأعمل كل ما يقوله،**

**شرط أن يقوم بكل ما أقوله له».**

**وبناء على أمر البطل، أخرجه «إيتانا» من الجحر،**

**فتناول النسر العصافير واستعاد قواه.**

**وعندئذ فتح النسر فمه وقال لـ «إيتانا»:**

**«أنت إذن، قل لى لماذا أتيت إلى هنا»؟**

**فتح «إيتانا» فمه وقال للنسر:**

**«يا صديقى أعطنى نبتة الإنجاب.**

**اكشف لى عن النبتة التى تؤدى إلى الإنجاب.**

**أرح عن كاهلى هذا الثقل واجعل لى اسماً.**

يوجد نقص كبير فى باقى اللوح، إلا أننا نجد فى اللوح التالى له أن النسر قد حمل «إيتانا» وحلقا سوياً، وهنا لابد وأن يكون هذا التحليق مرتبط بالحصول على «نبتة الإنجاب»، والتى كانت تنبت فى أعالى السماء، وتحديداً كانت بحوزة «عشتار».

# اللوح الرابع

قال النسر لـ «إيتانا»:

«يا صديقى إن السموات رائعة.

تعال لأنهض بك إلى سموات «آنو».

ألصق صدرك بصدرى.

وضع يدك على طرف جناحى.

وطوق بذراعيك أعلى الجناح».

وَضَعَ «إيتانا» صدره على صدر النسر،

وطوّق بذراعه أعلى جناحه،

وبشدة ضغط بثقله عليه،

ولما حلّق به إلى مسافة فرسخ مضاعف.

قال النسر لـ «إيتانا»:

«انظر يا صديقى، كيف ترى البلاد؟

أحط بنظرك البحر وفتش عن شواطئه».

أجاب «إيتانا»:

«البلاد اختفت وكأنها جبل فقط.

وأصبحت مياه البحر كمياه النهر».

فارتفع به إلى فرسخين مضاعفين.

فقال النسر لـ «إيتانا»:

«انظر يا صديقى كيف تبدو البلاد »؟ فقال:

«أصبحت البلاد مثل تل واحد».

وبعد أن حلق به ثلاثة فراسخ مضاعفة.

قال النسر لـ «إيتانا»:

«انظر يا صديقى كيف تبدو البلاد»؟ فقال:

«أصبح البحر كساقية حول بستان».

وبعد أن صعد إلى سموات «آنو»،

اجتاز باب «آنو» و«إنليل» و«إيا»،

فسجد النسر و«إيتانا» معاً.

وهنا أيضاً يوجد نقص فى اللوح، ولكن يبدو أن رحلة التحليق ما زالت مستأنفة، كى يصلا إلى مكان «عشتار»، وإن كان «إيتانا» قد بدأت تظهر عليه علامات التردد، والعدول عن إكمال الرحلة.

إن حملك ثقيل.

دعنى.....

فأجاب النسر بما يلى:

.....

سأحلق بك إلى أعلى من هذا فى السماء.

تهيأ......

ولا يضاهى النسر طائر آخر.

ولا طائر غيره يمكنه أن يصعد بك.

تعال يا صديقى لأصعد بك إلى سماء «عشتار».

فبحوزة «عشتار» السيدة نبتة الإنجاب.

وإلى جانب «عشتار» السيدة...

ضع ذراعك فوق طرف جناحى الأعلى،

وضع يدك على الطرف الأسفل من جناحى.

وَضَعَ «إيتانا» ذراعه على الطرف الأعلى من جناحه.

كما وضع يده على الطرف الأسفل من جناحه.

وصعد النسر إلى فرسخ مضاعف.

وقال له: يا صديقى كيف تبدو البلاد الآن؟ فقال:

من البلاد...

البحر الواسع أصبح كالسور.

فارتفع به إلى فرسخين مضاعفين، وقال له:

يا صديقى انظر، فكيف ترى البلاد؟ فأجاب:

أصبحت البلاد كالبستان.

وقد أصبح البحر الواسع كالدلو.

وأراه البلاد بعد ثلاثة فراسخ مضاعفة، وقال له:

يا صديقى انظر، كيف ترى البلاد الآن؟ فأجاب:

حدقت جيداً، وقد أصبحت البلاد غير مرئية.

وعيناى لم تشبعا من منظر البحر الواسع.

ولكن يا صديقى لم أعد أرغب فى الصعود إلى السموات،

**حول مسيرتنا كى أرجع إلى الأرض.**

**وبعد فرسخين سقط.**

**وسرعان ما هبط النسر والتقفه فوق ظهره.**

**وبعد ثلاثة فراسخ مضاعفة سقط ثانية.**

**وسقط معه النسر وأخذه فوق ظهره.**

يوجد جزء مشوه من النص، لكن باقى النص يخبرنا أن «إيتانا» قد وصل سالماً إلى الأرض.

**قالت الزوجة لـ «إيتانا»:**

**. . . . إلىّ، إن البيت . . . . . .**

**مثل «إيتانا» زوجتى. . . .**

**ومثلك. . . .**

**«إيتانا» الملك.**

**إن شبحه. . . . . .**

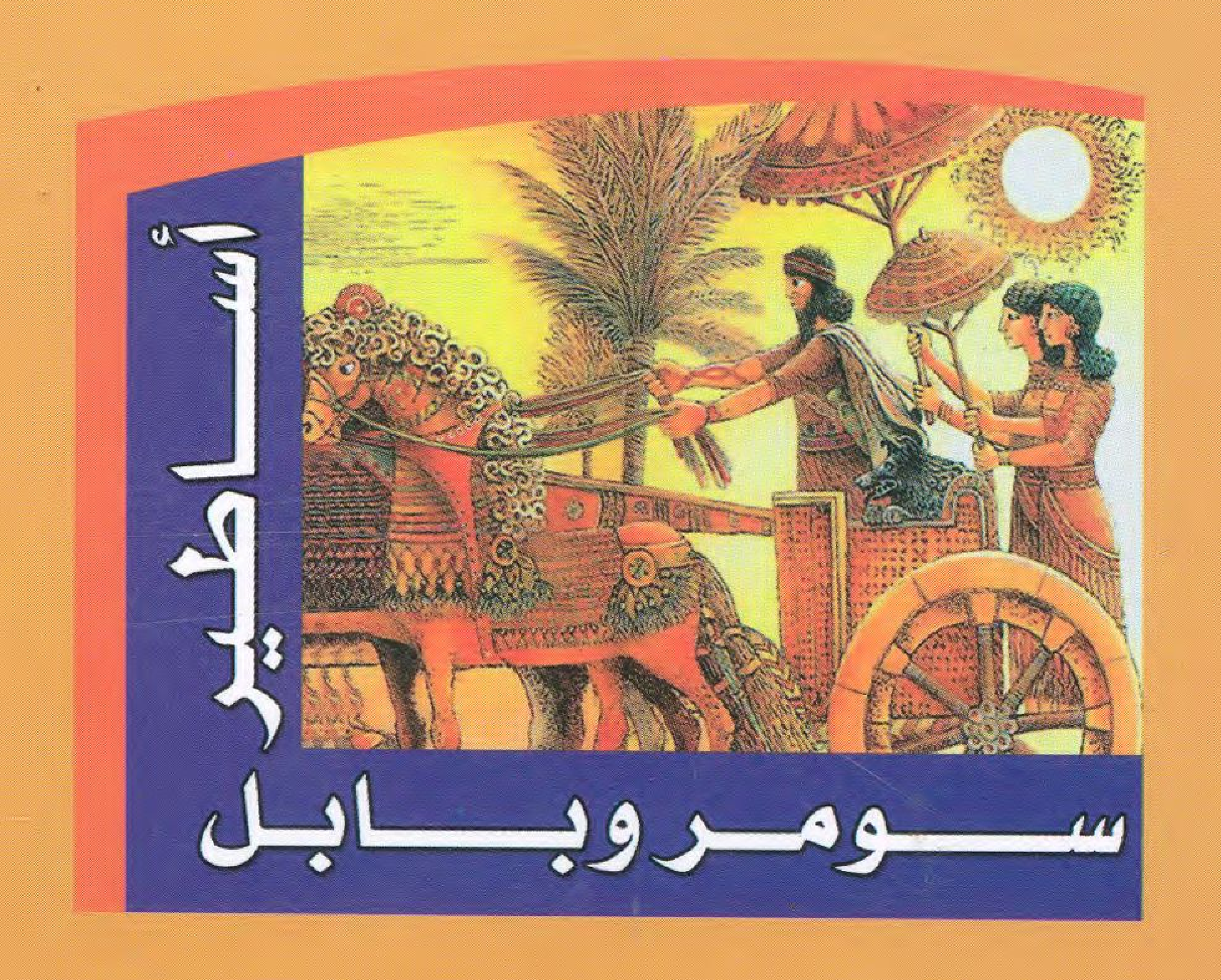
**فقد أعطى فى البيت. . . .**

وهكذا نجد أن «إيتانا» لم يستطع أن يواصل رحلته فى الصعود إلى السموات، وطلب الهبوط مرة أخرى إلى الأرض، وكأن هذا الإنسان لم يُخلق إلا للعيش على الأرض، فتكوينه لا يسمح له إلا بهذا، أما تحليقه إلى أعلى ووصوله حيث يوجد الآلهة، فهذا أمر بعيد المنال، حتى لو ملك من الوسائل ما يمكنه من قطع هذه الرحلة، والتى اعتقد أنه خلالها سيغير قدره - عدم الإنجاب - والذى رسمته له الآلهة، فضعف «إيتانا» وخوفه، وشك «آدابا» - كما سبق ورأينا - منعاهما من الحصول على أكثر مما قُدر لهما.

* * * *

# الفهرس

الموضوعات | الصفحات







دار مشارق